الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة – 1

كلية اللغة والأدب العربي والفنون
قسم اللغة والأدب العربي

المقصدية في الخطاب الشعري لعبد الله البردوني ـ دراسة تداولية ـ

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في علوم اللسان العربي

إعداد الطالبة:
ريمة يحي

إشراف الأستاذ الدكتور:
جودي مرداسي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د .بلقاسم دفة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة -01-	رئيسا
أ.د. جودي مرداسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة -01-	مشرفا ومقررا
أ. د. زهور شتوح	أستاذ محاضر (أ)	جامعة باتنة -01-	عضوا مناقشا
د. خليفة عوشاش	أستاذ محاضر (أ)	جامعة مسيلة	عضوا مناقشا
د.صالح بوترعة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة أم البواقي	عضوا مناقشا
د. عمار لعويجي	أستاذ محاضر (أ)	المركز الجامعي –بريكة-	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1442-1443هـ/2020-2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تشكل اللسانيات حقلا واسعا من حقول المعرفة الإنسانية وتدرس اللغة بعدّها ظاهرة اجتماعية وظيفتها الأساس تحقيق التواصل بين المتخاطبين، وقد أدى تقدم العلوم المعرفية إلـى اتسـاع مجالاتهـا، وظهـور تخصصـات معرفيـة جديـدة، ومـن بينهـا **اللســانيات التداولية**. Pragmatics

فالتداوليـة مبحث من مباحث الدراسات اللسانية الحديثة، التي انبثقت من أبحاث **الفلسفة التحليلية**، ويهتم هذا المبحث بدراسة اللغة أثناء **الاستعمال** في **المقامات** المختلفة، فتولي أهمية كبرى لأقطاب العملية التواصلية اللسانية، بحيث تهتم بالمتكلم **ومقاصده**، بوصفه عنصر فاعلا في عملية التواصل، وتمنح أهمية للظروف السياقية، بوصفها عناصر مساعدة في تأدية هذه المقاصد، التي تعتمد على استغلال المستمع للظروف السياقية في سبيل الوصول إلى المعنى الذي يقصده المتكلم.

وتكتسي المقاربة التداولية للخطاب الأدبي بوجه عام، والشعري على وجه التحديد أهميتها في الكشف عن خبايا النصوص، وتجلية معانيها الثانوية خلف البنى السطحية للغة، وبيان ما تنطوي عليه من قيم **تداولية** وأهداف **تبليغية**، وما تحيل إليه من مرجعيات معرفية واجتماعية. فالخطاب الشعري خطاب نوعي ذو خصوصية، يحقق فعاليته عبر ما ينتجه من أثر في نفس المتلقي، من خلال استخداماته الجمالية للغة، فهو يتوسل باللغة وبشتى التقنيات الفنية والأسلوبية، فبالإضافة إلى وظيفته الشعرية التي يعتبرها رواد الشعرية الوظيفية الأساسية المهيمنة في هذا الخطاب، فإن له وظائف أخرى، لعل أهمها **الوظيفة الإقناعية (التأثيريـة)** مما يجعل منه خطابا تداوليا أو مجموعة من الأفعال اللغوية المعبر عنها بالأمر،و النداء، والاستفهام، والنهي... وتكون غاية هذه القوى الإنجازية التأثير في المتلقي (المخاطب)، وتعديل قناعاته ومواقفه إذ إن الخطاب الشعري في بعده التداولي يلتقي مع خطابات أخرى.

فهو مجموعة من الأفعال الأدائية، تضبطها جملة من العلاقات المنظمة لعملية التواصل.

إذن فالمقاربة التداولية تتعامل مع الخطاب الأدبي بصفة عامة والخطاب **الإبداعي (التأثيري)** باعتباره "**مقصدية سياقية**"، ينبغي استحضارها بغية **تأويل** النص تأويلا صحيحا وسليما.

فالشعراء يوظفون خطابات لها **مقصدية مباشرة وغير مباشرة**، قد تدرك بطريقة ظاهرة، أو تفهم **بالتضمين والتلميح**. وهذه المقصدية واضحة في الشعر العربي، فالشاعر يوظف اللغة في ضوء **سيميائية مقصدية** حيث تتحول قصائده إلى علامات ورموز وإشارات وأيقونات، تحمل في طياتها **دلالات مقصدية**، ينبغي استكشافها من قبل المتلقي، عبر آليات التفكيك والتأويل.

و**عبد الله البردوني** شاعر يمني فقد بصره في طفولته، ولكنه حمل في فؤاده بصيرة شعب وحكمة أمة، فرفض حياة الذل والهوان في سبيل الحرية، وتحدّى الأهوال، وهو ما خلق لديه قدرة على التحاور مع ما يدور، وما يمكن أن يحدث بلغة العصر، وفقا لما تعكس مرايا الواقع من متناقضات وتصادمات مع القيم والمفاهيم، ليكون الإنسان بعموميته وخصوصيته هاجسه الإنساني، فقد كان أكثر شعراء العصر ملامسة لمواضيع الوجع الإنساني، وأكثرها استشفافا لما وراء المحسوس.

من هنا جاء عنوان البحث: **المقصدية في الخطاب الشعري لعبد الله البردوني**

–دراسة تداولية–

ويعود سبب اختيارنا للخطاب الشعري اليمني إلى الزخم اللغوي والدلالي والتداولي الذي يزخر به شعر البردوني، وبلاغته وبراعته في تبليغ مقاصده القائمة على **السخرية**، وتمريرها بين المتخاطبين، بدءا بعناوين دواوينه وقصادئه، ومرورا إلى خطاباته الشعرية، والتي اشتملت على مقاصد **صريحة وضمنية (مستلزمة)** فاقت الخيال عن طريق أفعال **وإشاريات وانزياحات واستعارات تداولية**، والتلاعب بالملفوظات.

واختيار التداولية كان لما تكتسيه آلياتها من مرونة وفعالية على كشف المعاني الصريحة والضمنية في الخطاب الشعري لعبد الله البردوني، وقدرتها على تأويل المقاصد.

كل هذه الأسباب دفعتني إلى خوض غمار هذا البحث، ومحاولة الإجابة عن الإشكالية التالية :

فيم تتمثل المقاصد التداولية للخطاب الشعري لعبد الله البردوني؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اتخذ البحث الصورة التالية: مقدمة، ومدخل، وأربعة فصول، وملحق، عرفت من خلاله على حياة البردوني وإنتاجه العلمي، وخاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها.

تناولت في **المدخل مفهوم التداولية في اللغة والاصطلاح**، ثم وقفت عند نشأتها، وختم المدخل بأهم موضوعاتها.

الفصل الأول: عنون: **المقصدية في البحث اللساني**

تطرقت فيه إلى تعريف المقصدية، والتأسيس لها، وأهميتها في الخطاب وعلاقتها بمختلف العلوم المعرفية (النحو، البلاغة، لسانيات النص، علم التأويل...) خاصة علاقتها بتحليل الخطاب الشعري.

الفصل الثاني: الموسوم: **مقصدية الإشاريات في شعر البردوني**

تطرق هذا الفصل إلى الإشاريات في المدونة، بدءا بمفهومها وعلاقتها بالإحالة، وأهميتها في عملية التواصل، ثم عرض لدراسة أنواعها في شعر البردوني، كالإشاريات الشخصية ، حيث لعبت الذاتية دورا رئيسا في خطابه الشعري،ثم عرجنا إلى الإشاريات الزمانية والمكانية، والإشاريات الاجتماعية والخطابية.

الفصل الثالث: جاء بعنوان: **الأفعال الكلامية ومقاصدها التداولية في شعر عبد الله البردوني**، حيث بسط هذا الفصل مفهوم الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي والغربي،

وكذا دراسة العرب للأفعال اللغوية المباشرة وغير المباشرة، ثم انتقلت إلى التمييز بين الفعل الكلامي والحالات القصدية، وقصدية التواصل.

وقد أفرد هذا الفصل بتحليل **مقصدية الأفعال الكلامية في شعر البردوني**، وذلك باستخراج أهم الأغراض الإنجازية للأفعال، ومدى مواءمتها للحالات القصدية، وتأويلاتها المختلفة، حيث ركزت على تصنيفات "سيرل" Searl.

وأما **الفصل الرابع** الموسوم "**الاستلزام الحواري وأبعاده التداولية في شعر البردوني**"، فعالجت فيه: مفهوم الاستلزام الحواري في التعريفين اللغوي والاصطلاحي، والقواعد الحوارية لـ "غرايس"grice، وعرجنا إلى نظرية الاستلزام الحواري في التراث العربي، ذلك أن للاستلزام جذورا ضاربة في التاريخ انطلاقا من **المقام**، كما تناولت خصائص الاستلزام الحواري مع نماذج توضح عملية الاستلزام، ودورها في الالتزام بالقواعد أو خرقها، والتركيز على ما يقصده المتكلم، آخذة بعين الاعتبار فضلها على الدرس التداولي، وسعيها إلى ضبط العملية التواصلية، وذلك بالكشف عن الاستلزامات الحوارية لأسلوب الاستفهام الذي شمل مطلع القصائد وبعض الدواوين، وخروجه عن الاستعمال الحقيقي إلى استعمالات مجازية تفهم من السياق، بالإضافة إلى الاستلزامات الحوارية للاستعارة، والكناية، والانزياح، عن طريق تحديد آليات الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم، والوقوف على جمالياتها البلاغية.

كما ذُيِّل البحث **بالخاتمة** جمعت أهم النتائج المتوصل إليها، ثم قائمة بأهم **المصادر والمراجع**، التي تم الاعتماد عليها، وفهرس جامع لمحتويات البحث، وقد اعتمد البحث على المنهجين: المنهج **الوصفي والمنهج التداولي**، وهذا حسب اقتضاء فصول البحث، حيث يخدم المنهج الوصفي التحليلي وضع الأطر المصطلحية والجوانب النظرية للمفاهيم، وكذا تتبع طرق بعض القضايا الجدلية ذات الصلة بموضوع المقصدية في فلسفة اللغة، في حين أن المنهج التداولي يتم به معالجة نماذج الخطابات الشعرية التطبيقية، كونه ينطلق من مبدأ أن الوظيفة الأصل للغة هي التواصل.

كما أفاد البحث من **المصادر والمراجع** القديمة والحديثة، أهمها: مفتاح العلوم للسكاكي، والبيان والتبيين للجاحظ، والصناعتين للعسكري، ودلائل الإعجاز للجرجاني،والطراز للعلوي.

و "المراجع الحديثة" مثل: أهم كتب **جون سيرل J. Searle** المتمثلة في كتاب القصدية بحث في فلسفة العقل، وكتاب العقل واللغة، والمجتمع، وكتاب الأعمال اللغوية، كتاب نظرية أفعال الكلام العامة لجون أوستن **J.Auestin** ، وكتاب استراتيجية الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري، وكتاب آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود أحمد نحلة، وكتاب النص والسياق لفان دايك، وكتاب اللسان والميزان لطه عبد الرحمن، وتداوليات القصد لإدريس مقبول و....

وقد اعترضتني بعض الصعوبات تمثلت أبرزها في فوضى المصطلحات التي واجهتني عند ضبط المفاهيم وبخاصة المقصدية والقصدية والاستلزام الحواري، بالإضافة إلى صعوبة تأويل بعض قصائد البردوني، وعدم توفر شروحات لدواوينه.

وفي الختام أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل الدكتور: جودي مرادسي، الذي تكرم بموافقته على تأطير هذه الرسالة منذ بدايتها حتى نهايتها، فلم يدخر أي جهد في تصويبها وتعديلها، كما كان له الفضل في تيسير ما تعسر عليّ، فله منّي جزاء الأوفى، راجية له من الله السداد في الفكر والقول والعمل.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكاترة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم على قراءة البحث وتصويبه وتقويمه.

والحمد لله من قبل ومن بعد.

المدخل

التداولية/ المفاهيم والمصطلحات

تمهيد:

شكلت اللغة منذ القديم محور اهتمام الإنسان، فسعى إلى دراستها ومعرفة أسرارها عبر دراسات حاولت الكشف عن طبيعتها ونشأتها وكيفية استعمالها، والعوامل المختلفة التي تتدخل في نطقها وأدائها أداء فعليا، والعوامل المؤثرة في إنتاج المعنى...

يدرس علم استعمال اللغة أو التداولية اللغة في حيز الاستعمال متجاوزا حدود الوضع الأصلي للغة وإن كان يبنى عليه، وذلك لأن مقاصد المتخاطبين لا يمثلها الوضع اللغوي المجرد فقط، ولا يمكن الوصول إليها إلا من خلال فهم اللغة في سياق الاستعمال المتجدد بتجدد مقاصد المتكلمين، يستند فيه المتخاطبون إلى الوضع اللغوي، ويتجاوزونه تلبية لمقاصدهم وأغراضهم، فبظهور اللسانيات في اتجاهها الشكلي، كان لابد من ظهور اتجاهات أخرى جديدة تعالج قصور سابقيها.

1- المفهوم اللغوي للتداولية pragmatics[(1)]:

التداولية في ذاتها لا تنحصر في مجال معين، فتكسب تعريفا محددا، ولكن بتعدد مجالاتها وامتداد اهتماماتها اكتسب تعدد مفهوماتها.

يرجع مصطلح التداولية إلى مادة (دَوَلَ)، وجاء في لسان العرب لابن منظور: الأول: تداولنا الأمر: أخذناه بالدلّ، وقالوا: دواليك، أي: مداولة على الأمر[(2)]. قال سيبويه: وإن شئت حملته على أنه وقع في هذا المجال، ودَالَتْ الأيام، أي دارت، والله يداولها بين الناس،

[(1)] تشير المصادر إلى أن كلمة "تداولية" يقابلها مصطلح pragmaticus اليونانية، حيث استخدمها فلاسفة اليونان منذ العصور الأولى للدلالة على العلمية. ينظر: ع الحكيم سحالية، التداولية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، دط، دت.

[(2)] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط1، 1990 م، مادة (دول)، 252/11.

وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى: تعاوَرْنَا، فعمل هذا مرة وهذا مرة[1].

2- المفهوم الاصطلاحي للتداولية:

هناك عدة أسباب أدت إلى صعوبة وضع تعريف جامع مانع للتداولية، ولعل أول هذه الأسباب أن نشأتها لم تكن لغوية محضة، بل كان لفلاسفة اللغة دور ملحوظ في النشأة والتطور، وهي «مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية ... إلخ »[2] ؛ أي البحث عن نظرية ملائمة تتعلق بالاستعمال التواصلي للغة.

وتعرفها "فرانسواز أرمينغو" «بأنها تعني دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية»[3]، فالتداولية هي الدراسة التي تتناول اللغة من جهة استعمالها لا من جهة معناها أو مبناها.

وتعنى التداولية بالشروط والقواعد اللازمة للملاءمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به، أي العلاقة بين النص والسياق، ويلاحظ باستمرار تلك العلاقة الوثيقة بين التداولية والدلالة، إذ يجمع بينهما مستوى السياق المباشر، مما يجعل التداولية قاسما مشتركا بين أبنية الاتصال النحوية والدلالية والبلاغية[4]، ويأتي مفهوم التداولية ليغطي

(1) سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، 25/1.

(2) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003، ص 15.

(3) فرانسواز أرمينغو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء، بيروت، 1986، ص 62.

(4) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم لغة النص، الشركة المصرية، القاهرة، ط1، 1996، ص 238.

بطريقة منهجية المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة بعبارة (مقتضى الحال) ولعل انصرافها إلى المقام، جعل بعض الباحثين يرى فيها «دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة»[1] أو هي «العلم الذي يدرس تأثير المقام في معنى الأقوال»[2]؛ أي دراسة الاستعمالات الفعلية لحظة الكلام وما يتولد عنها من دلالات في المقامات الخطابية، في إطار التواصل ومقاصد الخطاب اللغوي.

3 – التداولية في التراث اللغوي العربي:

يمكن تتبع مرجعية النظرية التداولية في التراث اللغوي العربي، من خلال عدة مجالات معرفية أهمها:

أ- البلاغة العربية:

تعد البلاغة العربية سابقة تاريخية للسانيات النص عموما، واللسانيات التداولية خصوصا. ويمكن استنباط مواطن الارتباط بين التداولية والبلاغة العربية انطلاقا من بعض أقوال اللغويين القدامى مثل:

1- عبد القاهر الجرجاني: (ت 471 هـ)

حيث يقول: «... وأنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تَمَّ لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل نجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في

---

[1] جاك موشلار، وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص 677.

[2] جاك موشلار، وآن ريبول، التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين غفوس، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2003، ص 264.

النطق»[1] فهذه المقولة وردت في سياق الحديث عن نظرية النظم وما تتعلق به من قضايا أهمها:

- الحديث عن مقاصد المخاطب حين قال بترتيب المعاني في نفسه.
- الحديث عن الاستعمال حين قال بتحديد مواقع الألفاظ عليها في النطق، وذلك بعد تحديد مواقع معانيها في النفس.
- إن المعاني دائمة متغيرة الألفاظ، وذلك تبعا للظروف والحال والمقام الذي يحل به المخاطب [2].

كما أن استعمال عبد القاهر الجرجاني لعبارة "اعلم أنَّ " أو " اعلم أنك" في كثير من المواضع في كتبه البلاغية دليل على اهتمامه بالمخاطب.

2- أبو هلال العسكري: (ت 395 هـ)

حيث أورد في حديثه عن البلاغة المقولة الآتية: «ومن تمام آلات البلاغة التوسع في معرفة العربية، ووجوه الاستعمال لها، والعلم حافز الألفاظ وساقطها ومتخيرها ورديئها ومعرفة المقامات وما يصلح في كل واحد منها من الكلام»[3].

فهو يرى أن من مهام البلاغة تخير الألفاظ على حسب اختلافها (رديئة، حسنة) تبعا للمقام الذي يناسبها، أي أن البلاغة تراعي جانب الاستعمال في اللغة وهذا ما راعته التداولية. كما يشير في موضع آخر في كتابه "**الصناعتين**" إلى السياق المقامي حيث يقول: «ولا نكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، لأن ذلك جهل بالمقام وما يصلح في كل واحد منها من الكلام، وأحسن الذي قال: "**لكل مقام مقال**"»[4] وفي هذه المقولة إشارة

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، 2000، ص 86.

(2) نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، الجزائر، ط 1، 2009، ص 33.

(3) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: محمد علي محمد اليحياوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة المصرية، بيروت، لبنان، ط 1، 2006، ص 25.

(4) المصدر نفسه، ص 29.

إلى أن المتكلم يجب أن يراعي حال المخاطب ووضعه الاجتماعي، وبالتالي مراعاة المقام الذي هو أداة فعالة في البلاغة والتداولية معا.

ب- علم النحو:

يعد علم النحو من العلوم اللغوية التي ارتبطت ببعض المفاهيم التداولية كونهما يهتمان بالتركيب اللغوي وخصائصه، وذلك من خلال مراعاته للمتكلم والمستمع والكلام في حد ذاته، إضافة إلى عنصر "المقام"، وغيرها من المصطلحات التداولية التي تهتم باستعمال اللغة. وفيما يلي بعض الشواهد الدالة على ذلك:

1- سيبويه: (ت 180 هـ)

أشار "سيبويه" إلى أنماط الكلام تبعا لمفهوم الاستعمال اللغوي أي من منظور تداولي وقسمه إلى:

- **مستقيم حسن:** مثل: أتيك أمس، سآتيك غدا.
- **محال:** مثل: أتيتك غدا، وسآتيك أمس.
- **مستقيم كذب:** مثل: حملت الجبل، شربت ماء البحر.
- **مستقيم قبيح:** مثل: قد زيدا رأيت[1].
- **محال كذب:** مثل: سوف أشرب ماء البحر أمس.

وهذا التقسيم بين أن سيويه كان على دراية بالجانب التواصلي وعناصره: المتكلم، الكلام، المستمع، والتأكيد على ضرورة حصول الفائدة (المعنى من الكلام).

---

[1] سيويه، الكتاب، مصدر سابق، ص 14.

2- ابن هشام الأنصاري: (ت 761 هـ)

يعرف ابن هشام الأنصاري الكلام بأنه: «ما تحصل به الفائدة سواء أكان لفظا أو خطأ أو إشارة أو نطق به لسان الحال»[1].

فمن المعلوم أن النحو يهتم بدراسة الكلام بمختلف وحداته، وحتى تحصل الفائدة منه، يجب توفر طرفي التواصل.

المتكلم: باعتباره فاعلا للكلام.

المستمع: وهو متلقي الكلام، مع ضرورة التأكيد على قصدية المتكلم. كما نوه ابن هشام أيضا إلى بعض وسائل التواصل إما بالألفاظ (المنطوقة) أو التعابير الكتابية، أو عن طريق الإشارة. وبما أن هذا العنصر يتناول النحو فإنه يرتبط بالكلام المنطوق أو المكتوب فقط. فعندما اشترط النحاة حصول الفائدة من الكلام، فهو على وعي بالجانب التواصلي، المتكلم وقصده، الكلام ومحتوياته، والمستمع وكيفية حصوله على الفائدة.

4 - نشأة التداولية وأهميتها للبحث اللغوي:

إذا حاولنا البحث عن الجذور الأولى للتداولية فيمكن تلمسها في الاتجاه التحليلي في الفلسفة (الفلسفة التحليلية) [2] وهو الاتجاه الرئيس في فلسفة اللغة، أو التيار الغالب في الفلسفة المعاصرة الذي ركز على موضوع اللغة، وحاول تغيير مهمة الفلسفة وموضوعها وممارستها.

---

[1] ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: حسن حمد، مراجعة: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 2005 ، ص 29.

[2] الفلسفة التحليلية ثلاثة أنواع: **1- الظاهراتية اللغوية:** تدرس اللغة في إطارها الوجودي وهي غير معنية بمسائل التداولية. **2-الوضعانية المنطقية:** تدرس اللغات الصورية وهي أيضا غير معنية بالتداولية. **3- فلسفة اللغة العادية:** تدرس اللغة اليومية كما يتكلمها الشخص العادي وهي في صميم التداولية.

ينظر: صلاح الدين زرال، إرهاصات التداولية في التراث اللغوي العربي، مقال بمجلة الأثر، أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، د. ت، ص 34

ويعود استعمال مصطلح التداولية إلى الفيلسوف (تشارلز موريس) (charles moris) انطلاقا من عنايته بتحديد الإطار العام لعلم العلامات، أو السيميائية من خلال تمييزه بين ثلاثة فروع هي:

1- **الفرع الأول: النحو أو التراكيب (syntex):** وهو دراسة العلاقة الشكلية بين العلامات بعضها البعض.

2- **الفرع الثاني: الدلالة (semantics):** وهي دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تؤول إليها هذه العلامات.

3- **الفرع الثالث: التداولية (pragmatics):** وهي دراسة علاقة العلامات بالأشياء بمستعمليها وبمؤوليها[1].

ويمكن القول إن مبتدع التداولية المفترض هو (تشارلز بيرس) (charles pierce) إلا أن تلميذه (تشارلز موريس) (charles moris) هو الذي أدخلها ضمن إطار نظري حيث يركز على علاقة العلامات بمستعمليها.

والذي يهمنا الحديث هنا هو نشأتها وظهورها في الفكر اللساني الغربي الحديث بحيث أصبحت تيارا موازيا لتيار البنيوية وتيار التوليدية التحويلية.

من هذه الناحية يتفق الدارسون على أن التداولية لم تصبح مجالا يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد **السابع** من **القرن العشرين** بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد هم: أوستن (Austin) سيرل (searle)، جرايس (Grice) وكانوا جميعا مهتمين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية

---

[1] عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004، ص 21.

الطبيعية من خلال إبلاغ متكلم رسالة إلى متلق يفسرها، وهذا من صميم عملهم، وهو من صميم التداولية كذلك[1].

ويمكن إرجاع نشأة التداولية بمفهومها اللغوي إلى سنة 1955م عندما ألقى جون أوستن (John Austin)محاضراته، والغريب أن "أوستن" عندما ألقى محاضراته لم يكن يفكر في تأسيس اختصاص فرعي اللسانيات فقد كان هدفه تأسيس اختصاص **فلسفي** جديد، هو **فلسفة اللغة**، ونجح في ذلك بيد أن محاضرات "ويليام جايمس" (william james) ستكون كذلك بوتقة التداولية اللسانية، وستمثل قطب الرحى طوال ثلاثين سنة[2].

يستنتج مما سبق أن التداولية تعد منهجا يهتم بدراسة اللغة في الاستعمال، ويكشف عن معنى المتكلم و**مقاصده** في سياق محدد .

5 - أهم موضوعاتها:

قد نجد صعوبة في تحديد أهم الموضوعات التي ارتكزت عليها التداولية والتي هي بمثابة مقومات لها، وهذا نظرا لاتساع مجالها وتشعبها وكثرة مصطلحاته كونها تتداخل مع علوم لغوية وغير لغوية، ومن أبرز موضوعاتها:

أ- الملفوظية:

هي اتجاه لساني جديد في دراسة اللغة، وهي ترجمة للمصطلح الفرنسي (enonciation) الذي أشار إليه رائدا الأسلوبية شارل بالي charle bally (1865-1947م) في كتابه "اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية"[3] وقد تطور هذا الاتجاه مع "إميل بنفنست" emile benveniste وتابعيه الذي يرى أن الجملة نقطة عبور من مجال اللغة

---

(1) محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الإسكندرية، ط1، 2006، ص 9.

(2) آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، مصدر سابق، ص 27.

(3) جان سيرفوني، الملفوظية، ترجمة: قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1998م، ص 7.

بوصفها نظاما للعلامات، إلى صفة الملفوظ والخطاب[1]، ومنه فالملفوظية تتناول دراسة الملفوظات باعتبارها وحدات لسانية أكبر من الجملة، وهي ذات طابع نطقي، وبذلك تلتقي مع التداولية في هذا الجانب. كما تعرف الملفوظية أيضا أنها «عملية إنتاج الملفوظ»[2] وبناء على ذلك فإن البحث اللساني سابقا (من البنيوية السوسيرية) إلى غاية التوليدية التحويلية تهتم بالجملة بوصفها الوحدة الكبرى للتحليل، أما اللسانيات المعاصرة فإنها تجاوزت حد الجملة إلى النص أو الملفوظ أو الخطاب.

ب- السياق: يعد السياق من أهم المصطلحات التي ارتكزت عليها اللسانيات النصية وذلك في مجالي الانسجام والتداولية، وبصفة خاصة السياق المقامي من خلال خصائصه المختلفة: المتكلم، المستمع، الزمان، المكان، القناة، النظام، ...

مفهومه: يعني السياق: الموقف الفعلي الذي توظف فيه الملفوظات والمتضمنة بدوره لكل ما يحتاجه الفرد لفهم وتقييم ما يقال[3]، فهو إذن عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث، ويتصف بالميزة الديناميكية المحركة، فليس السياق مجرد حالة لفظ، وإنما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ[4]. أي يتميز السياق بالحركة من لفظ لآخر ومن مجال لآخر، مما يجعله يتسم بالتنوع فقد نجد **السياق السياسي والسياق الاجتماعي، والسياق النفسي، ...**

أنواعه: من أهم أنواع السياق عند التداوليين:

1- السياق اللغوي (المقالي): ويتمثل في العلاقات الصوتية والفونولوجية والنحوية والدلالية[5]، المشكلة للبنية اللغوية للنص بمعنى أن مدلول الكلمة يتحدد من خلال سابقتها

---

(1) نواري سعودي أبو زيد، جدلية الحركة والسكون، نحو مقاربة أسلوبية لدلائلية البنى في الخطاب الشعري عند نزار قباني، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009م، ص 15.

(2) جان سيرفوني، الملفوظية، ص 7.

(3) نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، ص 29.

(4) فان ديك، النص والسياق، ص 258.

(5) حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2000، ص 33.

ولاحقتها، أي التحليلي التداولي ذو منطلق بنيوي اتساقي نحو قوله تعالى: « **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ** »الروم/ 55، وقوله تعالى أيضا: « **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنْ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً** »الأحزاب/ 63.

إن المتبع لهذه الآيات الكريمة يجد أن مدلول كلمة "**ساعة**" مختلف، فتارة يدل على يوم القيامة، وتارة أخرى يدل على فترة زمنية، ففي الآية الأولى: تدل كلمة "**الساعة**" على يوم القيامة لأنها سُبقت بكلمة "**تقوم**" وأُتبعت بعبارة "**يقسم المجرمون**" فاضطراب المجرمين وندمهم وتحسرهم يكون عند قيام الساعة. «يقول تعالى مخبرا الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا علم له بالساعة، وإن سأله الناس عن ذلك. وأرشده أن يرد علمها إلى الله – عز وجل – لكن أخبره أنها تربية»[(1)]، كما أن كلمة "الساعة" تدل على المدة الزمنية المعروفة بالساعة لأنها مسبوقة بعبارة "لبثوا" فاللبوث مقدر بالزمن، ونظرا لكثرة معاصي المجرمين فإنهم يظنون أنهم لبثوا ساعة من الوقت فقط.

وفي الآية الثانية تدل كلمة "ساعة" على مدة زمنية لأنها مسبوقة بمؤشرات زمنية: ميعاد، يوم، تستأخرون، ومتبوعة بالمؤشر الزمني "تستقدمون". وفي الآية الثالثة تكررت كلمة "الساعة" مرتين وكلاهما تدلان على يوم القيامة (يوم الحساب)، وذلك من خلال المؤشرات اللغوية: يسألك الناس، علمها عند الله[(2)] ...

ثانيا: السياق المصاحب (السياق غير اللغوي):

عناصر السياق المصاحب في الحديث الشفهي واضحة لكل من المتكلم والمستمع، وتتحصر في استخدام بعض الوسائل اللغوية مثل: النبر stress والتنغيم intonation

---

(1) ابن القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عبد الرزاق المهري، دار الكتاب العربي، ط2، 1423 هـ – 2002 م، 4/ 232.

(2) ابن القرشي الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، 232/4

وبعض الوسائل السيميولوجية مثل إيماءات الوجه وحركات الجسد، فنطق كلمة أو عبارة بتنغيم مختلف في كل مرة ينتقل بها من مجال دلالي إلى مجال آخر، ونبر بعض الكلمات يوحي إلى ارتباطها بفكرة مهمة يريد المتكلم بثها للمستمع. كما يؤكد استخدام إيماءات الجسد وحركاته على اكتمال الأبعاد السيمانطقية للخطاب ووضوحها للمستمع.

ومع النص المكتوب يصبح أمر رصد هذا السياق صعبا على كل من الكاتب والقارئ لفهم النص، حيث يلجأ إلى التعويض نموذج العالم الفعلي بعالم ممكن (متخيل) والعلاقة بين هذين العلمين ليست علاقة انفصال تام بل هناك تفاعل دينامي بينهما بواسطة تفهم هذا بذلك[1]. ويجد الكاتب ضالته في عناصر دالة، مثل علامات الترقيم، والسجع والقافية، واستخدام ضمير المخاطب، وبعض العناصر الحوارية، كلها عناصر تكشف أكثر عند الدلالات.

ثالثا: السياق المقامي (الموقف):

ويطلق عليه السياق التداولي نظرا لأن التحليلي التداولي يربط النص الأدبي بسياقه المقامي ويمثل هذا النوع من السياق العالم الخارج عن الحدث اللغوي كما يتمثل في الظروف والملابسات الاجتماعية والنفسية والثقافية للمتكلم أو المشاركين في الكلام[2]. فعند قراءة قصيدة شعرية لأبي الطيب المتنبي مثلا فإن سياق الموقف سيكون خاصا بالعصر العباسي الذي عاش فيه المتنبي وما ساده من مظاهر سياسية واجتماعية وثقافية.

---

(1) محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، د ط، 1991، ص 301.

(2) حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الأناريطة، د ط، 2000، ص 33.

رابعا: السياق التفاعلي:

ويقصد به تسلسل أفعال الكلام في مقطع متداخل الخطابات، إذ يتخذ المتخاطبون أدوارا تداولية محضة، هي الاقتراح، والاعتراض، والتطبيق[1]. بمعنى أن هذا السياق مرتبط بالأفعال الكلامية الوارد في مقطع خطابي ما، يستدعي فعلا كلاميا آخر، ومن هنا يتفاعل المتخاطبون فيما بينهم من خلال الوظيفة التي تسند إلى كل واحد منهم. وهناك أنواع كثيرة من السياق كالسياق العاطفي، والسياق النفسي، والسياق الثقافي، ... إلخ.

ج- التفاعل:

تجدر الإشارة إلى أن مصطلح السياق ارتبط بمصطلح آخر وثيق الصلة به، ألا وهو مصطلح "التفاعل"، حيث يعد "التفاعل" من أبرز اهتمامات الفلاسفة اللغويين المحدثين ولا سيما الأنثروبولوجيين منهم.

ولقد جسد هذا المبدأ ضمن موضوع التواصل الاجتماعي عن طريق اللغة، وبالتالي مهدت هذه الفكرة إلى ظهور النظرية التداولية[2].

ولقد شهد موضوع "التفاعل" تطورا في بدايته مع بعض اللسانيين الاجتماعيين مثل: جون فيرث (Jon firth) (1980 – 1960)، مالينو فسكي (Malinovski) (1884 – 1942)، هايمس (Hims)، إدوارد سابير (Edward sapir) (1884 – 1939)، ... حيث رأوا أن اللغة تدرس بوصفها جزءا من المسار الاجتماعي، بخلاف بعض اللسانيين الذي صبوا جل اهتمامهم ببنيوية اللغة كـ "سوسير" مثلا. وبذلك تعد اللغة عندهم شكلا من أشكال الحياة الإنسانية[3]، بعد ذلك بلغ ذروته على يد عالم الاجتماع الكندي ذي الأصل

---

[1] علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري (من البنية إلى القراءة) مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2000، ص 61.

[2] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط 1، 2009، ص 88.

[3] أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2000، ص 174.

الروسي "أفينغ غوفمان" (Eving Goffmon) (1922 – 1982) الذي خصص أبحاثه للعلاقات اليومية بين الأفراد وتحديد للمحادثات، حيث أنه يقدم التفاعل بوصفه نظاما يحظى بمواصفات وبآليات انتظام على قاعدة نظرية التواصل الجديد **(التواصل من منظور تداولي)**. كما أنه قام بتطوير "**مبدأ التعاون**" الأساسي عند **غرايس** وأعاد صياغته بـ "**إجبارية الالتزام**"، حيث يطور هذا المبدأ نظرية في المحادثة بوصفها مكونة من طقوس منوعة قائمة على أساس التحاور الذي يفترض دائما ضربا من التبادلية[1].

من هنا يتضح أن مصطلح "التفاعل" ،هو استراتيجية تواصلية ذات طابع اجتماعي، ويكون نتيجة تأثير متبادل بين طرفي التخاطب، مراعيا في ذلك الأعراف الاجتماعية والثقافية والظروف السياقية والمقامية*.

ومن خصائص الدراسة التفاعلية، أنها ارتبطت لدى فلاسفة اللغة بنظرية **الأفعال الكلامية** (التي يأتي تفصيلها لاحقا)، وذلك من خلال التمييز بين مصطلحي الحدث والعمل وعلاقتها بمصطلح الفعل، فالفعل إذا ارتبط بقصد كان حدثا، وإذا افتقد إلى القصد كان عملا.

ومن القضايا التي تناولتها البحوث التفاعلية: دراسة القدرة التواصلية للمتخاطبين، وهي بمثابة الملكة اللغوية التي يمتلكها مستعملو اللغة والتي تمكنهم من إنتاج عبارات لغوية سليمة، مراعين في ذلك المقام التواصلي.

---

(1) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007، ص112

* : ينبغي التفريق بين مصطلح السياق والمقام، فالأول ذو طبيعة لسانية مكونة من جميع مستويات البينة اللغوية: صوت، صرف، نحو، ودلالة، وأما الثاني فهو وضعي، غير لساني يتمثل في العوامل الخارجية التي تعين على التواصل مثل: المتخاطبان (المتكلم والمستمع)، الزمان، المكان، مقاصد المتكلمين، وطبيعة العلاقة بينهما هي علاقة تكاملية.
ينظر: الجيلاني دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1992م، ص 40.

لذلك ولأهميتها في حياة الناس التخاطبية، اهتمت الفلسفة الحديثة بدراسة "**القصدية**" مع مباحث العقل والإدراك، وخصصت لها نظرية قائمة بذاتها ضمن "**فلسفة العقل**" وهي "**نظرية القصدية**" التي يعد فيها الفيلسوف الأمريكي "**جون سيرل**" **(John searle)** من أبرز أعلامها، وهو القائل مؤكدا على أهميتها في حياتنا اليومية: «**لكي نفهم حياتنا علينا أن نفهم القصدية**»[1].

وإذا كانت نشأة القصدية فلسفية، فإن أفقها – سيكون حتما – تداوليا، لأن البحث في "مقاصد" اللغة داخل الخطاب، أصبح بمثابة الموضوع الاستشرافي بالنسبة للتداولية. هذا ما يجعلنا نتساءل:

ما القصدية؟ وما موضوعها؟ وما هي مجالاتها ؟ وما أهميتها في المبحثين الفلسفي والتداولي؟ وفيم تتمثل أهميتها بالنسبة لحياة الناس التخاطبية ؟

[1] د. هشام صويلح، القصدية مبحث فلسفي تداولي: من فلسفة العقل إلى فلسفة الكلام "جون سيرل نمودجا"، مقال مجلة تاريخ العلوم، ع: 8 ج 2، جوان 2017، جامعة سكيكدة، ص 33

الفصل الأول

المقصدية في البحث اللساني

تمهيد:

تداوليات القصد :

يمثل "القصد" غاية من الغايات الرئيسة للخطاب اللغوي وجزءا منه إذ لا ينشئ المخاطب كلامه، بل يتحكم تحديد الهدف من الخطاب في اختيار طبيعة اللغة وطريقة الأداء، أي أنه يحدد شكله ومدته وطريق إنجازه، حيث أن الأساس في الخطاب هو ما يريده المتكلم، لا ما تريده اللغة، ومن ثم يستحضر المتكلم **قصده** في كل خطاب يتلفظ به.

فعندما يكون هدف المخاطب من خطابه توبيخ المخاطب في أمر ما، يكون خطابه مغايرا تماما لحالة لو أنه أراد مدحه والثناء عليه.

وعلى هذا كانت اهتمامات التداولية(*) **بالقصدية** في نطاق التواصل، ويمثل القصد لب العملية التواصلية وطرفا أساسيا في استعمال اللغة وتداولها، فهو يعمل على بلورة المعنى وإضفاء الدلالة عليه، ويعمل على حث المرسل للسعي إلى إيجاد كيفية التعبير في الخطاب عن قصده، واختيار الاستراتيجيات المناسبة لنقل مراده.

ثم إن صفة الفعل لا يمكنها التحقق إلا بعد تبين قصد الفاعل، أي أن الفعل مقرون بقصده، فلا وجود لفعل ما لم يصحبه **قصد**، وبهذا يكون الخطاب نوعا من التواصل لأنه مقصود غالبا، لذلك تربط **القصديات** «بنوع ومقولة يختارها المؤلف بين سائر الأنواع والمقولات المختلفة، فقد يكتب المؤلف –مثلا– كتابه الفلاني، وهو يريد كتابا فكاهيا لا جديا أو يكتب نصا قصصيا لا علميا»[1].

(*) يمكننا أن نتحدث هنا عن الممارسات التداولية لدى التداوليين الغرب بوصفها محددا دقيقا للقصدية، إذ الملاحظ في الترجمات العربية لمصطلح pragmatics أن هناك من يترجمها **بعلم المقاصد**، ويعلل الباحثان محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي هذه الترجمة بأن مفهوم pragmatics يقوم على **القصد والمقصدية** في بعدها الاجتماعي ويعلقان بقولهما: «هذه الترجمة وإن كانت صائبة من جانب فإنما لا تحيط بكل الموضوعات التي تبحثها التداولية» ينظر: ج. براون و ج، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي جامعة الملك سعود، 1997، ص 32.

(1) علي رضا العابدي سرآسيا، الهرمونيطيقا وأصول الفقه، دراسة مقارنة بين النظرية القصدية في الفهم ومنهج أصول الفقه، مجلة الحياة، جامعة المصطفى، لبنان، ع 29، ص 90.

ويهدف مستعمل هذا الخطاب في قصده لإفهام المرسل إليه، وهذا بوساطة اللغة بجميع مستوياتها خاصة الجانب الدلالي، فيدرك العلاقة بين كل دال ومدلوله، وسياقات استعمالها.

وتقوم العملية التواصلية الخطابية على عنصرين أساسيين هما **المتكلم والمتلقي**، إنه المقصد المركب من قصد المتكلم منشئ الخطاب، وقصد السامع المتلقي للخطاب، قصد المتكلم إلى إيراد الكلام على نحو مخصوص لإفادة معاني ودلالات مقصودة عند التكلم(1). فلا تواصل لغوي ولا فهم من دون الاهتمام بمقاصد المتكلم «فالمتكلم لا ينجز الحدث الكلامي إلا وكل طاقاته النفسية وقدراته الفكرية ومداركه التصورية مجتمعة متآزرة بغية بلوغ الكلام تمامه»(2)، أي بلوغ الكلام قصده.

وترتبط العملية التخاطبية –إضافة إلى طرفي الخطاب– إلى **السياق والمقام** يقول طه عبد الرحمن: «فالقصد من القول يستلزم صبغة سياقية ومقامية»(3)

ومما يدل على أن للقصدية دورا بارزا في العملية التواصلية أنه لا يمكن لأي أحد أن يفهم كلام مخاطبه إلا إذا توفر كلامه على قصد.

1 – المصطلحات المرادفة لمصطلح القصد:

توجد الكثير من المصطلحات المرادفة لمصطلح القصد: كالنية، والمعنى، والإرادة، والغرض، والغاية....

أ–بين القصد والمعنى:

يوجد من الباحثين من يكافئ بين مصطلحي "القصد والمعنى" في الاستعمال، وهناك من يرى أن لكل مصطلح خصوصياته، هذا ما يجعلنا نتساءل هل المعاني هي المقاصد؟

(1) إدريس مقبول، نظرية المعرفة والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011، ص 27– 28.

(2) عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986، ص 149.

(3) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2002، ص 103.

يرى البعض «الفعل "يعني" "**to mean**" مرادفا للفعل "يقصد" "**to intend**" في أغلب الألسنة الطبيعية، فالمعنى الذي نبحث عنه في الخطاب وترسباته ليس سوى القصد والغرض الذي من أجله كانت اللغات وكان التواصل»[1]؛ أي أن المعنى مرادف للقصد، فما أعنيه هو ما أقصده فهناك صلة وثيقة بين المعنى والقصد، ولكن هل معنى الكلمات أو الجمل هو ما نقصد أو أن هناك معنى آخر؟

«فإن كان لكلماتنا معنى، فكيف نقول ما لا نعنيه، أو كيف يمكن للكلمات أن تفشل في أن تعني ما نقصد أن تعنيه؟ ... فالكلمات لا تعني ما قد يعتمد بسهولة أنها تعنيه، فهناك معنى آخر إضافة إلى المعنى الحرفي للكلمات»[2].

ويرى "طه عبد الرحمن" أن مدلول القصد في اللغة العربية يفيد ثلاثة أسماء ومن بينها المعنى، يقول: «ومن طريق اللسان العربي أن يجعل المدلول للفظ ثلاثة أسماء، كلها تفيد لغة واصطلاحا مفهوم القصد وهي بالذات المعنى والمراد والمقصود»[3]، فهذه مرادفات لمدلول القصد، ويأتي المعنى في الدرجة الأولى.

ويشير علماء العربية القدماء أيضا إلى أن المعاني هي المقاصد، وهذا ما يوضحه الإمام **الشاطبي** في قوله: «أن يكون الاعتناء بالمعاني المبثوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم، بناء على أن العرب، إنما كانت عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية، فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد، والمعنى هو المقصود...» [4].

(1) إدريس مقبول، البعد التداولي عند سبيويه، مجلة عالم الفكر، ع1، 2004، ص 25.

(2) بالمر، علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، المستنصرية، دط، 1985، ص 7.

(3) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 215.

(4) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، شرحه: عبد الله دراز، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ج66/2.

فالعرب كانت عنايتها بالألفاظ والمعاني، فاللفظ هو الذي يحصل المعنى، والمعنى جاء مرادفا "للقصد" فيكون معنى الشيء هو ما يقصد به ويراد منه، ومعنى اللفظ هو المراد منه والمقصود.

وهذا ما قال به **العسكري** الذي يرى بأن المعنى هو القصد، أي ما يقصد إليه من القول يقول: «أن المعنى هو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه، وقد يكون معنى الكلام في اللغة ما تعلق به القصد... يقال عنيته أعنيه معنى... ولهذا قال أبو علي –رحمة الله عليه– إن المعنى هو القصد إلى ما يقصد إليه من القول، فجعل المعنى القصد لأنه مصدر.... وقولهم عنيت بكلامي زيدا، كقولك: أردته بكلامي»(1).

فحسب القائل المعنى لا يطلق إلا إذا كان مقصودا، فإذا عنينا شيئا فإننا نقصده، وبهذا فالمعنى هو القصد إلى ما نقصد إليه من القول، والمعاني لا تكمن في الأنظمة اللغوية وحدها بعيدا عن السياق، لأن «مدار الأمر ينصب على ماذا يعني المرسل بخطابه، لا ماذا تعنيه اللغة، حتى ولو كان الخطاب واضحا في لغته، لأن معرفة قصد المرسل هو الفيصل في بيان معناه»(2).

وبذلك فمدار الأمر هو معرفة ماذا يعني المتكلم، أي معرفة قصده من الكلام، لا ما يعنيه النظام اللغوي، والمتكلم يوظف تلك الأدوات اللغوية بكل طرائقها، ليحقق مقصده أو المعنى الحقيقي الذي يريد الوصول إليه.

ب–بين الإرادة والقصد:

يؤثر القصد بمعنى إرادة فعل الشيء في الحكم على الفعل فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها، لا تابعة لشكلها الظاهري فقط، مثل بعض الأفعال المتعلقة بالصداق الذي ينوي المتزوج دفعه للمرأة، فإنه بذلك يأخذ حكم الزواج وإن خالف النية، فإنه

(1) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 33، 34.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 189.

يتصف بحكم آخر، وكذلك من استدان بدين ولم يَنْوِ الوفاء به، فإنه يعتبر سارقا[1]. فالكاذب لا يملك إرادة الصادق.

ويحدد **العسكري** الفرق بين القصد والإرادة بقوله: «أن قصد القاصد مختص بفعله دون فعل غيره، والإرادة غير مختصة بأحد الفعلين دون الآخر، والقصد أيضا إرادة الفعل في حال إيجاده فقط، وإذا تقدمته بأوقات لا يتم قصدا ألا ترى أنه لا يصح أن نقول: قصدت لأن أزورك غدا»[2]. فالقصد يكون بإرادة مختصة، ويكون صوب الفعل مباشرة، أما الإرادة فغير مختصة، ولا تكون صوب الفعل.

كما تكون المعاني متضافرة فيما بينها بإرادة المتكلم، فالإرادة هي الفيصل في تحديد المعاني «فاللفظ عند النطق به يصاب بالضرورة شيء من التغيير، لأن المعنى لا يوجد منعزلا عن المعاني الأخرى، ولذلك يتحول إلى معنى آخر بوجود هذه العلاقات وإرادة المتكلم»[3].

وبالتالي يعتمد قصد المتكلم على توفر الإرادة، ليقوي خطابه، ويرتبه ترتيبا سليما يستطيع بواسطته التأثير في المتلقي، ومن ثم يمكن القول إن "القصد" والإرادة متلازمان في الاستعمال.

ج-بين النية والقصد:

تعتبر **النيـة** حالة من حالات إرادة الفعل، يقول القرافي: «أما النية فهي إرادة تتعلق بإمالة الفعل إلى بعض ما يقبله، لا بنفس الفعل من حيث هو، ففرق بين قصدنا لفعل الصلاة وبين قصدنا، لكون ذلك الفعل قربة، أو فرضا أو نقلا، أو أداء، أو فضاء....» [4].

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ، ص 196.

(2) أبو الهلال العسكري، الفروق الفردية، ص 126.

(3) عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب3، الجزائر، ص 111- 112.

(4) أبي العباس أحمد بن ادريس القرافي، الأمينة في إدراك النية، تحقيق مساعد بن قاسم الفالح، مكتبة الحرمين، الرياض، ط1، 1988، ص 119.

النية: هي توجيه الفعل إلى جهة من جهاته المشروعة، فالقصد مثلا من فعل الصلاة ليس نفسه إذا كان الفعل موجها قصديا على أساس أنه فرض أو قضاء.

كما أن الفرق بين **القصد والنية**، أن القصد ينسحب فقط على إنجاز عمل بعينه على حين تنسحب النية على الوظيفة التي يمكن أن تكون لهذا العمل أو الحدث، فيمكنني أن أنجز الحدث (غمز العين) عن وعي وإن لم تتوافر لدي نية لتقديم علاقة لشخص آخر، أما حدث فتح الباب فإني أنجزه بنية أن أدخل أو أخرج ، ومن ثم فإن أغلب الأحداث التي تقوم بها تتضمن نية، ولذلك تمتد النية إلى الحال أو الحدث الذي نرغب في إيجاده أو نأمل في إيجاده لفعلنا من خلال فعلنا[1].

د-بين الغاية والغرض أو القصد:

يعد مصطلح "الغاية" و"الغرض" من المصطلحات الأكثر مرادفة للقصد، وعليه فهل يمكن القول إن القصد هو الغاية أم الغرض؟ أم أن هناك بعض الفروق بينهم؟

إن **الغاية** كما يشير "**التهانوي**" هي: «كل مصلحة وحكمة تترتب على فعل الفاعل تسمى غاية من حيث أنها على طرف الفعل ونهايته، وتسمى فائدة أيضا من حيث ترتبها عليه، فهما أي الغاية والفائدة متحدثان ذاتا ومختلفتان اعتبارا»[2].

كما «ترتبط مباشرة بالأسباب التي من أجلها نستعمل اللغة، وبذلك يؤول الحديث عند الغايات إلى بحث في وظائف اللغة، والبواعث التي من أجلها وجدت»[3]

ومن أهم هذه الغايات «الإبلاغ والطلب، والتعلم والتعليم، والإفصاح، والتأثير والإقناع، والامتناع.... وذلك لأن مستعمل اللغة إما أن يبلغ مخاطبه بقضية ما.... ويستعمل لذلك

---

(1) فان دايك، علم النص متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001، ص 127.

(2) محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: لطفي عبد البديع، مراجعة أمين الخولي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1966/2، ص 1246.

(3) محمد محمد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو بناء نظرية المسالك والغايات، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص 83.

أسلوب الاخبار... وقد تكون الغاية من الخطاب التأثير في مخاطبه بتغير سلوكه عن طريق الوعظ أو النصيحة أو إقناعه بفكرة ما»[1].

إذا فالغايات الخطابية تكون إما للتأثير أو للإقناع أو الوعظ أو النصيحة إلى غير ذلك من الغايات الخطابية.

أما **الأغراض** فمفردها غرض، وجاء في معجم لسان العرب أن الغرض: «هو الهدف الذي ينصب فيُرمى فيه، والجمع أغراض.... ويقال: فهمت غرضك أي قصدك»[2]. فالغرض مرتبط بالقصد، الغرض = القصد.

ويرى **التهانوي** «أن الغرض هو الأمر الباعث للفاعل على الفعل، يقول فالغرض عِلَّة غَائِيَّة، وهي ما لأجله إقدام الفاعل على فعله، وهي ثابتة لكل فاعل فعل بالقصد والاختيار، فإن الفاعل يقصد الفعل الغرض...» [3].

وهناك من يرى «بأن الغرض عبارة عن علل قصدية للمخاطبة، وهو ما يجعله مناسبا لأغراض التخاطب»[4].

فالغرض يرتبط بالعلية والقصدية، بمعنى أن الغرض يأتي نتيجة لعلة ما أو لقصد ما، ومن الأغراض الشائعة في التخاطب المدح والذم، والهجاء... والتحية والتهنئة.....

ومن هنا فإن مراد المتكلم يندرج من **المقاصد** إلى **الأغراض** إلى **الغايات** ويمكن أن نعطي مثالا كأن نقول في الكناية التالية:

"زيد كثير الرماد" فالقصد هو كرم زيد، الغرض يمكن أن يكون المدح، والغاية يمكن أن تكون التأثير والإقناع.

---

(1) محمد محمد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى ، ص 82.

(2) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج3، ط1، 196/7.

(3) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1245/2.

(4) محمد محمد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، ص 84.

وهناك من الباحثين من لا يميز أصلا بين القصد والغرض والغاية فتستعمل بمعنى واحد، فنقول فهمت قصدك أي غرضك أي غايتك.

من خلال هذه المرادفات بين القصدية والنية والإرادة والمعنى والغرض والغاية، نجد أن هناك تداخلا وترابطا بينهما وبين مصطلح "القصدية"، ولكن المصطلحات الأكثر دورانا بها في الجانب التداولي والتخاطبي نجد **الغرض والمعنى والغاية**، أما **الإرادة والنية** يمكن أن ترتبط أكثر بالجانب **الذهني والعقلي** للقصدية.

2 – تعريف المقصدية:

أ–الألفاظ المقابلة لمصطلح "القصدية" في اللغات الأجنبية:

القصدية **(Intentionality)** «اسم مشتق من الفعل اللاتيني **(Intender)** ويعني حرفيا الشد أو المد، أي الاتجاه نحو شيء أو الامتداد نحوه»[1]، والتوجه نحو الشيء: يعني أن هذا الشيء خارج عن المتوجه، والشد يوحي بـ "**القوة**" لفعل التوجه، أما المد ففيه دليل على البعد الفاصل أو وجود مسافة فاصلة بين **المتوجه والهدف** أو الشيء الذي يتوجه إليه ويروم الوصول إليه وتقريبه منه، و«يتصل القصد بالعمل الإرادي من حيث العزم على القيام به وتحديد هدفه»[2].

وجاء في معجم اللغات الثلاثي "الوجيز": إنجليزي–فرنسي–عربي: نية، قصد، عزم، تصميم، غرض، هدف، **Intention , dessein , but, Intention**، ومقصود/معتمد **Intentionné/Intentioned** [3]، وفي موسوعة **شرح المصطلحات النفسية** ورد قصد –

---

(1) صلاح اسماعيل، فلسفة العقل، دراسة في فلسفة جون سيرل،دار قباء الحديثة للنشر، القاهرة، مصر، د ط، 2007، ص 169.

(2) وهبة مجدي والمهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص 288.

(3) جراون، معجم اللغات الوجيز، ثلاثي (إنجليزي، عربي، فرنسي)، منشورات دار السابق، بيروت، لبنان، ط1، 1974، ص 462.

عمد- سَعْيٌ لهدف/ **Intention** وقصدي -عمدي/ **Intentional** [1] إذن أصل مصطلح "القصدية" في اللاتينية الجذر **(Intende)** المستعمل بمعنى الشد والمد والتوجه، وتستعمل في اللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية بمعنى التوجه والعزم والإرادة من جهة، والهدف والغاية والمرمى من جهة أخرى، مما أورث خلطا وصعوبة تحديد في المفهوم الاصطلاحي للقصدية، وقد أشار **سيرل** إلى هذا الخلط بين مصطلح **القصدية** ومصطلحي **القصد** بمعناه العادي **والمفهومية Intensionality** أو كما سماها قصدية **الدلالة Intentionality وقصدية اللفظ Intentionality** خاصة للناطقين باللغة الإنجليزية إذ تنطقان بطريقة واحدة وتختلفان في حرف واحد **(s , t)**. [2]

يقول سيرل مشيرا إلى الالتباس السابق: «مفهوم القصدية مصدر لنوعين من الخلط، فأما الأول فيتمثل في وجود إغراء الخلط "القصدية" **Intentionality** وتعني قدرة العقل على تمثيل الأشياء وحالات الأشياء في العالم بـ "المفهومية" **Intensionality** وهي خاصية لجمل معينة عن طريقها تخفق الجمل في أنواع معينة من الاختيارات بالنسبة للمصداقية **Extensionality**، وأما النوع الثاني من الخلط بالنسبة للمتكلمين باللغة الإنجليزية فهو الافتراض الخاطئ الذي مؤداه أن القصدية باعتبارها مصطلحا فنيا في الفلسفة لها علاقة خاصة ما بالقصد بالمعنى العادي، والذي فيه على سبيل المثال يقصد المرء الذهاب إلى السينما هذه الليلة»[3]. ولكن القصدية بالمعنى الفلسفي يختلف عن القصد بالمعنى العادي على الرغم من وجود صلة جوهرية غير فلسفية بينهما، فإذا قصدت مثلا الوضوء لإقامة الصلاة أكون قد مثلت هذا الفعل لنفسي ومن ثم تأتي القصدية.

---

(1) لطفي الشربيني، موسوعة شرح المصطلحات النفسية، إنجليزي، عربي، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2001، ص 180.

(2) جون سيرل، العقل مدخل موجز، ميشال حنا، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر، 2007، ص 141.

(3) صلاح اسماعيل، فلسفة العقل، ص 169.

ب-المفهوم الاصطلاحي للمقصدية:

يـدخل الاسـتعمال الاصـطلاحي لمفهـوم القصـدية(*) فـي الاسـتعمال الأول مـن الاستعمالات اللغوية المذكورة آنفا، التوجه مع عزم واعتماد، فاستعماله الاصطلاحي يرتبط بالعاقل، فالقصد: توجيه النفس إلى الشيء أو انبعاثها نحو ما تراه موافقا، وهو مرادف للنية، وأكثر استعماله في التعبير عن التوجه الإرادي أو العملي، وإن كان بعض الفلاسفة يطلقونه على التوجه الذهني[1]، لذا وجب التفريق بين نوعين من القصد عُدّ كل منهما ظاهرة لفعل إنساني في مستوى ما من مستوياته ذهنيا كان أو حركيا «أما القصد الدال على التوجه الإرادي فهو إما مشروع **(Intention-project)** وإما هدف **(Intention-but)**، فإن كان مشروعا دل على مجرد العزم على الفعل والانبعاث نحوه، وإذ كان هدفا دل على الغاية التي من أجلها حصل التوجه»[2]، فالقصد بذلك قصدان: التوجه الإرادي والتوجه الذهني، "التوجه الإرادي": يتمثل في رغبة الفرد في فعل شيء ما، و"التوجه الذهني": عمل العقل على إدراك شيء ما، والقصد الدال على التوجه الإرادي يكون بتظافر قطبيه: القصد المشروع (العزم) والقصد الهدف (المراد).

3 – هوسرل وتأسيس القصدية:

(*) يشير إلى ذلك التداخل بين مصطلح "القصدية" و"المقصدية" الذي ولّد لدى الدارسين عددا من المفاهيم:

المفهوم الأول: "المقصدية" مصدر ميمي على وزن (مفعِل) تعني نشاط قصدي يتعلق بمنتج الخطاب وتوجهه الواعي صوب الهدف المقصود.

أما القصدية: مصدر صناعي وهي تتخذ أبعادا متعددة كونها تتعلق بالنص.

المفهوم الثاني: ينطلق من مقاربة **شلاير ماخر shleir macker** ، أن "القصدية" تتعلق بالمؤلف وبوعيه بطرائق تعبيره بوصفه المالك لسلطة القول، أما المقصدية ترتبط بالخطاب وهي الأساس في التمييز بين الخطابات الأخرى.

المفهوم الثالث: يساوي بين القصدية والمقصدية في الاستعمال، ويؤمن بأنه لا يمكن فصل قصدية المؤلف بعيدا عن قصدية النص.

ينظر: وسام مرزوقي، قوتال فضيلة، القصدية وأثرها في توجيه الخطاب الشعري، مقال بمجلة إشكالات في اللغة والأدب، كلية الآداب واللغات، تيارت، عدد1، 2019م، ص 173.

(1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية، واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1، 1971م، ج2، ص 193.

(2) جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، ص 193.

إن القصدية بوصفها نظرية معرفية، هي خاصية الشعور في ارتباطه بالموضوع، أو في طريقه لإدراكه، وقد استفاد من المفهوم **إدموند هوسرل** في **فلسفته الظاهراتية وسيرل في قصديته التداولية.**

يقوم المفهوم عند "هوسرل" على فكرة أن كل فعل من أفعال الشعور البشري فعل **قصدي**، حيث إن الفعل القصدي فعل يستخلص معناه من الواقع، ويتم التعبير عنه بكلام محدد المعنى يمكن أن يدعى **المقاصد** أو **الغايات**، وسَعْيُ "هوسرل" **E.Husserl** للتوفيق بين الذات والفعل وَلَّدَ عنده مفهوم التعالي، الذي يعرفه بأنه المعنى الموضوعي الذي ينشأ بعد أن تكون الظاهرة معنى محض في الشعور، إلى ما بعد الارتداد في عالم المحسوسات الخارجية المادية وإلى عالم الشعور الداخلي الخالص[1].

تعبر "القصدية" في **فينومينولوجيا هوسرل** عن خصوصية الوعي باللغة أو جعل هذه اللغة ميزة من ميزات الوعي، حيث إن اللغة في النظرية **القصدية** هي «وسيلة لنقل أفكار الناس وأحاسيسهم، باعتبارها تتكون من الأصوات ذات المعاني، والإشارات والعلامات المفهومة بينهم، يستخدمها المتكلم في قصده للدلالة على التسلسل في طرح أفكاره بحيث يحاول إفهام الآخرين بما يريده، وبكل وضوح ودقة حتى لا يحدث اللبس، أي إخراج الفعل من المعنى التعبيري إلى القوة الإنجازية التي يحوي إليها»[2]، أي أن المؤلف يتوجه وبصورة قصدية نحو إعطاء شكل لذلك الموضوع الأنطولوجي[*]، المشكل من الخبرة الحياتية وصورته الذهنية عن الواقع، وهذا بواسطة اللغة والشكل الفني للعمل الأدبي، أما القصدية فهي الوحدة الموضوعية التي تحقق الانسجام والترابط بين أجزاء الخطاب والعمل الأدبي.

---

(1) ج. هيوسلفرمان، نصيات بين الهرمينوطيقا والتفكيكية، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002، ص 162.

(2) أحمد كروم، مقاصد اللغة وأثرها في الخطاب الشرعي، كنوز المعرفة للنشر، ط1، 2015م، ص 62.

(*) الأنطولوجيا: هي أحد فروع الفلسفة باليونانية بمعنى الكينونة: وهو أحد الفروع الأكثر أهمية في الميتافيزيقا، يدرس هذا العلم في البحث في كشف طبيعة الوجود غير المادي في القضايا الميتافيزيقية المترتبة على المفاهيم العلمية مثل: الطاقة والزمان والمكان والكم والكيف والوجود الذهني.....

في المحصلة، لا يكون المعنى في النص أو الخطاب الأدبي هو نتاج شبكات العلاقات التركيبية والدلالية لهذا الخطاب، بل يكون وجودا متعاليا على الوحدات النصية، وجود مكانه هو وعي المؤلف، وأداته هي **قصدية** ذلك المؤلف.

تتميز باللاثبات، وتدفع باتجاه رسم مؤشرات للمقاصد الكامنة وتحديد الدلالات وتوليدها.

ويهدف تقصي أنواع "القصدية" المتعلقة بأقطاب العملية التواصلية والممتدة في ثلاثة اتجاهات (**مؤلف، نص، قارئ**) إلى الكشف عن البنية اللغوية ورصد تحولاتها وفقا لمعايير اتصالية و"تداولية" للوصول إلى المعاني المحتملة، ذلك أن النص مبني على حقائق لغوية تتحكم في إنتاجه عدة عمليات، ولا استنطاقه إلا في وجود تفاعل حواري متواصل بين الأقطاب الفاعلة وفي إطار جدلية بين عناصر الخطاب.

وترجع أهمية هذا التقسيم في أنه يعمل على تبيان أي هذه الأنواع أسرع إلى إدراك مختلف الرؤى الكامنة التي تحكم النص.

4 - أنواع المقصدية:

أ-مقصدية المؤلف (المنتج):

تُعنى نظرية التخاطب بتحليل النص في ضوء مراد المؤلف ومقصده وتهتم بدراسة الاستراتيجية اللغوية التي تمكن المؤلف من توصيل مقاصده إلى متلقيه، فهو يحوز «إلى جانب مقاصده التواصلية الموضعية مقصدا تواصليا إجماليا، يدرك من خلال مجموع بنى الخطاب»[1]، التي يوجهها الموقف النصي ويقتضيها النظام اللغوي، من كونها صورة ما من صور اللغة تثير قصدا متعددا ومتغيرا يمثل موجها قرائيا يقود المتلقي إلى الكشف عن أبعاد

---

[1] روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، 2003م، ص 206.

النص لإمكانياته الفكرية والمعرفية باحثا عن أهم الافتراضات والاحتمالات التي يمكن تأويلها.

«... ويعبر المرسل عند قصده في الخطاب من خلال اللغة، فإن اللغة تحيل عليه لتحديد معنى الخطاب، ولهذا يحتج صاحب المعنى على أن القصد شرط في بلوغ الكلام تمامه معتمدا على ملاحظة أن الكلام في الشاهد يكون أمارة يما يريده المتكلم بحيث يكون دليلا على مقصود المتكلم أراد أن يبلغ بمقصوده»[1]، هنا نرى أن اللغة أكبر حامل لمقصد المتكلم، حيث أنه يركز ويعتمد عليها لإيصال مقاصده وتبليغها للمتلقي، ويشترط ليعبر المرسل عن مقصده أن يمتلك اللغة في مستوياتها المعروفة خاصة المستوى الدلالي وسياقات استعمالها.

فالمؤلف إذا لا يكتب نصه وفق منزلقات دلالية هشة وعشوائية وإنما ينسجه وفق معطيات دلالية محددة تمنح للنص ثراءه الدلالي وتكسبه معان جديدة، ومعرفة جمة ،تلك المعاني المتوالدة هي خطوة أولى للوصول إلى تأويل يقوم على اكتناه روح النص بالوقوف على حقائقه ومقاصده الخفية، ومن المؤكد أن هذه المقاصد تتحرك على مستويات مختلفة فهي معقدة بشكل مفتوح على فضاءات اللامحدد ضمن الشبكة النصية لأنها تتطلب ربطا بين الوعي واللاوعي، كما أنها تتعلق «بمختلف الشروط الاستراتيجية التي يقصد إليها المتكلم المتلفظ في عملية تخاطبه مع المؤول/القارئ، والهدف منها هو مساعدة هذا الأخير وتوجيهه لفهم دلالات النص»[2]، ولأن النص يتخذ أبعادا متعددة سيكون من العسير حصر مقاصده، لكن سيكون من الضروري خلق إستراتيجية تساهم في تفعيل مسار الرؤية النصية.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 180.

[2] بوشعيب شداق، مقصدية العمل الأدبي بين التقييد والانفتاح، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، السعودية، ج 54، مج 14، 2004، ص 449.

ب-مقصدية النص (القصدية النصية):

النص أو الفضاء النصي أو الحيز كلها تعد نقطة تماس بين القارئ والمؤلف، وبين القارئ والنص ليبدأ التفاعل بين هذه العناصر الثلاثة «**النص عبارة عن تعالقات قصدية بين الجمل، فمادامت الجمل والمقاطع النصية مترابطة فيما بينها داخل نسيج نصي، فإنها مترابطة قصديا ودلاليا أيضا**»[1]. نلاحظ أن هناك علاقة وثيقة بين النسيج والعناصر النصية بالمقصد، بحيث الوجه الأول لمقصد النص يظهر في عناصره البنائية، وانسجام النص وحسن نسجه سيساعد القارئ للوصول إلى المعاني الصحيحة «..... **فالنص يحمل دلالات مختلفة، إما ترجع إلى مدلول داخلي في النص، وإما إلى دلالة خارج النص.... والنص مبني على منظومة ثقافية تاريخية**»[2]. فحمولة النص اللغوية تعكس الثقافة، البيئة والعصر، وهنا مقصدية توجه القارئ في بناء توقعه فنقول بأن النص يتحكم في توجه مقصدية أو تفاعل القارئ مع مضمونه، وهذا ما ركز عليه "فان ديك" عندما وضح أن النص يحتوي شفرات ثقافية واجتماعية تحدد نوع قارئ هذا النص، ومنه فالنص هو من يكشف عن نوع المتلقي الذي سيتفاعل معه.

وتجمع القصدية النصية بين اللاوعي والوعي لتمنح النص فسحة دلالية أوسع وطاقات إيحائية أعلى تتكئ على رؤية تكثيفية تقوده إلى دلالة المعنى المتوالد ليعطي: «داخل حافز اللاوعي بعدا تناظريا جوهريا، والمعنى يمتد بناء على اللغة المقاربة للتوتر النفسي في زمن كتابة النص، وهذا ما يجعل النص متغير الدلالات، ولكن يبقى المعنى الخفي واحد»[3]. فالقصدية النصية تتحكم بكل فعل لغوي وتحاول أن تخلق معناه الظاهر والمضمر كون النص بحاجة إلى ذاكرة جديدة ليحافظ على تكثيفه.

[1] عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، الجزائر، د ط، 2007، ص 159.

[2] اليامين بن تومي، مرجعيات القراءة والتأويل عند ناصر حامد أبو زيد، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، 2011، ص 199.

[3] عباس باني المالكي، قراءات في مسارات الرؤيا، انطولوجيا، د ط، دار العنقاء، عمان، 2013م، ص 35.

ج-المقصدية والقارئ: (أفق الارتباط، التوقعات).

هناك تراتبية بين مقصدية النص ومقصدية القارئ، فالثاني متعلق بالأول ومرتبط به، فالنص يحمل نقاط ومواطن استفزاز من شأنها إعاقة وتشويش مقصدية القارئ وأفق توقعه، لذا نجد أن المتلقي يدخل للنص مسلحا وهذا باستعداد عقلي وذهني ونسقي يساعده على تذوق النص ومعالجته، وقدرة القارئ هذه تتمثل في المكتسبات والثقافة وحس ذوقي يمكنه من الولوج إلى بواطن النص «.... عمل القارئ لا يقتصر فقط على تنشيط النص، وإنما بإعادة استحضار موروثه الثقافي الذي يشكل المرجع، من كون النص هنا رسالة شكلها أطراف مختلفة: وهنا يكون دور القارئ والقراءة متمثلا في استحضار هذا المتصور الذهني الغائب، ومنه تبرز فاعلية دور القارئ في استعمال النص»[1].

وبالتالي يمكن القول بأن مقصدية القارئ تبدأ في البحث عن طريقة لمعالجة النص وتأويل معانيه وهذا بمعرفة خلفيته الثقافية والفكرية، لأن النص هو شكل ورمز لمنظومة ثقافية، والقارئ الناقد والمنتج وحده من يمر عبر الأسطر إلى المقصد الحقيقي للنص لينتج متخيلا للنص «**تتحدد القراءة النشطة بالتحريك الرمزي للنص، أي التعامل معه باعتباره منظومة سيميائية وليس كنسق من الأفكار أو مركبا من الدلالات، أي من خلال بناء الأفق وتعديله، وتتأسس عملية الفهم والإفهام وفتح الحوار مع النص، لأن القراءة هي مستقبل النص، وبهذا يتم إنتاج متخيل النص**»[2]. وبالتالي نجاح تفاعل القارئ مع النص مشروط بقدرته على القيام بفعل قرائي تام الأركان والمراحل: الفهم والشرح والتفسير، فالتركيب والتأويل.

(1) اليامين بن تومي، مرجعيات القراءة والتأويل عند ناصر حامد أبو زيد، ص 25.

(2) حسين خمري، سرديات النقد (في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر)، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011، ص 13.

د – مقصدية الدلالة ومقصدية اللفظ:

إن اهتمام "سيرل" **بقصدية العقل** لم يبعده عن الاهتمام بدراسة اللغة، بل إنه اعتمدها آلية لشرح وتفسير القصدية.

وقد عمد إلى تفسير القصدية العقلية من خلال التفريق بين قصديتين لغويتين هما: **قصدية الدلالة وقصدية اللفظ**، مبينا أنه لا غنى عن فهم الأدبيات المعاصرة عن القصدية إن لم ندرك الفرق بينهما.

فالقصدية الدلالية: هي تلك الصفة في العقل التي تمكنه من التوجه نحو الأشياء أو الحالات الواقعية في العالم، باستقلال عنها.

وأما القصدية اللفظية: فهي صفة تخص جملا وقضايا موجودات لغوية.

5 – المقصدية في الدراسات القديمة:

أ–الدراسات النحوية:

بني النحو العربي في أغلب أبوابه على نظرية العامل، وكان النحويون يعنون بالتغير الذي يحصل في آخر الكلمة في أثناء الجملة، إذ «**كان هذا التغير يلفت انتباههم فأقبلوا عليه تعليلا وتفسيرا في هدي الفكرة التي رأوها أساسا ينبني عليه الدرس النحوي، أعني فكرة العمل وفكرة العامل**»[1].

فكان انشغال النحويين بفكرة العامل وارتباطها بقضية الإعراب جعلهم يقصرون النحو على أنه الإعراب فقط، وقد شاع هذا الفهم عند بعضهم وربما نتساءل ما السبب في هذا الخلط بين الإعراب والنحو؟ وما السبب في أن النحويين قد عرفوا النحو بأنه الإعراب؟ وقد أجاب د.أحمد سليمان ياقوت قائلا: «السبب يرجع في رأيي إلى أن الإعراب كان سببا في نشأة النحو فسمي باسمه، واستأثر الإعراب باهتمامهم، وأصبح المحور الذي يدور حوله

---

[1] مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد، بيروت، لبنان، ط2، 1986م، ص 65.

النحو وغيره من الدراسات اللغوية»[1]. فكانت الغاية البارزة عندهم من علم النحو هي البحث في ظاهرة اختلاف العلامات الإعرابية، وكان تفسيرهم معتمدا على تصورهم لفكرة العامل النحوي.

ولكن غاية النحو ليست مقتصرة على تحديد الصواب والخطأ عن طريق العلامة الإعرابية، بل إنها تتعدى ذلك للإجابة عما في نفس المتكلم من **مقاصد**، إذ «**ليست غاية النحو هي معرفة الصواب والخطأ في ضبط أواخر الكلم فحسب، وإن كان المتتبع لتحديد النحو يلحظ أن النحاة المتأخرين هم الذين يجعلون غاية النحو هي تمييز صحيح الكلام من فاسده**»[2]. لأنهم كانوا يقصدون بذلك الغاية التعليمية بعد أن شاع اللحن في ألسنة العرب.

لقد اعتد النحو العربي منذ نشأته بالمعنى في تعقيد الأحكام النحوية، فـ «**كان النحو عند علمائنا الأوائل نظاما متكاملا من الرموز والعلامات التي تدل دلالات لفظية ومعنوية على المعنى الذي ينوي العربي التعبير عنه.... ولم تكن الألفاظ عند النحاة الأوائل هي المقصودة وعليها مدار بحثهم... بل هي أدوات للتعبير عن المعاني التي يقصدونها**»[3].

ويشترط علماء العربية **قصد المتكلم** في الكلام لتكون له دلالة معلومة، ولا بد من أن يكون المتكلم مُريدا لدلالة معينة دون غيرها، فالدلالة عندهم هي فهم المعنى المقصود لا فهم معنى الكلام مطلقا، لأن الكلام «**لا يكون كلاما حتى تحصل من الناطق إرادة توجيهه إلى غيره، وما لم تحصل منه هذه الإرادة، فلا يمكن أن يعد متكلما حقا**»[4].

---

(1) أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، دار المعرفة، مصر، 1994م، ص 16.

(2) محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، ط2، 2006، ص 29.

(3) كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006م، ص 22.

(4) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 214.

وأدرك النحويون العرب –في تقعيدهم الأحكام النحوية– العلاقة القائمة بين ما نطقت به العرب وما أرادته من العلل والأغراض والمقاصد المنسوبة إليها، فقصد المتكلم يؤثر من ضبط الوظائف الإعرابية وتحديدها على الوجه الذي ينبغي أن تكون له، وهو «**قرينة تساعد في تحديد الوظيفة النحوية للكلمة وبيان دورها في التحليل النحوي للجملة**»(1).

فقد اعتمد النحويون العرب على قصد المتكلم وغرضه من الكلام بوصفه قرينة تداولية في توجيه كثير من المسائل النحوية، بيد أنه لم يستقر مصطلحا متداولا عندهم، فهم «**لم يتعاملوا مع النصوص على أنها مبتورة عن قائليها، بل اهتموا بقصد القائل ونيته، حتى إنهم فسروا كثيرا من النصوص معتمدين في تفسيرهم على نية القائل**»(2).

ولو توقفنا عند كتاب **سيبويه (ت 180هـ)** لوجدنا أن الوصف النحوي الذي قدمه ليس جامدا خاليا من الدلالة، بل إنه وصف العلاقات التي تربط أجزاء الجملة الواحدة بعضها ببعض، وهذا الوصف يعني وصف كل العناصر اللغوية وغير اللغوية من أجل توضيح المعنى، فالنحو يقوم على المعاني والأغراض التي يريد المتكلم إبلاغها إلى السامع، ولم يغفل سيبويه مقاصد المتكلم في توجيه كثير من الأحكام النحوية.

لقد اعتمد سيبويه على قصد المتكلم في توجيه أغلب الأحكام النحوية، فرأى أن الحذف الذي يطرأ على عناصر التركيب يرجع إلى المقاصد التي تقع في ذهن المتكلم فجواز الحذف وامتناعه مشروط بإرادة المتكلم لبعض المعاني دون غيرها، إذ يقول في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين: «**وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخر، وذلك قولك: (حسب عبد الله زيدا بكرا، وظن عمر وخالدا أباك، وخال عبد الله زيدا أخاك)... وإنما منعك أن تقتصر على أحد المفعولين ههنا أنك إنما أردت أن تبين ما استقر عندك**

---

(1) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص 200.

(2) جزاء المصاورة، أثر البنية في الدرس النحوي عند القدماء، مجلة أردنية في اللغة العربية، الأردن، ع2، مجلد2، 2006، ص 25.

من هو، فإنما ذكرت (ظننت) ونحوه لتجعل خبر المفعول الأول يقينا أو شكا، ولم ترد أن تجعل ألأول فيه الشك أو تقيم عليه في اليقين»[1].

فسيبويه ينفذ إلى نفس المتكلم فيفسر له ما لا يجوز من التراكيب معتمدا على المعادلة المتحققة من **قصد المتكلم** والمعنى والفائدة، فلا يجوز الاقتصار على أحد المفعولين مع أفعال القلوب، لأن هذه الأفعال تدخل على مبتدأ وخبر لتبين اليقين في الخبر أو الشك، والاعتماد في هذه الأفعال يكون على المفعول الثاني، لأن اليقين أو الشك فيه وليس في الأول ومن المعلوم أن اليقين أو الشك لا يكون إلا في الأوصاف التي تكون في المفعول الثاني.

نستنتج مما سبق أن سيبويه حرص حرصا شديدا على معرفة الفهم الصحيح عند العرب في استفساره عند مقاصدهم في أقوالهم وفي أمثالهم مشددا على ضرورة معرفة نية المتكلم وأثرها في تحديد معنى الجملة.

ب-الدراسات البلاغية:

تعد **القصدية** من أظهر مبادئ البلاغة العربية التي رسمت بها البلاغة قوانين صناعة الخطاب وتفسيره رسما يبرهن على أن البلاغة العربية نظرت إلى تحقيق العملية الابلاغية من ثلاث زوايا: زاوية **المبدع المتكلم**، وزاوية **المتلقي** أو **المخاطب**، وزاوية **النص البلاغي** الذي ينبغي أن يتطابق فيه قصد المتكلم مع اللفظ المختار أو التركيب لأداء العملية الإبلاغية.

ووظيفة البلاغة هي وصف الأساليب الخاصة في استعمال اللغة وتصنيفها بحسب تمكنها في التعبير عن أغراض المتكلم "ومقاصده" الفنية تعبيرا يتجاوز الإبلاغ إلى التأثير ولذلك وصف بعض الباحثين علم البلاغة بـ "**علم المقاصد**" لأننا نتكلم في الأغلب من أجل أن نبلغ قصدا معينا[2].

---

(1) سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مصر، ط4، ج1، 1425هـ/2004م، ص 40.

(2) مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1995م، ص 11-12.

وتتجلى علاقة اللفظ بالمعنى الذي يريده المتكلم في الدرس البلاغي «**لأن البلاغة تقوم في أصل وضعها على إرادة المتكلم إيصال معنى من المعاني أو فكرة من الأفكار إلى الشخص المقصود بالكلام حسب كيفيات معينة، تتحدد بنوع العلاقة القائمة بين الدال ومدلوله**»[1]. كما أكدت البلاغة العربية ضرورة قيام التناسب بين مقام المبدع ومقاله، وتحقق مقتضى حاله ومعانيه، فمراعاة جميع حالاته الإدراكية والثقافية والاجتماعية في العملية الإبداعية سينفي بلاغة النص.

وبدا ارتباط القصد بالمعنى واضحا عند البلاغيين، إذ «تستعمل كلمة المعنى في الكتابات العربية القديمة استعمالات متعددة هي على التقريب: الغرض الذي "يقصد" إليه المتكلم»[2]. إذ يرتبط المعنى بما يريد المتكلم أن يثبته أو ينفيه من الكلام إلا أن المعنى الذي يريده المتكلم قد يكون مطابقا لقصده وقد لا يكون اعتمادا على بلاغته وقدرته على الإجابة.

فقد كشف **الجاحظ (ت 255هـ)** في مشروع البيان العربي عن المعاني التي يقصدها المتكلم، فعرف البيان بأنه: «**اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير... لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع**»[3]، ويرى الجاحظ أنه: «**لا خير في كلام لا يدل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك وإلى العمود الذي إليه قصدت، والغرض الذي إليه نزعت**»[4]، فربط بين القصدية والوظيفة الجمالية للبلاغة العربية، وأكد مراعاة الأغراض والمقاصد المرجوة من الكلام، لأن الكلام المجرد منها لا خير فيه ولا فائدة منه.

---

(1) حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، دار الكتاب، بيروت، لبنان، ط3، 2010م، ص 45.

(2) مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 38.

(3) أبو عثمان عمرو بن بكر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، مصر، 2003م، ص 76.

(4) الجاحظ، البيان والتبين، مصدر سابق، ص 116.

وأكد الجاحظ أن طرفي الخطاب يتمم أحدهما الآخر، ولذا نجده يجمع هذين الطرفين ويوكل لكل منهما وظيفة خاصة به إلا أنه يعتني بالمتكلم أكثر من المخاطب، إذ يقول: «**والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم، وكذلك المعلم والمتعلم....**» [1].

وهذا النص يبين أن للمتكلم المنزلة الكبرى في نظرية الجاحظ البلاغية، وأنه لا يعطي القارئ وظيفة إبداعية تقوم على إعادة خلق النص واكتشافه، بل يجب أن يجده حسب ما وضعه مؤلفه، وعلى المؤلف أن يعرف كيف يوصل ما يريد بطريقة تجعل عملية التوصيل واضحة.

وجعل عبد القاهر **الجرجاني (ت 471هـ)** المتكلم محل عنايته الفائقة فقد أولت نظرية النظم عنده عناية كبيرة بالمعاني التي يقصدها، وجعلها الأساس الذي تبنى عليه التراكيب اللغوية، فالمعاني القائمة في النفس أسبق من الألفاظ، فالمتكلم يسعى عند إنشائه التركيب اللغوي إلى إيصال أغراضه ومقاصده مرتبة في النطق بحسب ترتبها في النفس، ويدخل القصد عنده عاملا موجها لاختيار الألفاظ وترتيبها.

5 – المقصدية في الدراسات الحديثة :

أ – المقصدية واللسانيات النصية: "التداولية النصية".

ظهرت اللسانيات النصية في نهاية الستينيات من القرن العشرين واكتملت في بداية السبعينات، وهي منهج لساني يسميه بعض اللغويين **(نحو النص)** ويسميه بعض آخر **(اللسانيات النصية)**، ويتكفل هذا المنهج بدراسة بنية النص معتقدا أن النص ليس مجرد تتابع مجموعة من الجمل، وإنما هو بنية لغوية متنوعة متكونة من أكثر من جملة يحكم مكوناتها الاتساق والانسجام، وبذلك توسع مجال الدراسة اللسانية ليشمل النص كله خارجا

---

[1] الجاحظ ،البيان و التبيين ، ص 12.

عن قيود نحو الجملة[1]. فالجملة في النص ذات دلالة جزئية ولا يمكن أن تتقرر الدلالة الحقيقية لكل جملة في داخل ما يسمى بكلية النص إلا بمراعاة الدلالات السابقة واللاحقة في ذلك التسلسل (التتابع الجملي)، إذ ينظر إلى النص مهما صغر حجمه بوصفه بنية كلية مترابطة الأجزاء، فالاعتداد هذا ليس بالامتداد الطولي للنص، بل بالأبنية الكبرى المتلاحمة داخليا التي يقدمها النص، فالجملة في النص لا تُفهم منفصلة عن غيرها، إنما تسهم الجمل الأخرى في فهمها، وما يعاب على اللسانيات النصية في الدراسات القديمة أنها ركزت على الجملة وأهملت السياق. [*]

وتسعى اللسانيات النصية إلى تحديد وسائل بناء النص وآليات انسجامه واتساقه وتحقيق التماسك النص بين الأبنية اللغوية المختلفة، معنى هذا أن النص ليس مجرد مجموعة من الجمل لا رابط بينها، وإنما هو بنية مركبة متماسكة ذات وحدة كلية شاملة تقوم على نظام داخلي متين، أساسه علاقات نحوية ودلالية تربط بين أجزاء النص، ومن أبرز ما تدرسه اللسانيات النصية أثر السياق في الظواهر اللغوية التي تكفل للنص ترابطه وانسجامه مثل: الربط والتكرار والإحالة، ودراسة مختلف العلاقات بين الجمل ومدى انتظام هذه العلاقات في نصوص متشابهة[2].

وللنص معايير ذكرها أغلب علماء النص لا بد من وجودها وبفقدانها يفقد النص قيمته ودرجته، وأبرز هذه المعايير: **التساق (السبك)، الانسجام (الحبك)، فالقصدية والمقبولية، والمقامية (الموقف) والتناص والإعلامية.**

---

[1]. سعيد حسن بحيرى، علم لغة النص –المفاهيم والاتجاهات– الشركة المصرية، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1997م، ص 01.

[*] احتج بعض الباحثين على (نجو الجملة) بأنه قد أهمل السياق الاجتماعي للغة، وهو ما أراه غير مطابق لما جاء في التراث اللغوي العربي الذي يعده بعض الباحثين أنموذجا لنحو الجملة، إذ تجلى أثر السياق الاجتماعي في توجيه كثير من المسائل النحوية، ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية، القاهرة، 2006م، ص 67.

[2] سعيد حسن بحيرى، علم لغة النص، ص 135.

فالمقصدية أحد المعايير السبعة التي تحقق النصية في الخطاب، وهي «**اعتقاد المنشئ أن سلسلة الأحداث القولية التي ينتجها يمكن أن تشكل نصا مسبوكا.... يكون أداة لتحقيق مقاصد المنشئ، كأن ينقل معرفة أو يحقق هدفا جرى توصيفه في إطار خطة موضوعة**»[1].

ويرى **(فان دايك)** –من المؤسسين البارزين لنظرية النص– أن المتكلم هو الذي يوجه الخطاب إلى المتلقي بواسطة نص يحمل مقاصده بشرط أن يكون مفهوما لدى المتلقي، ويكون القصد عملية تعاون ومشاركة بين المتكلم والمخاطب، إذ يقول: «**فكل فعل لغوي يكون ناجحا إذا علم المخاطب قصد وإحالة العبارة، وإذ كان للمتكلم غرض ينبغي بموجبه أن يشكل المخاطب هذه المعرفة**»[2].

ويشترط (فان دايك) وجود معرفة مسبقة بالنتائج لكي يتشكل **القصد** لإنجاز حدث ما «**إذ من الضروري لكي يتشكل قصد عقلي امتلاك معرفة مسبقة عن النتائج الممكنة عن مجال الحدث، أي: عن كم الأحداث التي يمكن أن ننجزها أساسا عن خواص العالم الذي نجذب إليه حدثنا**»[3].

أما اللغوي الأمريكي "**روبرت دي بوجراند**" الذي اتضحت معالم الدراسات النصية أكثر معه في الثمانينات من القرن العشرين فهو يرى أن القصد «**يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قُصِد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها**»[4]. فالنص لا يكتسب دلالة حقيقية إلا باستحضار قصد المتكلم، وعلى المتكلم أن يختار الوسائل اللغوية

---

(1) أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي، في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2008م، ص 157.

(2) فان دايك، النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص 266.

(3) المرجع نفسه ، ص 127.

(4) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م، ص 103.

المناسبة، التي تضمن له تحقيق قصده، وأن يراعى المعايير النصية التي تجعل النص يتسم بالاتساق والانسجام.

ب – المقصدية والتداولية : "المقصدية التداولية"

ما يجمع بين **المقصدية والتداولية** أصعدة دلالية كثيرة، فكل منها له صلة بالسياق وطرق استدلاله، على أن الصلة الفعلية بينهما هو أن مفهوم التداولية يمثل مجموع الآليات الاستدلالية التي يقف عندها السياق، **والمقاصد** هنا هي المستدل عنها في سياقها، أي أن نميز بين معنى العبارة ومعنى المتكلم (الغرض/النية) بمعنى هناك غرض (خبر) وهناك نية (وجهة) إن **المقاصد تستدل من التداولية آلياتها**، ضمن منظومتها السياقية والمقاصد كما أشرنا لا تكتفي بالبحث في الأحكام، بقدر ما تبحث في ثمرة الأحكام، هذه الثمرة أو مفهوم القيمة هو ما يحدد صلة المقاصد بالدلالة، لأن دور التداولية هو في تخريج الأحكام أو تكييفها، من هنا يصف البعض التداولية على أنها «... دراسة الطرق التي تتجلى بها المقاصد في الخطاب، ومن أبرز الخطابات التي تدل على ذلك، تلك الخطابات التي تشتمل على الأفعال اللغوية سواء أكانت تقف عند المستوى الإنجازي أم تتجاوزه إلى المستوى التأثيري»[1].

وقد شكل ظهور نظرية أفعال اللغة صلة جديدة بين المقصدية والتداولية على أساس أن كلا منهما آلية لإنجاز وتحقيق الدلالة، فكون النص أو الرسالة تتضمن مؤشرات دلالية لغوية واصطلاحية، هذا لا يعني أن الدلالة ستقف عند حدود هذه المواضعة، بل سيتجاوزها الاستخدام والإنجاز الخاص للمستخدم، فمن ذلك تتولد الدلالة، وتتولد معها آليات استدلالية جديدة.

ويوفر النص لعبة دلالية للمتلقي، لا تخرج قواعدها عن إطار اللغة المستعملة، وكذا تضمين الكلام شواهد وأفكار وأقوال متداولة، فالأثر الإنجازي لها هو ما سيحقق توسيع

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 198.

الدلالـة، لأن استحضـار هذه الشواهد داخل سياق معين، يحقق إنجـازا تـداوليا علـى مسـتوى الفهم والتجلي[1].

وقد أتاح تفاوت المفاهيم وتداولها ضمن تحقق المقاصد، تعددا نوعيا للتفاعلات داخل الخطـاب، «لـم يكـن فـي لغـة مـن لغـات البشـر، ولا كـان نـوع مـن أنواعـه وأسـاليبه فـي اللغـة الواحدة، بالذي يكفي في الدلالة المعبر عنها بالنص، الذي يفيد معنى لا يحتمل غيره، ولكن تفاوت دلالـة ألفاظ اللغات ودلالـة أنـواع كـلام اللغـة الواحدة، تفاوتـا فـي تطـرق الاحتمـال إلـى المراد بذلك الكلام، فبعض أنواع الكلام يتطرقه احتمالا أكثر مما يتطرق إلى بعض آخر، وبعـض المتكلمـين أقـدر علـى نصـب العلامـات فـي كلامـه علـى مـراده، منـه مـن بعـض آخر»[2].

لقد نشأت "التداولية" من خلال نظرية أفعال اللغة دون اعتبار للنتائج المترتبة، بينما قامت "المقصدية" على أساس أفعال اللغة وتبيان ثمرتها، فكلاهما ينطلق من منطلق واحد وهو السياق، لكنهما يختلفان في آليات التوظيف وترتيب الأسباب وتحقق النتائج.

لقد كان منظور البعض إلى هذا التوافق والاختلاف بينهما، هو نتيجة قصور استدلالي واقعي، رغم أن النظرية المضادة للمقصدية، تذهب إلى الخصائص اللغوية المشتركة بين فئة من الناس هي التي تحدد المعنى، إذ من خلال معرفتنا المعجمية والتركيبية والدلالية يتوصل إلى ضبط معنى النص، فالخصائص اللغوية تؤدي إلى الفهم والتأويل، واستغناء مطلق على البنيات الخارجية لأنه مستمدة من المواصفات العمومية للاستعمال.

إن **ديناميـة المقصـدية** وفضـول التداول هو مـا يسمح قيـام سقف دلالـي فنـي بامتيـاز يتفاعل فيه **المعنى والمبنى**، ولا يكتفي بما يقدمه الأثر من دلالـة، ولهذا فإن المقصدية هي **«.... وسط بين طرفين متضادين التأويلات اللامتناهية التـي قد تكون متناقضـة، والتأويل الحرفي الوحيد، إذ هي تنطلق من ثبات المعنى لثبات مقاصد المؤلف، ومن تغيرات التأويل**

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ، ص 198.

(2) المرجع نفسه، ص 200.

الخاضع لإلزامات عصر المؤلف، والسياق الذي يعيش فيه»[1]. كذلك الحال مع التداولية إذ السياق دافعها الأول، ولهذا يصفها البعض على أنها دراسة هيمنة المقام على معنى العبارة، فالمعنى تداوليا **ليس معطى أوليا سابقا على التداول من قبل المستعملين السابقين لكن تلك المعاني لا تلبث أن تتغير، متى ألقي بها متداول من جديد، فعلامات النسق اللغوي يمكن أن تحتمل تأويلات متعددة، حسب الانشغال الآلي وحسب النية الموجهة للتواصل.**[2]

إن المقصدية والتداولية آليتان تفاعليتان، تتوازن من خلالهما مباحث الدلالة ومعطياتها المقامية، وينبغي أن يقوم الفهم على مقاصد دلالية توليدية وتحويلية بتداولات مفعلة ولهذا استفادت التداولية من المكتشفات المعرفية، وأفادت بدورها هذه المعارف، إذ تعتبر تفاعلاتها ذات الصلة بمكونات معرفية على غرار علاقة علم النفس المعرفي وعلم الاجتماع مثلا من أبرز التفاعلات الشهيرة إيجابا على صعيد التحصيل الدلالي.

وتشترط القصدية لتحققها في الخطاب وفق مقولات التداولية **أداء فعليا** بوصفه **فعلا إنجازيا** لا مناص له أن يتجسد بذاته، ويترتب على ذلك انفتاح فجوة بين الذات ورغباتها واعتقاداتها وتأويلها والقرار الفعلي[*]. هذا ما يجعلنا نتساءل عن علاقة المقصدية بالأفعال الإنجازية؟

ج – المقصدية والقوة الإنجازية:

تنعت القصدية فلسفيا بأنها الإرادة المتوجهة نحو الفعل، وهي تلك السمة للحالات العقلية التي تتعلق بموضوعات فعلية خارج ذاتها، مع نية وتوجه حاضرين مرتبطين **بالفعل،** وهي دلالة تقترب من المفهوم اللغوي **للقصد** الذي يعني النية والعزم على التوجه إلى تحقيق

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 216.

(2) بول ريكور، صراع التأويلات ودراسات هرمينوطيقية، ترجمة: منذر عياشي، مراجعة: جورج زيداني، دار الكتاب الجديد، ط1، 2005م، ص 177.

(*) أي أن هناك عدد من ألأفعال التأثيرية لا يجب أن تؤدي قصديا بالضرورة قد تقنع شخصا بشيء ما، أو تزعجه أو تحيره دون أن تقصد ذلك.

الفعل وإيجاده[1]، معنى ذلك أن أي ارتباط للذات مع العالم أو الواقع الخارجي باتجاه موضوع معين يطلق على ذلك الارتباط **بالقصدية**، وهو مصطلح يحمل في طياته طابعا عموميا، نظرا لحالات التوجه المختلفة التي تكتسبها الذات أو العقل مع ما حوله من الحالات أو الأشياء الفعلية في العالم[2]. فخواص المقصدية طبقا لما ذكرناه تتحدد بسمتين: تتمثل الأولى: **بالسمة العقلية أو التمثيل العقلي**، وتتمثل الثانية: بخاصية **التوجه أو التعلق**، وتتبع هاتين السمتين خاصية **الإنجاز والإيجاد**.

وبما أن **قصدية العقل** تعتمد في الأساس على **قصدية اللغة الاستعمالية** وتعد جزءا منها، لذا لا يمكن تفسير القصدية إلا بالاحتكام لهذا الأخير لتوضيحها، والقصدية في الاستعمال اللغوي تترجم بمعنى الغرض أو الغاية التي يريد المخاطب أو المتكلم تحقيقها من الخطاب في الوظيفة التواصلية الحامل بها للمتلقي، ومن هنا عدت القصدية إحدى القرائن المهمة في تحليل الخطاب اللغوي عموما والنحوي منه خصوصا، حيث توظف سياقيا لإظهار الطاقة الإنجازية والأداء الفعلي الإبلاغي المميز للتركيب[3]، ذلك أن الخطاب أو النص يحافظ على وجوده وحضوره الحقيقي عبر هذه القرينة، وهي ظاهرة ملازمة له في جميع حالات الإنجاز التداولي.

ولقد شكل ظهور نظرية **أفعال اللغة**، صلة جديدة بين المقصدية والتداولية، على أساس أن كل منهما آلية **لإنجاز** وتحقيق الدلالة، فكون النص أو الرسالة تتضمن مؤشرات دلالية لغوية واصطلاحية، هذا لا يعني أن الدلالة ستقف عند حدود هذه المواضعة، بل سيتجاوزها الاستخدام والإنجاز الخاص للمستخدم، فمن ذلك تتولد الدلالة وتتولد معها آليات استدلالية جديدة.

---

(1) ابن منظور لسان، مادة (قصد)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1994م، 353/3.

(2) عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م، ص 647.

(3) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة للنشر، بيروت، 2005م، ص 02.

ويوفر النص لعبة دلالية للمتلقي، لا تخرج قواعدها عن إطار اللغة المستعملة، وكذا تضمين الكلام شواهد وأفكار وأقوال متداولة، فالأثر الإنجازي لها هو ما سيحقق توسيع الدلالة من قبل المتلقي، وهذا ما يحقق فعلا اعتبار التداولية فعلا إنجازيا يتحقق داخل السياق ولا شيء غير السياق، وإنجاز الأفعال يتوقف على الاستخدام وبالتالي يصبح «معنى الملفوظات هو القيمة التي يكتسبها تركيب الخطاب في سياق التلفظ، أي أن المعنى كقيمة للملفوظ لا تتحكم فيه اللغة، بقدر ما يتحكم فيه مستعملوها»[1]، وهذا ما أشارت إليه التداولية وركزت عليه أثناء حديثها عن استعمال اللغة في سياقاتها المتعددة.

ومحصلة القول: **التداولية آلية تتجلى بها المقاصد، والقصدية قرينة تداولية في إنجاز الخطاب**، فكل منهما اشتغل على اللغة وأبانا عن تقارب أكثر بينهما، في سبل تحقق المقاصد.

لقد نشأت التداولية من خلال نظرية أفعال اللغة، لتقدم **إنجاز** الأفعال دون اعتبار للنتائج المترتبة، بينما قامت **المقصدية** على أساس أفعال اللغة وتبيان ثمرتها، فكلاهما ينطلق من منطلق واحد وهو السياق، لكنهما يختلفان في آليات التوظيف وترتيب الأسباب وتحقق النتائج.

ويمكن القول أيضا أن القصد هو الهدف من القول أو الغاية التي يضعها المتكلم لكل خطابه اللغوي، حيث إن **إنجاز الأفعال اللغوية** هو وعي للأنا بغايات خطابها وإدراكها للأشياء، فتكون **القصدية** إحالة **للأفعال المقومة للألفاظ**، وإحالة للأفعال المقومة للمعاني، وفق نظام **إحالة عقلي**، أي أن تتجه الأنا إلى النحويات القصدية بوصفها القاعدة الأساسية لكل إنجاز عبر اللغة.

---

(1) عبد الله الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 23.

د – المقصدية والتواصل:

ينتج المتحدث/المتكلم خطابه وفق منظومة من الاستعمالات لتشكل اللغة في مجمل مفاهيمها الاتصالية أفعالا لغوية تتحكم **القصدية** في دلالتها، وهي من تحدد أشكالها وتعطيها معانيها، وهذا ما يجعل من القصدية مسارا منهجيا وطرحا هاما في اللغة والتأويل النقدي.

يعرف **القصد** في نظرية **التواصل –التواصلية–** على أنه «آلية تتم بها فعل الاتصال بين نص وقارئ مثلا وتعني إدراك **الباث أو المتلقي** الرسالة إدراكا نظريا»(1).

ويعني **القصد الإشاري** بلغة **غريماس** السيميائية كل العناصر اللسانية وضمائر – إحالات– أدوات–إشارة– التي يسعها أن تحيل إلى ظروف التلفظ ومتعاطيه(2).

وهناك قصدان معنيان في هذا الاتجاه «القصد الإعلامي والقصد الاتصالي فالقصد الإعلامي هو اخبار المرسل إليه بشيء، أما القصد الاتصالي فهو إخبار المرسل إليه بالقصد الإعلامي..... »(3)، حيث يتحقق إيصال الرسالة بين باث ومستقبل، انطلاقا من توفر هذه العناصر على سياق تفاعلي الذي توفره عناصر هامة أخرى في عملية التواصل كالقناة مثلا سواء أكان ما ينتج من قبل الطرفين تلقائيا، أو بما توفر من مهارات خاصة أو ما توفره الوسائط التي تهيئ ما يناسب لتحقيق الفعل. لقد استفادت نظرية التواصل من نظريات كثيرة في ذلك «إن هذه النظرية –التواصل– هي توليف بين نظريات مختلفة إذ هي تنتمي من نظرية العمل التاريخية الاجتماعية وهي تمنح من نظرية الأفعال الكلامية ونظرية اللعب اللغوي وغيرهما»(4).

---

(1) محمد نعار، المقصدية في الخطاب السردي المعاصر –الرواية المغاربية أنموذجا– رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات تلمسان، 2014م، ص 61.

(2) المرجع نفسه، ص 62.

(3) عبد الله الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 193.

(4) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري –استراتيجية التناص– المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992م، ص 230.

لقد استفادت كثيرا نظرية **الاتصال**، من استدلالات **المقصدية** فقد أتاحت لها سبل **تداول الآليات الفاعلة لإنجاز الفعل التواصلي وتحقيقه** بالالتفات إلى عناصر ثانوية فرعية سيكون لها أثر بالغ وحاسم. لقد كان مرد هذا الاهتمام مصادر بحوث جديدة، تعلقت بإنتاج التفاعل وتوجيه استعمالاته، مع حقول أخرى **كالمقصدية** خصوصا، إذ أتاحت له استثمار رأسماله الرمز بتداولات جديدة، واقتصادا نوعيا للغة، وبهذا أصبح الخطاب ضمن هذه التفاعلات بمنأى عن الإيديولوجية أو الأعراف...

شكلت تلك العناصر وتيرة حيوية، وامتزاجا نوعيا، وتفاعلا تداوليا وسياقيا بين **الخطاب المقصدي ونظرية التواصل**، من منظور سياقي عام، تجلى في نظرية **أفعال اللغة** كما يصف ذلك "محمد مفتاح" «وبات ضروريا أن يتعقب ويحتوي محلل الخطاب نظرية العمل هاته، بناء على أرضية تنظر **إلى الفعل التواصلي كإنجاز فعلي لمقصد معين**، وقد استخلص محلل الخطاب من هذه العملية، عناصر ثلاثة تتحدد بها المقاصد:

*"فعل التواصل" هو تحويل للمتكلم والمخاطب ولعلاقتهما في آن واحد.

*"فعل التواصل" يتحدد بهدفه.

*كل "فعل التواصل" هو في الوقت نفسه يتيح حصيلة مختلفة من مجرد وجود تعبير شفهي أو كتابي»[1] .

وللنص عند "محمد مفتاح" مظاهر تتشكل به دلالته فهو «لا يتمظهر في شاكلة واحدة وإنما من كيفيات مختلفة، وراءها **مقصدية المرسل** ومراعاة **مقصدية المخاطب، والظروف** التي يروج فيها النص وجنس النص، وهذه الماورائيات نفسها تؤدي إلى اختلاف استراتيجيات **التأويل** من عصر إلى عصر ومن مجموعة إلى مجموعة، ومن شخص إلى شخص، بل إن الممارسة التأويلية الشخصية دينامية»[2].

(1) محمد مفتاح، دينامية النص، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2006م، ص 28.

(2) محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال، ط3، 1990، ص 89.

أي كل شخص يؤول النص حسب رؤيته، ومخزونه الثقافي مقصدية خاصة به مع مراعاة السياقات التي ورد فيها هذا الخطاب مما يجعلها تتسم بالحركية والدينامية.

هذا ما يدفعنا للتساؤل: كيف تتم عملية تأويل الخطاب الشعري؟ للوصول إلى مقصدية الشاعر (المؤلف) من خلال قصدية النص؟ وهل يشتمل النص الشعري على تأويل واحد أم أنه منفتح على تأويلات عدة؟

هـ - المقصدية والتأويلية (وعلم التأويل).

يُعنى التأويل باكتشاف المعنى الصحيح للنصوص وهو «صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله»[1]، ويبحث في الأغلب عن المعاني غير الظاهرة في النص بما يلائم قصد المتكلم وإرادته.

إن علاقة **القصد بالتأويل** علاقة وثيقة، بل إن القصد هو الدافع الأول للتأويل، وهذا ما نجده واضحا في نظرية التأويل القديمة التي كانت تتقسم إلى مرحلتين: تمثل المرحلة الأولى القرن السادس عشر حتى مطلع القرن التاسع عشر ميلادي، إذ كان "**التأويل**" يرادف كلمة "**هرمينوطيقا**" **Hermenutics** التي يرجع أصلها إلى الكلمة اليونانية **Hermenevein** وهي فعل معناه "يفسر"، ومنذ القرن التاسع عشر أصبحت "الهرمينوطيقا" تعني بصفة عامة نظرية **التأويل** التي تدرس الإجراءات والمبادئ المستعملة في الوصول إلى معاني النصوص المكتوبة ويدخل في ضمنها النصوص القانونية والأدبية و.... [2].

ثم تأتي المرحلة الثانية التي تعد امتداد للمرحلة الأولى في البحث عن المعنى المقصود للمؤلف، ويتصدر هذه المرحلة العالم الديني والفيلسوف الألماني **فريدريك شلايرماخر Freidrick schleirrmarcher (1768- 1843م)** وتسمى بالمرحلة الرومانسية التي ترى أن النص تعبير عن نفس المؤلف وتسعى إلى أن يعيش القارئ أو الناقد الحدث النفسي للمعنى ويرى "شلايرماخر" «أن يتقمص المؤول ذهنيا تجارب المؤلف وأفكاره التي ولدت

---

(1) الجرجاني، التعريفات، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص 40.

(2) ميجان الرويلي، د.سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، الدار البيضاء المغرب، ط3، 2002م، ص 89.

النص ليدرك قصده قصد المؤلف»[1]. ولا يمكن أن يتحقق الفهم الكامل للنص «**إلا إذا ما فهمنا عقل المؤلف تاريخيا، أي: أن نتغلب على أحكامنا المسبقة، ولا نفكر بشيء آخر غير ما كان عقل المؤلف يفكر فيه**»[2]. فلابد من أن يحاول القارئ الارتقاء إلى المستوى النفسي للمؤلف، لأن أية لغة لا يمكن دراستها بمعزل عن صاحبها، فلا يجوز التفريق بين النص وصاحبه، لأن ذلك يؤدي إلى صعوبة التأويل المنسجم مع مقاصد المؤلف.

إن طبيعة العلاقة بين المؤلف والنص –التي يراها شلايرماخر– تتمثل في أن اللغة تحدد للمؤلف الطرائق التي يسلكها للتعبير عن فكره، فهناك في النص جانبان يساعدان في فهم النص الأدبي: **الجانب الموضوعي** الذي يختص باللغة، وهو الجانب المشترك الذي يجعل عملية الفهم ممكنة، وهناك **الجانب الذاتي** الذي يتمثل في فكر المؤلف وأسلوبه، ويتجلى في استعماله الخاص للغة.... ويحاول القارئ إعادة بناء النص من أجل فهمه كما أراد له مؤلفه أن يُفهم، ومن هنا كان التأويل علاقة حوار واستماع وتفاعل مشترك بين السامع والمتكلم[3].

وهنا يلتقي قصد المؤلف وأسلوبه مع قوانين اللغة لِيُكَوِّنا نصا مفهوما، فلا يمكن لأي سلطة –سواء سلطة لغة كانت أم سلطة مؤلف– أن تنفرد بقضية الاختيار وإنما الاختيار يقوم على تضافرها في سياق معين «**إمكانية اختيار المؤلف ليست مطلقة، بل هي مقيدة بقصده وبعوامل الموقف الذي ينتج فيه، ومنها سيرته ومعارفه وتجاربه وعلاقاته الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية**»[4]. فهناك تداخل مستمر بين سلطة اللغة وسلطة

---

(1) غادا مير، الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية التأويلية فلسفية، ترجمة: د.حسين ناظر وعلي حاكم، دار أويا للطباعة والنشر، ليبيا، ط1، 2007م، ص 23.

(2) المصدر نفسه، ص 266.

(3) حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، الدار البيضاء، المغرب، ط8، 2008م، ص 23.

(4) صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءته، دار الشروق، مصر، ط1، 1998م، ص 204.

المؤلف، وهنا يبرز أثر قصد المؤلف في اختيار الأساليب اللغوية إذ «**إن كلا من اختيار المادة وطلباها يتأثر بشكل عميق بواسطة مقاصد**»[1].

ولكي يصل القارئ إلى قصد المؤلف الأصلي عليه أن يرتقي إلى مستواه النفسي وأن يتعرف فن استعماله اللغوي، لكي يتجنب كل ما يؤدي به إلى سوء فهم المؤلف وتجنب سوء الفهم يتم عن طريق إتباع قواعد التأويل الصحيح.

بعد ذلك ظهر عدة فلاسفة، أدلو بدلوهم، وقد كانت جل آرائهم تركز عل تحديد المعنى في ضوء المقاصد.

وبذلك يمكن القول: إن شكل الخطاب ليس كافيا للدلالة على قصد المرسل في فعل لغوي معين، وهذا يؤسس لعلاقة واضحة بين شكل الخطاب والقصد لا يمكن الاستغناء عنها فربما طابق شكل الخطاب قصد المرسل وربما لم يطابقه، وإذ أردنا فهم معنى العبارات اللغوية فعلينا إدراك هذه العلاقة وللسياق اللغوي وغير اللغوي صلة وثيقة بتفسير المعنى في تلك العبارات.

و – المقصدية والملفوظية:

يشير مصطلح **الملفوظ (Enounce)** إلى كل سلسلة محدودة من الكلمات الصادرة على لسان المتحدث أو عدة متحدثين لا يمكن أن يشمل جملة واحدة، كما يمكن أن يشمل عدة جمل[2] ، تتحول به اللغة نشاطا كلاميا وفعالية لفظية منسجمة تسمح له هذه الصفات أن يتقابل مع مصطلح "**الخطاب**" وإن صح التعبير إن التداخل الحاصل بين المصطلحين تبرزه الدراسات والأبحاث الخطابية، كون الكلام جملة ما يقوله الناس ويحتوي توليفات لفظية

---

(1) كراهام هاف، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: كاظم سعد الدين، بغداد، العراق،1985م، ص 89.

(2) بوطارن محمد الهادي، المصطلحات اللسانية والبلاغة الأسلوبية الشعرية، دار الكتاب الحديث، الكويت، 2008م، ص 181.

فردية، نجدها رهينة إرادة المتكلمين من جهة، كما يحتوي عمليات تصويت إرادية من أجل **إنجاز** تلك التوليفات، فهذه الظاهرة فردية ومحددة بزمان معين(1).

فالملفوظ (الكلام) ليس مجرد سلوك آلي، هو نشاط فعال يدل على قدرة بشرية عجيبة وخلاقة في عملية التواصل اللغوي، هذا ما توضحه دارة الكلام **تودوروف (Todorov)** «الخطاب الملفوظ مجموع البنيات اللفظية التي تعمل في كل عمل أدبي»(2).

والتلفظ على ذلك مجموعة من الظواهر ضمن فعل تواصلي معين، فينبغي أن يكون للفرد ملكة لغوية يقوم بتسخيرها انطلاقا من تداوله وإلا بقيت تلك الملكة في موقف **اللاملفوظ** وبهذا يمكننا تمييز التلفظ بأنه الحدث التاريخي التي يتكون من عبارة تم **إنجازها**، ويمكن أن ندرسها باحثين عن الشروط الاجتماعية والنفسية التي تحدد هذا الإنتاج، وهي صفة مميزة للخطاب في الاتصال.

لقد كان هذا التداخل نابع من تلك الترجمات المرادفة لما سمي بالفرنسية **(Enonciation)** والتي ارتبطت باللساني **إميل بينفنيست (E. Benveniste)** الذي يرى «اللغة نظاما مجردا أو طاقة مخزونة في ذهن الإنسان، لا تتحول إلى كلام حقيقي أو إلى خطاب إلا بواسطة عملية القول/التلفظ/الكلام ذاتها»(3).

وبذلك استطاع **بينفنيست** في نظريته هذه أن يجمع بين معطيات لسانية متفرقة في بلورة هذه العملية الفريدة الفردية بكل الظروف والحالات ومعطيات (الشخص، الزمان، المكان) عبر وحدات قولية /تلفظية تستلزم ذلك، في سبيل صناعة الخطاب ودلالته للوصول إلى المقصدية، لأن اللغة نسق وظيفي ديناميكي يتحدد هدفه في تحقيق الممارسة الاتصالية اللغوية التي لا تعدو كونها وكأي عمل آخر، نشاطا اجتماعيا للبشر يمكن فحصه.

---

(1) Emile Benveniste, problème de l'linguistique générale, Gallinaid, paris, 1966 , p 17.

(2) تودوروف، الشعرية، ص 16.

(3) Dominique Mainguneau, introduction, à la linguistique Française, Armand colin, paris, 2005, p 48.

ي – المقصدية والحجاج:

يعد **الحجاج** من الاسهامات الاستدلالية الهامة التي وصل إليها الفكر الإنساني، وهو إلى جانب **المقصدية والتداولية**، يعبر عن منحنى استدلالي خاص في مقاربة الموضوعات ويعد أول أبواب الدلالة، إذ أن الاستدلال على قضية ما في مقتضى الفعل أو الإنجاز الدلالي تكون بداية ممهدة بمقدمات حجاجية قطعية الأحكام، وبه أصبحت البلاغة جارية على التبيين والإفهام في سائر الأمم، وببزوغ "التداولية" أصبح للحجاج علاقة وثيقة استدلالية بين التداول والمقصدية، ذلك أن خلو التداولية من ضمانات القيمة (قيمة الخبر كخبر مثلا) دفع بالمقصدية إلى تدارك هذا الخلل، بعد أن تعدى الأمر نظرية أفعال اللغة وهو الدافع لعودة قوية سيعرفها **السياق**.

لقد عبر البعض عن هذا الزخم الدلالي **بالبلاغة الجديدة**، أي ذلك العلم الذي اقترن نشأة مع الحجاج «تعرف البلاغة الجديدة بنظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب...» [1].

إن ارتباط الحجاج بالخطاب وتهيئة فعاليته التواصلية، يستدعي توافق آلياته ومقتضيات السياق، ويستدعي أيضا مراعاة الكفاية الخطابية انطلاقا من تعدد صيغه، ولهذا الدور أهمية في إدراك سيرورة الحجاج.

ويقسم الحجاج إلى:

أ-**الحجاج العادي:** طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجحا فعالا، وهذا معيار أول لتحقيق السمة الحجاجية، غير أنه ليس معيارا كافيا، إذ لا يجب أن نهمل طبيعة السامع.

[1] صابر الحباشة، التداولية والحجاج مدخل نصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، د ط، 2008، ص 15.

ب-الحجاج بالمعنى الفني:

فيدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب، والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية، والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أن تكون واصلة بين سلالم[1].

يعتبر الحجاج الفني من حيث الأهمية الأكثر فاعلية، إذ يمثل التراكم الفعلي لصورة الحجاج، كما هو عليه في تداوله المعروف، وذلك من خلال آليات التحليل ومقومات الإدراك الثابتة، ومع "التداولية" تمكن من توسيع هذه الملكة بالإحاطة بكل ما يتعلق في مقاربة الفكرة أو الموضوع المعني بالحجاج، ولأن **التداولية** تعرف على أنها علم استعمال المقام، فإن **الحجاج** هو ما يحقق الاستعمال وتوافق المقام والفكرة، ويشير **صابر الحباشة** أن الحجاج الفني يعتمد كليا على الذخيرة اللغوية، والدلالية التي تتفاعل ومتطلبات الفكرة، فهو يرى أن الحجاج لن يكون فعالية تحليلية، دون توافق ضربين دلاليين: **الإخباري والحجاجي....**

لا شك أن الحجاج كما التداولية تحكمها موضوعية التحليل، إلا أن ذلك غالبا ما يكون على حساب الموضوع (الخبر)، لأن الحجاج والتداولية يقومان على استدلالات منطقية، لا غالبا مع كل الموضوعات بصفة عامة.

ح - المقصدية ونظرية التلقي:

أسهمت "نظرية التلقي" منذ ظهورها، بث الاعتبار التواصلي في إطار تفعيل الرسالة بمتلقيها، حيث تم تجاوز مقولة الإنتاج التي كانت تهيمن على القراءات الاجتماعية بعامة والماركسية بخاصة، فاستبدلت بمقولات جديدة مثل: **المؤلف والقارئ والجمهور**، وقد أشار **ياوسyaws** إلى النص الأدبي وسوابق النص التناصية وتداول اللغة (واقعية وضمنية) وبالتالي إلى **مقاصد** القراءة هي أولوية في **التلقي**.

---

[1] صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص 28.

ينطلق **آيزر** في بحثه من **الفعل** أي فعل التلقي الذي يصفه **الأثر**، ولأن الأثر يصاحب عملية التلقي ويكشف عن مثيرات الاستجابة، يلخص **روبرت هولاب Robert H** أطروحة آيزر في كتابه نظرية التلقي مقدمة نقدية قائلا: «إن الشيء الذي يهم آيزر هو كيف وفي أي ظروف يقدم النص معنى للقارئ، إن آيزر يريد أن يرى المعنى كنتيجة للتفاعل بين النص والقارئ...» (1).

وهذا ما وضحه **آيزر** في مستهل مقالته، التفاعل بين النص والقارئ: «إن العمل الأدبي يتكون من قطبين: قطب فني وقطب جمالي، الأول هو نص المؤلف والثاني هو ما يحققه القارئ، ومن هنا يقترح أن تحقق العمل الأدبي هو نتيجة التفاعل بين النص والقارئ...» (2).

إن الحديث عن الأثر والاستجابة، هو الحديث من جهة أساسية مرجعية في تفاعل السياق والتداول، التي نجد لها أثرا عميقا في النظرية المقصدية نظرية أفعال اللغة، والدليل أن "آيرز" عقد حديثه بأفعال اللغة التي هي صلب **المقصدية**، وليؤكد ذلك فهو يستعين بآراء فلاسفة اللغة الذين اهتموا بهذا الجانب كـ **أوستف Austiv**، ونميز بين آراء هؤلاء وبين براغمية الأثر، التي مثل لها في أبحاثه، فهو ينظر إلى وجود تقارب بين الانشغاليين «هذه الظاهرة التي يسميها آيرز أيضا نزع الطابع البراغماتي تتأرجح بين فعل القراءة –إعادة الطابع البراغماتي– الذي ينفذه القارئ تحت ضغط العمل، وتشرح من جهة أخرى الطابع الأيقوني للرسالة الأدبية بالمعنى الذي أعطاه إيكو...» (3)

تتجلى هذه الآراء عند "آيرز" من خلال ما يعتبر فعل أو أثر ذا بعد استراتيجي في أي فعل كما هو الأمر عند فلاسفة اللغة، حيث حدد أوستن دور الأفعال استراتيجيا انطلاقا من

---

(1) فرنان تهالين فرانك شوبر قيجن ميشيل أوتان، بحوث في القراءة والتلقي، ترجمة: محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1998م، ص 35.

(2) الجيلالي الكدية، تأويل النص الأدبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، جامعة محمد السادس، 1995م، ص 40.

(3) فرنانت هالين، بحوث في القراءة والتلقي، ص 36– 37.

طريقة إنجازها، وذلك لنجاح دورها التأثيري، ذلك أن مقاصد الأثر في سياق الأفعال هو ما يؤسسه عمل **استراتيجي، تفاعلي، دينامي.**

كما يمثل الفراغ والبياض إستراتيجية أخرى لفعل القراءة، إذ يشارك النص متلقيه ويحاوره، ومن خلال ذلك يستطيع المتلقي اكتشاف قدرات النص، وقدرته هو بالتحديد إزاء الكفاءة التي يحملها كل طرف فاعلا أو متفاعلا .

وسنحاول أن نتوصل إلى مقصدية استخدام هذه البياضات في شعر عبد الله البردوني.

ط - القصدية وتحليل الخطاب:

اعتبر مصطلح "**الخطاب**" ترجمة أو تقريبا للمصطلح "**discourse**" في الإنجليزية و "**diskous**" في الألمانية، وفي **معجم المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب:** «إن مصطلح خطاب من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطابات، يحيل على نوع من التناول للغة، أكثر مما يحيل على حقل بحتي محدد فاللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية بل نشاط لأفراد مندرجين في سياقات معينة، والخطاب بهذا المعنى لا يحتمل الجمع: يقال (الخطاب) و (مجال الخطاب)... إلخ، وبما أنه يفترض تمفصل اللغة مع المعايير غير اللغوية فإن الخطاب لا يمكن أن يكون موضوع تناول لساني صرف»[(1)] ، أي أن الخطاب هو نشاط للغة ينشأ بشكل مقصود بعيدا عن الاعتباطية، وكل **خطاب** هو نشاط خاص تتقاطع فيه اللغة مع مكونات أخرى خارج لغوية.

وتحليل الخطاب حقل معرفي يركز دراسته مباشرة على شكل الخطاب ومضمونه، من حيث أنه بنية لسانية حاملة لبنية **قصدية،** لكل منها مميزاتها الخاصة وآلية اشتغال، لا يمكن له أن يفصل هاتين البنيتين بعضهما عن بعض، ويتفق **الجابري** مع الكثير من الدارسين على أن «النص رسالة من الكاتب إلى القارئ فهو خطاب، فالاتصال بين الكاتب والقارئ

(1) دومينيك مانغونو، أهم المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص 38.

إنما يتم عبر النص، تماما مثلما أن الاتصال بين المتكلم والسامع إنما يتم عبر الكلام.... وهناك إذن جانبان يكونان الخطاب: ما يقوله الكاتب وما يقرؤه القارئ»[1].

إن الفرق الممكن الاعتداد به بعيدا عن الشكل المادي (مسموع، مكتوب) يكمن أساسا في **زمنية التلقي**، وما يمكن أن تؤثر به في تكوين **القصد** أو ردة فعل معينة قد تتلاشى مع الزمن، كحال أن تصل رسالة دعوة مثلا بعد التاريخ المذكور للحضور المفترض، بهذا يكون الخطاب المكتوب أبطأ في استدعاء عقل المتلقي مع هذا يبقى يحتفظ بقيمته كخطاب.

هكذا نجد أن اللسانيات الوظيفية اتخذت **الخطاب** موضوعا للدرس سواء أكان الخطاب نصا كاملا أم جملة أم مركبا اسميا أم مفردة واحدة، بتعبير آخر أصبح موضوع المقاربة اللسانية يقاس «لا بالتقسيمات التركيبية التقليدية، بل بكل ما يمكن أن يشكل وحدة تواصلية في موقف تواصلي معين»[2] ، **فالوحدة التواصلية** أهم صفات الخطاب أيضا، ليس فقط مهما كان حجم الخطاب، فالرسالة والبرقية مثلا تشكل خطابات ناجحة متى تلقاها المرسل إليه وتفاعل معها ومع مضمونها.

يزيد **بول ريكورpaul Ricaur** على هذا المعنى أن النص (الخطاب المكتوب) يتميز بالامتداد إذ يقول: «ما هو الخطاب؟ لن نطلب الجواب من المناطقة، ولا حتى من المدافعين عن التحليل اللساني، بل من علماء اللغة الخطاب هو الرأي المخالف لما يسميه هؤلاء بالنسق أو النظام اللساني، الخطاب يعني حدث الكلام»[3] ، إنه بهذا وكثير معه يفردون بأن الخطاب بعيد كل البعد عن مجرد كونه نسقا لسانيا وتتابعا خطيا لداليات معينة تحمل مضامين وتحترم نظاما لسانيا محددا، ثم يردف "**ريكور**" مسهما في إرساء سمات الخطاب التي يتميز بها، ويضمن في هذه السمات أهم منطلقات الخطاب (**التفاعل**) سواء أكان شكل

---

(1) محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان، ط5، 1994م، ص 10.

(2) أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية، قضايا ومقاربات، مكتبة الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2005م، ص 58.

(3) بول ريكور، من النص الى الفعل –أبحاث التأويل– ترجمة: محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، مصر، ط1، 2001م، ص 141.

الخطاب **شفويا** (تلفظ/ مباشر/ آني...) أو كان شكل الخطاب **كتابيا** (نص مباشر/ وغير مباشر ...) والسمات هي:

السمة الأولى:

أن الخطاب تحقق دوما زمنيا وفي الحاضر، بينما نظام اللغة تقريري وغريب عن الزمن **إميل بنفينسيت (E. Benveniste)** يسميه **إلحاح الخطاب.**

السمة الثانية:

في الوقت الذي تتطلب فيه اللغة بذلك المعنى الذي لا ينطبق فيه سؤال "**من يتكلم؟**" على هذا المستوى يحيل الخطاب على متكلمه بفضل مجموعة من أدوات الوصل **كالضمائر** مثلا: لذا نقول أن إلحاح الخطاب مرجعي ذاتي.

السمة الثالثة:

بينما تحيل علامات اللغة فقط على علامات أخرى داخل النظام نفسه تستغني اللغة عن العالم عن الزمنية والذاتية... ولا تتحقق وظيفة الكلام الرمزية إلا في الخطاب.

السمة الرابعة:

بينما لا تعتبر اللغة سوى شرط للتواصل الذي تقدم له أنساقا ما، لا يتم تبادل الإرساليات إلا في الخطاب، بهذا المعنى لا يملك الخطاب لوحده عالما فقط، بل آخر مخاطبا إليه بتوجه. [1]

إن هذه السمات الأربع للخطاب هي التي تعطيه هويته وحركيته وتضمن له التنوع والتجدد، عاملة على تعدد أشكاله، ومحمولاته المتضمنة، وتعدد أشكاله من حيث أنه مستوى نسقي أو نظام لغوي ينتمي إلى خلفية معرفية للغة معينة، فـ «ثمة كلمات في لغات تنظم

[1] بول ريكور ،من النص إلى الفعل ، ص 141 –142

الجمل بين بعضها البعض، من ضمنها الروابط (**connecteurs**) المنطقية (لأن، بالفعل، إذن...) وضمائر التردد التوكيدي (**pronons anaphoniqes**) (ضمير الغائب...) لعل ذلك ما يؤدي إلى اشتغال الخطاب اللغوي الذي يتجاوز بمرونة فائقة حدود الجملة»[(1)]، فالخطاب يتحقق زمنيا متى ما ارتبط بذات محددة يحيل عليها، وعالم حقيقي الوجود حول أقطاب الخطاب، وذات تتفاعل معه عند استقبالها له، سواء كان هذا الاستقبال في لحظة إنتاجه (حال الخطاب الشفوي) أو بعد حين (حال الخطاب المكتوب) ويتوفر كل فرد منا إلى جانب معرفته بلغة معينة، مجموعة تمثلات ذهنية للوجود من حوله، وتلك المعارف اللغوية حتى يتسنى له التواصل مع هذا العالم المحيط به.

والتواصل نحو اللغة من المعجم إلى التداول (ضمن فعالية السياق كقيمة أو بدونها) ما يعرف حاليا بأفعال اللغة «فاللفظ حسب ليونز كل أجزاء من أجزاء الخطاب ينجزه المتكلم، بحيث يكون هناك وقف قبل هذا الجزء وبعده، وهذا ينطبق على اللغة المنطوقة والمكتوبة»[(2)]، وهو ما يسمح لتناول دلالي أوسع، وتزايد تداولي للخبر تفعله اللغة لأنها أداة التحول، ولأنها ذخيرة هذا التحول والتفاعل فما يتم التبادل به ليس اللغة ومن مصطلح (سوسير) بل الخطاب الذي يستلهم المعنى من الخارج أي من السوق اللغوي وبالتالي يكتسب من الخطاب قيمة رمزية ... [(3)] ، وهكذا يبنى التواصل بين المخاطبين على مبدأ الحوار وتعدد الأصوات.

ويرتكز دور المقاصد على بلورة المعنى، إذ يستلزم من المرسل مراعاة كيفية التعبير عن قصده، وتكمن وظيفة اللغة هنا في تحقيق التفاعل بين طرفي الخطاب بما يناسب السياق.

---

(1) بيار آشار، سوسيولوجيا اللغة، تعريب عبد الوهاب تزو، منشورات عويدات، لبنان، ط1، 1996م، ص 21.

(2) أحمد يوسف، الخطاب والملفوظ، مطارحة في المفاهيم، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع1، جامعة وهران، ص 55.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 25.

6 – أهمية المقاصد في الخطاب:

لقد أدرك الباحثون أهمية **المقاصد** في الخطاب، وتمثل ذلك في شتى العلوم التي تتعلق بلغة الخطاب، سواء أكان ذلك في القديم أم في الحديث، انطلاقا من أن المقاصد هي لب العملية التواصلية، لأنه «**لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل، ودون وجود إبداع أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات**»[1]، ولأنها كذلك فإذ (سيرل) يرى بأن المقاصد ذات تكوين بيولوجي، ولها أطر معينة في ذهن المرسل، وعليه ففلسفة اللغة عنده تعد فرعا من فلسفة العقل، وغاية قصد المرسل هي إفهام المرسل إليه، ويشترط ليعبر المرسل عن القصد الذي يوصل إليه أن يمتلك اللغة في مستوياتها المعروفة، ومنها المستوى الدلالي، وذلك بمعرفته بالعلاقة بين الدوال والمدلولات، وكذلك بمعرفته بقواعد تركيبها وسياقات استعمالاتها، وعلى الإجمال معرفته بالمواضعات التي تنظم إنتاج الخطاب.

ولا يقف دور القصد عند إيجاد العلاقة الدلالية في العلامة اللغوية بين الدال والمدلول، بل يمتد إلى استعمالها في الخطاب لاحقا[2].

ويشير الناس عادة في تبادلاتهم التخاطبية السؤال: ماذا تقصد بخطابك؟ ماذا يعني كلامك؟ وتجنبا لهذا السؤال يعمد طرفا الخطاب إلى تحديد المقاصد من الألفاظ والمفاهيم والعبارات مسبقا، وكذلك في النقاشات لينطلقوا من قاعدة واحدة، فتكون مرجعا لهم عند الاختلاف.

وقد ميز الباحثون بين العلامات ذات الدلالة الطبيعية والعلامات ذات الدلالة **المقصودة**، وهذا ما يصنفه **جرايس**[3]، إلى المعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي، فالعلامات ذات المعنى الطبيعي رغم أنها تحمل معنى إلا أن القصد لا يتدخل في تحديدها

---

(1) جيرار دولودال، التحليل السيميوطيقي للنص الشعري، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، مطبعة المعارف، ط1، 1994م، ص 25.

(2) المرجع نفسه ، ص 25.

(3) Paul Grice, studies in the way of words, Haward university pres, 1989, p 213.

مثل: علامة الدخان التي تدل على وجود النار وهذا النوع من العلامات اصطلح بعض السيميائين **بالمؤشر Index**.

وهناك صنف من العلامات لا يتحدد معناه إلا من خلال قصد المرسل، مثل الرمز **symbol**، لذلك يذهب لأنصار سيمياء التواصل (**بويسنس، بريتو، مونان، جرايس، أوستن، فنجنشتاين، مارتينيه**) إلى أن العلامة تتكون من وحدة ثلاثية المبنى: الدال، والمدلول، والقصد[1].

وما الخطاب اللغوي إلا علامة تنطوي عليها مقاصد المتكلم، وهذا ما يجعل معنى الخطاب يتعدد بتعدد السياقات التي ينتج فيها.

من هنا تتضح ضرورة ارتباط القصد بالعلامة عند الاستعمال، أيا كان نوعها لينجح المرسل في خطابه، على الرغم من «**أن وظيفة اللسان الأساسية هي التواصل، ولا تختص هذه الوظيفة بالألسنة، وإنما توجد أيضا في البنيات السميوطيقية التي تشكلها الأنواع السنية غير اللسانية، غير أن هذا التواصل مشروط بالقصدية وإرادة المتكلم في التأثير على الغير، إذ لا يمكن للدليل أن يكون أداة التواصلية القصدية ما لم تشترط القصدية التواصلية الواعية، وبناء على ذلك انحصر موضوع السيميولوجيا في الدلائل القائمة على الاعتباطية أي العلامات**»[2].

ويتدخل القصد بوصفه معيارا في صلب تصنيف العلامة، فينقلها من صنف إلى آخر، كما ينقلها من حيز الخلو من المعنى فتصبح ذات معنى، وعليه فإنه «**يمكن تصنيف الأمارات من حيث دلالتها إلى ثلاثة أصناف (الأمارات العفوية، والأمارات العفوية المغلوطة، والأمارات القصدية: ويتعلق الأمر بالوقائع التي توفر إشارات أنتجت قصدا لتوفيرها وهي إشارات لا تبلغ هذا الهدف إلا شريطة الاعتراف بها بوصفها أنتجت لتبلغ**

---

(1) عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر (مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1996م، ص 84.

(2) المرجع نفسه، ص 86.

ذلك الهدف ... فإن موضوع السيميولوجيا هو الدلائل القائمة على القصدية التواصلية»[1].

وما الإستراتيجية التي يستعملها المرسل في الخطاب إلا وسيلة تتجسد باللغة لتحقيق المقاصد، وعليه فإن شرف المقاصد ينعكس على الإستراتيجية ذاتها لأن «**الوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل**»[2].

وللقصد دوره في تقنين مسارات النقاش والحجاج، بشرط أن يكون المتلقي قد فهمه كما يعنيه المخاطب، ذلك أن الكلام على ما لم يقصده المتكلم يعد عدولا عن الغرض المطلوب.

7 –المقصدية وتحليل الخطاب الشعري:

ترتبط المقصدية **بالخطابات الشعرية** في صورة تتجاوز إطار الثنائية النموذجية (مرسل مرسل إليه)، فهي أحد المقومات التي تسهم في توجيه أطراف العملية التواصلية وفي التحكم في الإطار العام الذي تتحرك فيه مختلف العناصر الفاعلة والمشكلة للخطاب، الأمر الذي جعلها تكتسب بعدا آخر إذا ما أخذت بعدا حجاجيا وتداوليا لتفيد في توجيه الخطاب وتوجيه المتلقي، وتسهم في إنشاء علاقة دينامية متواصلة بين العناصر اللغوية وغير اللغوية.

وتتصف العلاقات الاستراتيجية في الخطاب أو استراتيجيات التخاطب بأنها الطرائق التي توضح مقاصد المرسل وكفاءته التداولية، بحيث تساهم في فاعلية إنتاج الخطاب وفق شروط داخلية وخارجية تفتح مجال التوافق مع السياق –مهما كان نوعه– عاما أو خاصا– فالإحاطة بالقصد متوقفة على معرفة السياق اللغوي المتعلق بمنشئ الخطاب وبمؤشرات أيقونية داخلية وأخرى خارجية تتعلق بالخطاب، ومرتبطة بالإطار التداولي واللساني، الذي يجمع بين عناصر التخاطب المتحكمة في حركية **المقاصد** من جهة، وفي سيرورة الخطاب من جهة ثانية[3].

---

(1) مبارك حنون، دروس في السيميائيات، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1987م، ص 73.

(2) محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م، ص 145.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 96

والقصدية –كمصطلح نقدي معاصر– تشير إلى المعنى **المضمر** والكامن وراء نص من النصوص، فهي هدف منتج النص غير المعلن الذي يسعى إلى خلق عالمه الخاص في **سياق لغوي ومعرفي** محكوم برؤية شمولي تتعلق بداخل النص وبثوابته وبالمجريات اللاواعية التي تأتي من الخارج النصي لتساهم في تحديد الدلالات وتوجيهها على النحو السليم لتجمع **القصدية** على هذا النحو بين المتناقضات الداخل والخارج الوعي واللاوعي وبين البسيط والمركب(1).

8 – الخطاب الشعري والتداولية:

من الواضح أن الخطاب في عصرنا الحالي صار يمثل ممارسة لغوية ثقافية تواصلية إذ هو عملية معرفية اجتماعية، يمارسها المتكلم ويتلقاها المستمع ويحاول فك شيفراتها وفهمها.

وهنا نرصد المحاولة التي قام بها **خليفة بوجادي** في وضع مواقع التماس بين الشعر والتداولية، مما يسمح بإمكانية تحليل النص الشعري من منظور تداولي، ويتضح ذلك من خلال نقاط الالتقاء التالية:

أ–**الشعر والتواصل:** الشعر ليس بعيدا عن غرض الاتصال، بل لا يقوم دون أن يوجه إلى متلق ما، وهو في هذا يروم التواصل ويقوم عليه، فكل عمل شعري يعني تواصلا بين المبدع والمتلقي، وهو المبدأ نفسه الذي تعتمد التداولية للغة، إذ هي الاستعمال والتواصل(2).

فالخطاب الشعري إنما هو إيصال غرض المتكلم ومقصوده إلى السامع وهنا تتحقق علاقة التواصل.

---

(1) هواري بلقاسم ، إشكالية القصدية في الممارسة النقدية ، رسالة ماجستير ، كلية الأداب و اللغات و الفنون، جامعة وهران، 2008 ،2009 م ، ص 116

(2) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مقاربة بين التداولية والشعر –دراسة تطبيقية– بيت الحكمة للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2012م، ص 15.

ب–الشعر والفعل: يُذكر أن بداية الدرس التداولي الحديث انطلق من الفعل في الفلسفة التحليلية، إذ أول ما قام عليه المذهب التداولي هو مبدأ أن اللغة فعل تواصل، والشعر غير بعيد عن هذا المفهوم حيث مبدأ الشعر هو فعل الشعر وذلك لما يحدثه في نفس المتلقي وسلوكه الفكري[1]، ويرى **بول فاليري paul vallery** أن «الشعر لون من الرقص بالكلمات ونظام من الأفعال لها هدفها في حد ذاته»[2].

ج–الشعر والواقع:

إذا كانت التداولية تعتمد دراسة اللغة والشعر، فالشعر من ناحية أخرى تظهر واقعية في أن الشاعر لا يمكنه أن يحرز فاعليته في الخيال وهي عماد الشعر إلا بخبرته في الواقع والحياة الفاعلة، ولعل مدار الشعر كله هو الإبانة عن الواقع والاخبار عنه، وأنه اللغة ذاتها هي تعبير عن الواقع والتمثيل له.

ويرى "خليفة بوجادي" أن أهم ما يقدمه المنهج التداولي في الشعر هو «أن له جراءة نادرة في حسم كثير من المواضع المختلفة في تأويلها، استنادا إلى معطيات تواصلية خاصة، ينطلق من الملفوظات اللغوية إلى دراسة الضمني وغير الصريح، وهو اهتمام الدراسات الوظيفية للجملة، حيث تعنى بالوحدات اللغوية داخل الخطاب، إلى جانب دراسة المحتوى غير اللغوي، والاعتداد بالسياق وموقف المتكلم من الخطاب ذاته ومن السامع»[3].

فالنص الشعري إذن يحمل في ذاته قيما تداولية أهمها **التواصل**، وأن غايته **التأثير** في المخاطب وفي موقفه، معتمدا في ذلك على البلاغة التي غرضها **الإبلاغ** وعلى البيان الذي غرضه **التبيين والإيضاح**.

---

(1) خليفة بوجادي ،في اللسانيات التداولية ، ص 17.

(2) حميد رضا، الخطاب الشعري من اللغوي الى التشكل البصري، مجلة فصول تصدر عن الهيئة المصرية للكتاب، ع1996/2م، ص 95.

(3) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 21.

إن ارتباط **المقصدية** بالخطاب الشعري على مستويات متداخلة خاضعة لسلطة اللغة يؤدي **بالقصد** إلى تبني وظائف إثباتية، تتعلق بالبنية اللغوية، وبمدى إدراك عناصرها «من خلال ربط مكونات البنية بمنشئ النص ومتلقيه وقرائن الاستعمال»[1]، وفق نموذج تفاعلي تواصلي يرصد تبدلات الخطاب الشعري وسلوكه اللغوي وقواعده البنيوية، ويخضعها لمقتضيات دلالية، تضيء ما يختزنه من رؤى ومرجعيات تؤمن إنتاج **المقاصد**، فتعيد توزيعها لتضمن وجود استراتيجية مفاهيمية يحكمها نظام من العلاقات الذي يكفل توجيه الخطاب الشعري، وفقا لمعايير تقررها الأطراف الفاعلة فيه.

وسنقوم بتحليل الخطاب الشعري لعبد الله البردوني، ضمن مباحث التداولية (الإشاريات أفعال الكلام، الاستلزام الحواري) لنتوصل إلى **المقاصد** التي رام المخاطب إليها وفق استراتيجيات مباشرة وتلميحية.

(1) هناء محمود إسماعيل، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م، ص 290.

الفصل الثاني

مقصدية الإشاريات

في شعر عبد الله البردوني

تمهيد :

تعد اللسانيات التداولية فرعا من أهم فروع اللسانيات المعاصرة التي تشتغل على مجموعة من المعارف والقضايا التي تعنى بأنظمة **التواصل** بين مستعملي اللغة، التي هي نظام التواصل الإنساني الأمثل، إذ يعبر بها عن المعاني التي يريد المتكلم تبلغيها إلى المخاطب من الجانب **الإشاري**، ومن المخاطب الجانب الدلالي تعبيرا أو إبلاغا.

ويعد الهولندي **هانسون Hanson** أول من قسم التداولية إلى ثلاث درجات متتابعة واختيار مصطلح **الدرجات** بدلا من **الأجزاء** يدلل على فكرة العبور المتنامي من درجة لأخرى، لارتباط كل درجة بمظهر من مظاهر **السياق**، ويشير هذا الانتقال من درجة لأخرى إلى التطور التدريجي من مستوى لآخر. وهذه الدرجات هي:

1-تداولية من الدرجة الأولى: تتمثل في دراسة **الرموز الإشارية (التعابير المبهمة)** ضمن ظروف استعمالها (سياق تلفظها) وسياقها هو الموجودات، أو محددات الموجودات، ويتكون هذا السياق من **المخاطبين ومحددات الفضاء والزمن**، ففي هذه الدرجة يتم دراسة **الضمائر** ومرجعيتها في السياق، إذ تعد أقوالا مبهمة إذا دُرست خارجه، أما إذا دُرست حسب إحالتها ومرجعيتها في السياق الذي وردت فيه، فإنها تعطينا دلالات على توظيفها في ذلك السياق.

2-تداولية من الدرجة الثانية: تتمثل في دراسة كيفية تعبير القضايا في الجملة المتلفظ بها وضرورة تميزها عن الدلالة الحرفية للجملة، ويتم في هذه الدرجة دراسة الحجاج في الخطاب ومحاولة إقناع المستمع بالمعلومة التي يحملها الخطاب، والسياق في هذه الدرجة هو مجمل المعلومات والمعتقدات التي يشترك فيها المتخاطبون[1].

3-تداولية من الدرجة الثالثة: وتتمثل في **نظرية الأفعال الكلامية** التي تنطلق من مسلمة مفادها أن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية

---

[1] فرانسواز أرمينغو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء، بيروت، لبنان، 1986م، ص 62.

تحمل معان ضمنية، تتم معرفتها من خلال الإحاطة بظروف الفعل الكلامي الاجتماعية وما يمكن أن تحمله من دلالات ضمنية، في إطار ما يسمى **بالسياق الاجتماعي**.

وترتبط كل درجة من تلك الدرجات الآنف ذكرها بإستراتيجية معينة في الخطاب، وهي لا تخرج عن إطار ما يسمى **بقوانين الخطاب Loins du discours** وبعرضنا لهذه الدرجات بالتفصيل، سنجد أن كل درجة ترتبط باستراتيجية معينة من استراتيجيات الخطاب وتعتمد على قانون من قوانينه.

ولعل من أبرز أبحاثها الإشاريات –تداولية من الدرجة الأولى– كونها مبحثا يتأسس على علاقات عناصرها بمرجعياته اللغوية والسياقية فالألفاظ الإشارية تحمل عدة دلالات إشارية في سياق التداول بمختلف تقسيماتها التداولية: **(الشخصية، الزمانية والمكانية، والاجتماعية والخطابية)** والتي اشتغلت جميعها في شكل الخطاب[1].

فالإشاريات هي تلك الأشكال الإحالية التي تربط سياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه، فكل فعل لغوي يكون ناجحا إلا إذا علم المخاطب قصد وإحالة العبارة، لكن إذا كان للمتكلم (المخاطب) غرضه ينبغي بموجبه أن يشكل هذه المعرفة، ومن هنا يتضح لنا أن الإشاريات تُنْتَسب إلى حقل التداولية، لأنها تهتم مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تستخدم فيه.

1–تاريخ الإشاريات:

يؤكد **جون ليونز (1997م) John lyons** أن مصطلح الإشاريات قد «أتى من الكلمة اليونانية "**pointing**" بمعنى "لافتا" أو **Indicating** بمعنى مشيرا»[2].

---

(1) فرانسواز أرمينغو، المقاربة التداولية، ص 62.

(2) spatial dexis in James yoyce's Araly, Apragmatics study, Naghen yafan Hussein shat Al Arab university college, . مجلة الخليج العربي، مجلد (41)، ع 1، 2، 2013م، ص 4.

ولهذا تسمى الإشارية "**deictics**" أو الإشاريات اختصارا، ويُؤْثر فلاسفة اللغة أن يستخدموا للدلالة عليها مصطلح (**Indexial, expessions**) اختصارا، وكان **بيرس pierce** أول واضع له[1].

ب-تعريف الإشاريات في المعاجم اللغوية:

وردت في المعجم اللغوي، أشر إشارة (ش. و. ر) إليه بعينه أو بيده، أومأ عليه بالأمر: أمره به ونصحه، وجاء إشارة: (ش. و. ر) مضى: أشار: علامة[2]. كما أدرج في معجم المصطلحات اللسانية **إشاري أو علاماتي (Indicical)** يطلق هذا المصطلح على العبارات المحددة للمعنى، بواسطة العناصر اللغوية المشاركة لها، وذلك لتحديد الأمن أو المكان أو الفاعل، ومثال ذلك في اللغة الفرنسية: (**je-ici-maintenant**) [3].

وفي الاصطلاح: الإشاريات كل اسم دل على مسمى وأشار إليه على وجه التعيين والتحديد بإشارة حسية وهي أسماء محددة من قبل علماء اللغة[4]، وهذا من وجهة نظر النحوية.

فالإشاريات مثل أسماء الإشارة وأسماء الموصول والضمائر، وظروف الزمان والمكان من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب لأنها خالية من أي معنى في ذاتها لذلك فقد كان العرب سابقا يطلقون عليها **المبهمات**[5]، التي تعد عاملا هاما في تكوين بنية الخطاب، من خلال القيام بدورها النحوي ووظيفتها الدلالية ويستعمل المرسل هذه الصفات في الخطاب الذي يجري بينه وبينه المرسل إليه، عندما يمده في نسيج يتجاوز

---

(1) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الإسكندرية، ط1، 2006م،ص 109.

(2) جبران مسعود، رائد الطلاب، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط4، 1998م، ص 81.

(3) بوطارن محمد الهادي، المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، د ط، 2008م، ص 252.

(4) عباس المناصرة، أطلس النحو العربي، دار المأمون، عمان، الأردن، ط4، 1431هـ- 2010م، ص 7.

(5) عيد بلبع، التداولية -البعد الثالث في سيميوطيقا موريس- فصول، ربيع، عدد 66، 2005، ص 41.

الجملة الواحدة فتصبح المبهمات في هذه الحال «الإحالة إلى المعلومات القديمة التي تلفظ بها أحدهم، والتي أصبحت جزءا من المعلومات المشتركة»[1] .

2 – بنية الخطاب والإرساء الإشاري:

يطلق على الإشاريات مصطلحات عدة **كالمبهمات** "**Embrayeurs**" أو **المتحولات** "**dectiques**" أو **بالمعينات**[*]، وهي كما تعرفها **أوريكوني** "**Oreckioni**": «وحدات لسانية وظيفتها دلالية ومرجعية **(semantico referentiel)** تأخذ بعين الاعتبار بعض العناصر المكونة للموقف التواصلي لمعرفة الدور الذي يمنحه لها المتخاطبون، والوضعية الزمانية **(spatio temporelle)** للمتكلم وبالتالي للمخاطب»[2].

أي أن "أوريكيوني" انتبهت للبعد الاجتماعي التداولي للخطاب، فهي مجموعة من المرجعيات الإحالية المبنية على شروط التلفظ الخاصة وظروفه كهوية المتكلم ومكان التلفظ وزمانه[3].

فمن أكثر الإشاريات تمثيلا: «**أنا، هنا، الآن**» وهي عناصر تجسد المتحدث والمخاطب وزمان ومكان التخاطب، فالإشاريات تحمل مرجعا غير ثابت فهو متغير بتغير الاستعمال أي موضع التلفظ، وهناك إشاريات ظاهرة في الخطاب، وإشاريات كامنة في بنيته العميقة، حيث لا يصرح بها المرسل لأنه يعلم أن **الكفاءة التداولية** للمرسل إليه تسمح له باكتشافها.

يتجسد الخطاب باللغة في مستوياتها كافة، والكلمات جزء من نظام اللغة فتجعل كل كلمة على مدلول معين إلا أن بعضها يوجد في المعجم الذهني دون ارتباطه بمدلول

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 81.

(*) جمع مفرده "معين" تعني لغة الإشارة والتحديد والتعيين والعرض والتبيان والتأثير.

(2) Cartherine Kerbrat-orecchioni: Enonciation de la subjectivité dans le langage, Arannd Collin, 4 edition, p 41.

(3) كاظم جاسم منصور العزاوي، التعبير الإشاري في الخصيبي، مقاربة تداولية، مجلة جامعة بابل– العلوم الإنسانية– العدد 2016/1، ص 74.

ثابت[1]، واعتبرت الإشاريات مكونا لسانيا تتغير مساهمته الدلالية بتغير سياق التلفظ قصد إنجاز وظيفة إحالية معينة، ذلك أن النسبية السياقية لهذه العبارات تؤثر في إحالتها، وتشير إلى التداخل بين الإشاريات والإحالة.

- تعريف الإحالة:

يورد جون ليونز **J. lyons** التعريف التقليدي للإحالة بأنها: العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات وهي علاقة إحالة، فالأسماء تحيل إلى المسميات، ويدعمه المفهوم الذي يقدمه **ستروسن strawsn** بأن "الإحالة" ليست شيئا يقوم به تعبير ما، ولكنها شيء يمكن أن يُحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيرا معينا[2]، أي أنه ركز على الاستعمال. ويعرفها **جون ديبوا J. Dubois** أنها «الوظيفة التي يتمكن من خلالها الدليل اللغوي من الرجوع إلى موضوع في عالم غير لغوي واقعا كان أم خياليا»[3]، ويصنفها **رومان جاكبسون Roman Jackobson** ضمن **الوظائف اللغوية الستة للتواصل اللغوي** ويرى أنها «أساس كل تواصل فهي تحدد العلاقات بين المرسل والشيء أو الغرض الذي ترجع إليه، وهي أكثر الوظائف أهمية في عملية التواصل ذاتها»[4]. وتطلق عليها عدة تسميات فهي "تعيينية" أو "تعريفية".

وقد أولت اللسانيات التداولية أهمية كبيرة "للوظيفة المرجعية" وذلك لأنها تربط بين **السياق اللغوي وسياق الموقف** أي **الواقع الاجتماعي** التي قيلت فيه العبارة اللغوية ضمن تطبيق الإستراتيجية التضامنية من طرف المتكلم بدراسة الإحالة وهي: الإستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينها.

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 79.

(2) جون بول براون، ج، بول، تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 36.

(3) jean, Dubois et autre, Dictionnaire de l’inguistique, deuxième edition, p 404, France.

(4) فاطمة الطيال البركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون –دراسة ونصوص– المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص 67.

واستعمال **الإستراتيجية التضامنية** يتجلى في الكيفية التي تستعمل فيها الضمائر بالنظر إلى توزيعها، تنويعها ومرجعيتها، كل هذا له أثر في تقليص المسافات بين طرفي الخطاب فتكون العلاقة بين الطرفين في نهاية الخطاب أحسن منها في بدايته وهي تتجسد من خلال علامات لغوية معينة منها: الضمائر والألقاب ويبقى استعمالها مرهونا **بقصد المتكلم وهدفه** من الخطاب.

ويستعمل المتكلم هذه الإستراتيجية بهدف مراعاة علاقته بالمخاطب أو بقصد تأسيسها معه بالخطاب ويساعده في هذه الإستراتيجية قوانين الخطاب(*)، منها: مبدأ التأدب لـ "**روبين لاكوف**" **Robin lakoff** الذي يستعمله المتكلم إما مراعاة لعلاقته الحسنة مع المرسل إليه أو بقصد تأسيسها معه بالخطاب، حيث يسعى المتكلم إلى كسب المخاطب، دون الضبط والإلحاح عليه، وهو مبدأ صاغته "**روبين لاكوف**" في مقالتها "**منطق التأدب**" وصيغته كالآتي:

1-قاعدة التعفف: ومقتضاها: لا تفرض نفسك على المخاطب.

2-قاعدة التشكيك: ومقتضاها: لتجعل المخاطب يختار بنفسه.

3-قاعدة التودد: ومقتضاها: لتظهر الود للمخاطب.

ويقدم "طه عبد الرحمن" مقتضى مهما للتأدب في الخطاب، يساعد على حفظ عرى التواصل بين طرفي العملية الخطابية حيث يؤكد أن المتكلم يجتهد في أن يفهم المتلقي مراده وهذا جلبا للمنفعة المشتركة بينهما على أنه من الممكن للمتكلم أن يضمن خطابه نفورا من المرسل إليه، وعدم رغبة في التواصل معه، ويظهر ذلك من خلال **الإخلال بقوانين الخطاب** وهذا ما يبين أهمية الإشاريات في العملية التواصلية.

(*) تعرف قوانين الخطاب تداخلا كبيرا، ويرتبط مبدأ التأدب بمبدأين آخرين هما: مبدأ التهذيب، ومبدأ التأدب الأقصى. ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، بيروت، 1982م، ص 240.

3-أهمية الإشاريات في بناء الخطاب وفي عملية التواصل:

أ-الإشاريات وربط الخطاب بالسياق الزماني والمكاني:

تمتلك **الإشاريات** وظيفتها التداولية من حيث اهتمامُها المباشر بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تستخدم فيه، أي أنها ذات ارتباط مباشر بالعملية التبليغية للخطاب(1)، ولتجلية وظيفتها التداولية وجب تحديد المرجع الذي تحيل عليه، كذلك الدور الذي تلعبه لضمان تحقيق الإطار التداولي للخطاب، حيث تتحول بعض الأدوات الإشارية في السياق الاجتماعي مثل الضمائر وغيرها من وظيفتها الدلالية للدلالة على **المرجع** إلى وظيفتها **التداولية بانعكاسها على قصد المتكلم**، فتصبح الإشاريات بمثابة خدم اللغة، حيث يمكن لنا أن نطوعها خدمة في إنجاز الوظائف الرمزية.

ب-الإشاريات والواقع الموضوعي والاجتماعي:

ومن بين مَهمات **الإشاريات التداولية** الدلالة على اندماج المخاطب ذاتيا في خضم الواقع الموضوعي، وحضوره في الزمان والمكان تحت شعار (نحن، الآن، هنا) في المستوى الأول من مستويات التداولية (تداولية الدرجة الأولى)، لأن التداولية بحسب "**موريس**" تُعنى بدراسة الضمائر، الزمان والمكان، والمقام الذي يجري فيه التواصل.

وقد لوحظت الأهمية البالغة التي تحتلها التلفظات الإشارية في سياق التواصل فأكثر من تسعين من المئة من التلفظات التي ننطق بها في حياتنا اليومية هي تلفظات إشارية يحددها السياق التلفظي الذي وردت فيه(2).

وقبل التطرق إلى أنواع الإشاريات ومقاصدها التداولية في شعر عبد الله البردوني، نبدأ بالعناوين التي حملت مقاصد متنوعة، والتي رتبت ترتيبا زمنيا ومكانيا في حياة الشاعر، حيث لخصت دواوين شعره كل الظروف الاجتماعية والسياسية والوطنية والثقافية التي مر بها، والتي كان لها أثر كبير في شعره.

---

(1) بلخير عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، 2003م، ص 68.

(2) المرجع نفسه ، ص 69.

ب – مقصدية العناوين في شعر عبد الله البردوني:

إن "العنوان" في شعر البردوني المنطلق الأول للولوج في عمق القصيدة، كونه يخلق الروابط بينه وبين دلالة النص، وهذا ما يمنح النص صفة **الانسجام والتماسك النصية**، فهو بؤرة متحركة داخل النص، متواشجة وبنيته الدلالية، إذ يعد مدخلا لفهم النص، والفكرة داخل النص تستدعي مدخلا واضحا يجذب **القارئ** لقراءة النص وفهم **مقصديته**.

والملاحظ في دواوين البردوني **الاثني عشر** ليس فيها ما يتألف من مفردة واحدة، وكلها متألفة من جمل **اسمية خبرية** خالية من **الفعلية** وهذا التمسك باسمية العناوين عله يوحي بثبوت الدلالة واستقرارها، فجاءت عناوين دواوينه متألفة من جزئين في ثلاثة دواوين هي: **(مدينة الغد، رواغ المصباح، وجواب العصور)** ومن ثلاثة أجزاء في أربعة منها هي: **(من أرض بلقيس، في طريق الفجر، لعيني أم بلقيس، وكائنات الشوق الآخر)**، والعناوين المتألفة من أربعة أجزاء جاءت في ثلاثة دواوين هي: **(السفر إلى الأيام الخضر، زمان بلا نوعية، ورجعة الحكيم بن زايد)**، أما ما تألف من خمسة أجزاء فكانت في ديوانين فقط هما **(وجوه دخانية في مرايا الليل، وترجمة رملية لأعراس الغبار)** [1].

والجدير بالذكر أن عناوين دواوين البردوني جاءت جميعها بصفة **التنكير** إلا واحدا منها جاء **معرفا** هو **السفر إلى الأيام الخضر**، ما يمنح النصوص بعدا تأويليا وفضاءات واسعة، وجذب للمتلقي بأن يملأ هذه الفضاءات بما يملكه من تأويلات وتوظيفات من شأنها أن توصله إلى المقصدية الكلية التي وظفها الشاعر في قصائد كل ديوان من دواوينه، ويمنحه حرية الحركة في هذه الفضاءات فضلا عن ذلك نلمح وبصورة واضحة أن دواوين الشاعر جاءت على نوعين من التشكيل النحوي هما **الإضافة** التي ارتسمت على عناوين **عشر** دواوين منها، وتلاه تشكيل **الجار والمجرور** الذي ابتدأ في ثلاث عناوين، وتخلل في أربعة منها[2].

---

(1) عبد الله البردوني ، رحلة في الشعر اليمني ، الدار الحديثة للطباعة ، ط1 ، دت ، ص166

(2) المرجع نفسه ، ص 166

ولم يكن التوظيف العددي للقصائد داخل دواوين البردوني عشوائيا وإنما جاءت على رتابة شبه منظمة ابتداء من ديوانه الأول **(من أرض بلقيس)** الذي كان له النصيب الأوفر في عدد العناوين، إذ ضم الديوان **60 عنوانا**، وتلاه ديوانه الثاني **(في طريق الفجر)** الذي ضم **53 قصيدة (عنوانا)**، وتلاه الديوان الثالث **(مدينة الغد)** الذي حوى **45 عنوانا**، فيما انتظمت إلى حد ما بقية دواوينه بين العشرين والثلاثين قصيدة (عنوان). وبذلك يكون مجموع قصائد الشاعر في دواوينه **الاثني عشر** بلغ **401 قصيدة شعرية**.

ومثلما اختار "البردوني" عناوين دواوينه من عناوين قصائده كذلك اختار عنوان كل قصيدة من ألفاظ من متن القصيدة ذاتها، أو من دلالة توحي إليه بشكل يناسب وطبيعة كل قصيدة وخصوصيتها، من حيث **الوزن والقافية**، وما تفرضه من دلالات فنلمح أن العنوان يتناسب مع مفردة أو أكثر أو جملة أو شطر من بيت أو أقل من ذلك.

وهذه التوزيعات يمكن أن نرجعها إلى سببين: أحدهما أن البردوني سار على نهج شعراء قبل **الحداثة**، فتسربت توزيعات العناوين من تلك المرحلة إلى تجربته الشعرية سيما في دواوينه الأولى، والآخر أن البردوني لم يكن كاتبا لشعره، وإنما كان يُكتب له بسبب فقدان بصره، فكان يملي شفاها على من يكتب له قصائده وربما وضع عنوانا يناسب مفردة أو أكثر أو عبارة أو جزءا من البيت الشعري، وهذا نلمحه في دواوينه الأولى.

وفيما يلي تصنيف للعناوين إلى ملفوظين كلي وجزئي بالاعتماد على القرائن التداولية وذلك للتوصل إلى المقصدية العامة.

الملفوظ الكلي عنوان الديوان	الملفوظ الجزئي -عنوان القصيدة-	القرائن التداولية الإشاريات الشخصية والزمكانية	المقصدية التداولية -الغرض التداولي-
من أرض بلقيس	**-من أرض بلقيس** -البردوني بقلمه.	ضمير متصل	بلقيس: ملكة سبأ وهنا كناية عن

	-هذه أرضي -أنا والشعر -أنا -من أغني -أنا الغريب -وحدي هنا -.........	هذه أنا أنا ضمير متضل أنا هنا	الأرض المسلوبة.
لعيني أم بلقيس	-**لعيني أم بلقيس** -إلا أنا وبلادي -صنعاء والحلم والزمان -في بيتها العريق -بعد الجنين -ساعة نقاش مع طالبة العنوان. -مواطن بلا وطن. -صنعاني يبحث عند صنعاء.	أنا الزمان ضمير متصل بعد ساعة الشاعر ضمير متصل	الأرض المسلوبة
وجوه(*) دخانية في مرايا الليل	-**وجوه دخانية في مرايا الليل.** -أمام المفترق الأخير. -تحت السكاكين. -بعد سقوط المكياج.	الليل أمام تحت بعد	الحزن والضياع وعبثية الحياة

(*) سنتطرق إلى مقصدية هذا العنوان من خلال الإشاريات الشخصية.

ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، بيروت، 1982م، ص 240.

	-ليلة فارس الغبار. -الضباب وشمس هذا الزمان. -طيف ليلى. -ليالي بيروتية. -.............	ليلة هذا ليلى ليالي	
زمان بلا نوعية	-**زمان بلا نوعية.** -وجه الوجوه المقلوبة. -الجدران الهاربة. -ذكريات صيف. -متجول. -استقالة الموت.	ذكريات	فقدان الهوية والذاتية والزمانية والمكانية
في طريق الفجر	-**في طريق الفجر.** -نحن والحاكمون. -أنا وأنت. -لقيتها. -بين ليل وفجر. -من ذا هنا. -يوم المفاجأة. -بين ذهاب ومعاد. -وطني. -........	الفجر نحن أنا- أنت -ضمير متصل ليل - فجر هنا يوم بين ضمير متصل	ميلاد فجر جديد (بوادر الحرية)
السفر إلى الأيام	-**السفر إلى الأيام الخضر.** -لها.	ضمير متصل	

الخضر	-يداها. -من بلادي عليها. -قبل الطريق. -بين المدية والمذابح. -مناضل في الفراش. -................	ضمير متصل ضمير متصل قبل بين	الحنين إلى الماضي
رجعية الحكيم بن زايد	-**رجعية الحكيم بن زايد.** -ليلة نعي محمد. -قافلة النقاء. -عشرون مهديا. -انتحاريون	ليلة عشرون هم	الموروث الشعبي اليمني والاستفادة من حكمائه
مدينة الغد	-**مدينة الغد.** -اليوم الحنين. -من أين؟ -وراء الرياح. -ليلة خائف. -ذات يوم. -سيرة الأيام. -حلوة الأمس.	الغد اليوم أين وراء ليلة ذات الأيام الأمس	الحرية والاستقلال

ج – تحليل مقصدية العناوين الواردة في شعر البردوني:

أ-قصدية الملفوظ، من أرض بلقيس:

يبدأ البردوني ديوانه الأول "**من أرض بلقيس**"، وبعبارة "**من أرض بلقيس**" وينتهي من القصيدة بالعبارة نفسها، وما ذلك إلا إشارة واضحة لما يود أن يعبر عنه من اعتزازه بنبوغه الشعري وبوطنه الحبيب الذي شكل المهد الأول لهذا النبوغ، يقول:

من أرض بلقيس هذا اللحن والوتر	**من جوها هذه الأنسام والسحر**
من السعيدة هذي الأغنيات ومن	**ظلالها هذه الأطياف والصور**
من خاطر اليمن الخضراء ومهجتها	**هذي الأغاريد والأصداء والفكر**
يا أمي اليمن الخضرا وفاتنتي	**منك الفتون ومني العشق والسهر**
ها أنت في كل ذراتي وملء دمي	**شعر تعتقده الذكرى وتعتصر**
ما ذلك الشدو؟ من شاديه؟ إنهما	**من أرض بلقيس هذا اللحن والوتر**[1]
	والـــــــــــوتر[1]

ف "**بلقيس**" يشير إلى تخصيص الأرض بأرض "بلقيس" اليمنية وليس أي أرض أخرى، و "بلقيس" هي ملكة "**سبأ**" في عهد **سيدنا سليمان –عليه السلام**– وقد اشتهرت في التاريخ بالذكاء والحنكة والدهاء، ويشير اسم "**بلقيس**" إلى الاعتزاز بعظمة اليمن وتاريخ ملكه وملوكه الذين شيدوا حضارات عظيمة، يشهد بريادتها التاريخ.

وقد جاء تَكرار هذا **الملفوظ (من أرض بلقيس)** ليشير إلى مقاصد عدة:

-النسبة إلى حضور الذات الشاعرة.
-النسبة إلى مكان وجود الذات الشاعرة.
} التركيز على المتلقي = وظيفة إفهامية

-تأكيد اعتزازات الذات بشعرها.
-تأكيد اعتزاز الذات بوطنها
} التركيز على المرسل = وظيفة انفعالية

وفي **الملفوظ الجزئي** "**أنا والشعر**" يقول مفتونا بذاته المخلدة في عالم الشعر:

(1) البردوني، ديوان من أرض بلقيس، دار العودة، بيروت، ط2، د ت، ص 55 – 58.

قيثارتي أنت أم الشعر لم تلدي ... إلا غنا الخلد أو لحن البطولات
أودعت نجواك أيات النبوغ فيا ... قيثارتي لقني التاريخ آياتي
وغردت تخيلاتي العذاب فما ... حقيقة السحر إلا من خيالاتي
قيثارتي إنني ابن الشعر أنجبني ... للخلد، للعبقريات الفتيات
يفنى الفنى وأنا والشعر أغنية ... على فم الخلد يا رغم الفنا العاتي
أحيا مع الشعر يشدو بي وأنشده ... والخلد غاياته القصوى وغاياتي[1]

عليهما فقط، مما يؤكد على شاعرية الذات المطلقة، وكأن الذات قد حوت الشعر كله، وقد تضمنت القصيدة كثيرا من الإشارات الدالة على قوة حضور الذات واعتزازها بنبوغها الشعري ومنها:

قيثارتي تكررت ثلاث مرات مع الإضافة "ياء المتكلم"، تأكيد تخصيص القيثارة بالذات الشاعرة لا بغيرها. وهنا تفصيل ورود "قيثارتي" في الأبيات:

(1) عبد الله البردوني، ديوان من أرض بلقيس، ص 127- 128.

ب–مقصدية الملفوظ: زمان بلا نوعية.

يصل البردوني في ديوان"زمان بلا نوعية" إلى حقيقة هذا الزمن السديمي الغريب الذي يعيشه، وما فيه من تمرد على القيم والعادات التي تربى عليها، ومن خروج على المألوف مما يلحظ مدى الاضطراب النفسي الذي يعانيه الشاعر وسط هذا الزمن، الذي لا يقوى على مجاراة أحداثه، فيلجأ إلى الشك بنفسه، وقذفها بما لا تحب من الصفات، ومحاولة إجبارها على تغير مفاهيمها والانسلاخ من قيمها علها تستريح وسط هذا الإحساس بالاغتراب عن النفس والزمن.

أنــوي أعـب الكـأس، يدنــو شـهيد — يصدنـــــي، أنـــوي، ينـــادي فقيـــد
الكــأس تمــسي فـــي يــدي أيديـــا — ملامحهـــا، أعرفهـــا، أستعيـــد
يا كأس هل أحسو؟ حذار احترق — اشـــرب إلـــى أن تنطفـــي يـــا بليـــد
لا ترشفهـــا، لســـت مـــن أهلهـــا — ذقهـا، إلـى كـم أنـت صـاد وحيـد[1]

وبعد هذا الصراع بين النفس والكأس يأتي التصريح بهذا الضياع الذي سببه وجود الذات في "زمان بلا نوعية".

وفي قصيدة "**وجه الوجوه... المقلوبة**" يؤكد الشاعر على تساوي الأضداد والمتناقضات لديه، وانقلاب الحقائق في هذا الزمن المقلوب.

---

(1) عبد الله البردوني، ديوان زمان بلا نوعية، ص 73– 74.

الرقـــم العاشـــر كالثانـــــي الواحـــــد ألـــــف، ألفـــــان
وســـوى المعـــدود كمعـــدود وســـوى الآنـــي مثـــل الآنـــــي
الألـف، الصـفر، بـلا فـرق سيـــان الأعلـــى، والدانـــــي
لا فرق- برغم الفرق- هنـا وهنـــا وهنـــالك سيـــان[1]

فالملفوظ "**وجه الوجوه... المقلوبة**" يشير إلى: انزياح بسبب الخروج عن المألوف في غرابة إضافة الوجه إلى الوجوه، ثم وصفها بالمقلوبة، لينتج عنها صعوبة تكوين صورة واضحة عن مجريات هذا الزمن وحقائقه المقلوبة الظاهرة على الوجوه التي تعد مصدر الانطباع الأول عما تضمر من معان.

وكأن في ذلك تمهيد نفسي لمفاجأة **المتلقي** بهذا الوصف غير المسبوق وغير المتوقع وذلك بإضافة هذا الوجه إلى الوجوه لا إلى الرأس أو الإنسان... أو غيرها من الصورة المتخيلة.

ج-مقصدية الملفوظ: رجعة الحكيم بن زايد.

يتخيل الشاعر حكيم الريف اليمني "**علي بن زايد**" وقد عاد إلى الحياة مرة أخرى ليتفاجأ بما حوله من تغيرات لا يقدر على استيعابها، ومما يلاقيه من نكران الناس له وقد كان أشهر حكماء عصره المشهود لهم بالخبرة والدراية بأمور الحياة، ليعود ليجد النفوس غير النفوس، والعادات غير العادات فلا احترام، ولا تقدير لمن كانوا يعدون رموز البركة، ولا إبقاء على تلك القيم الفضلى التي كان يتميز بها أهل الريف اليمني، فيقول راويا محاورا متسائلا:

مـن أيـن؟ مـن بـاب الـذي ابتـدا أزمعـت أرمـي بـي دمـا، أو نـدى
أهنـو إلـى مـن لسـت أدري، وهـل أجيـب صوتـا أو أنـادي الصـدى
هـل كنـت فـي عصـر بـلا دولـة؟ فوضـاه أرقـى مـن نظـام المـدى
كـالأرض كنـا نسـدر السمـا لكـي تـرى شهـب الثـرى صعـدا

[1] عبد الله البردوني ، ديوان زمان بلا نوعية ، ص 17 – 19.

الآن هـــذا عالـــم غيـــر مـــا عهدتـــه، أغشـــاه كـــي اعهـــدا

يـا صاحبـي، مـا عنونـت دهشـة وجهـــا، ولا مـــن مـــدَّ نحـــوي يـــدا

يـــدرون مثلـــي أن مـــن أودعـــوا تحت الحصى، أمسوا حصى ركدا[1]

إذن فكلمة "**رجعة**" تشير إلى مقاصد عدة لعل أهمها: الماضي واسترجاع ذكرياته الخالدة في النفس.

وقد تشير في الغالب إلى التشاؤم من سلبية الحاضر، وعدم استفادته من خبرات الماضي، وتقهقره إلى الخلف، دون وجود ما يدعو إلى التفاؤل بالتقدم نحو المستقبل، لذلك كان ارتداد الشاعر إلى ماضيه نابعا من خيبة أمله في حاضره.

أنواع الإشاريات:

تعد **الإشاريات** أكثر الوحدات اللغوية التي تتطلب معلومات عن السياق لتيسير فهمها وتنقسم إلى ثلاثة أنواع رئيسة من خلال دلالة كل نوع على نوع معين من الإشاريات، وهي تعبر عن **(الأنا، الهنا، الآن)** حيث «إذ أردنا أن نفهم مدلول هذه الوحدات إذا ما وردت في مقطع خطابي استوجب منا ذلك –على الأقل– معرفة هوية المتكلم والمتلقي والإطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي»[2]، لأن الهدف هو «فحص العلاقة بين المتكلم والمتلقي في مقام استعمالي خاص، بدرجة أكبر من تتبع العلاقة الممكنة بين جملة وأخرى بصرف النظر عن واقع استعمالها»[3]، وعليه تكون الإشاريات هي تلك الأشكال التي تربط عناصر السياق بعضها مع بعض، وسنحاول في هذا الفصل مقاربة الإشاريات: **الشخصية، والمكانية، والزمانية، الاجتماعية والخطابية** في شعر **عبد الله البردوني.**

(1) عبد الله البردوني، ديوان رجعة الحكيم بن زايد، دار العودة، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 220.

(2) جون بول براون، ج، بول، تحليل الخطاب، ص 35.

(3) المرجع نفسه ، ص 35.

1-الإشاريات الشخصية: personnal deictics

تقوم هذه العناصر على مفهوم دور الشخوص المشاركة في عملية التلفظ وهي إشاريات تدل على **المتكلم أو المخاطب أو الغائب**، كما أنها عاجزة بمفردها على تحديد إحالتها الحاصلة عند الاستعمال، لذلك عدها "**ميلنر**" **Milner** فاقدة للاستقلالية الإحالية(1).

وقد وضع النحاة **الإغريق واللاتينيون** تسمية الضمائر من خلال إجراء الاسم الذي يطلق على **الشخصية المسرحية** استخداما مجازيا، يؤدي فيه "**المتكلم**" دورا رئيسا، ويؤدي "**السامع**" دورا آخر يرتبط بالدور الأول، ثم جرت ترجمة هذا المصطلح إلى **اللاتينية** باستعمال لفظ "**persona**" ويعني "القناع"، واستخدمه النحاة العرب للدلالة على الشخص وهو يتعلق بمفهوم الخفاء بالدقة(2).

ويهتم المنهج التداولي في بحثنا بالضمائر على اعتبار أنها تدخل من نسيج البنية العميقة للخطاب.

-**التعبير عن الذاتية في اللغة:** يعد التعبير عن الذاتية في اللغة أهم دور تقوم به الضمائر من المنظور التداولي لأنها تمنح الشخص القدرة على ناصية الحديث.

ويرى **إيميل بنفيسيست E. Benveniste** أن اللغة تمنح إمكان التعبير عن الذاتية، من خلال قدرة المتكلم على فرض نفسه "ذاتيا".... وهذه الذاتية أنها تتحدد لا عبر الإحساس، بحيث أنها تحتوي دائما أشكالا لسانية تناسب التعبير عنها، ... إن الوعي بالذات والتعبير عنها لا يكون إلا عندما أتوجه إلى شخص ما يكون "**أنت**" في خطابي، لأنه شرط يستلزم التبادل إذ أصبح "**أنا**" "**أنت**" في خطاب من يصبح بدوره "**أنا**" في خطابه، بهذا المعنى أفترض وجود شخص آخر خارج عني هو "أنت" وهذا ما يسمى **تقاطب الضمائر**، فالتلفظ بـ "أنا" يجعله قطبا، ومن المفترض أن يقابله قطب آخر هو "**أنت**"... أي إمكانية تغيير نفس

(1) آن روبول وجاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 374.

(2) الأزهر الزناد، نسيج النص –بحث مني ما يكون به الملفوظ نصا– المركز الثقافي العربي، ط1، 1993م، ص 116.

الضمير عن ذوات مختلفة، لأن الضمائر أشكال لسانية فارغة تتناسب مع كل متكلم، فهي تمنح له القدرة على التعبير عن ذاته باعتبارها شرطا أساسيا في المسار التواصلي[1].

إن الضمائر هي نقاط الارتكاز الأولى لوضع **الذاتية في** اللغة، وتتبعها أنواع أخرى من الأسماء المعوضة **(كاسم الإشارة والاسم الموصول)** تشاطرها المنزلة ذاتها، إنها **الظروف وأسماء الإشارة والأحوال والنعوت** وما ينظم **العلاقات الزمانية والمكانية** حول "المسند إليه" بوصفه معيارا: «هذا، هنا، الآن» وتعالقاتها الكثيرة «**ذاك**، **أمس**، **العام الماضي**، **غدا...**» [2].

ويسميها **جون كوهن J.Cohen** في كتابه "**الشعر**" بـ **المتحولات** وهي: «طبقة من الكلمات يتغير معناها تبعا للسياق»، وعلى الرغم من أن هذه المتحولات لم توجد في اللغة لكي تؤدي وظيفة مبهمة، وإنما لتعبر عن معنى معين، فاستعمال المبدع لها في سياق القصيدة مثلا لا يحده زمان ولا مكان يجعلها عصية على التحديد، وإن كانت تبدو محددة عند بث الرسالة، فإنها تفقد تحديدها بعد أن نقلت القصيدة من بين يدي مبدعها، وتصبح عناصرها غامضة المرجع[3]. أي بعد أن يستعملها الشاعر تصبح وظيفتها غير محددة كما أن للقارئ دور في هذا التشويش.

أ – عند العرب:

مصطلح الضمير مصطلح شائع في التراث اللغوي العربي وهو عند القدماء «اسم جامد يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب»[4]، وعند المحدثين يجعله **تمام حسان** مشتملا على ثلاثة فروع هي «ضمائر الأشخاص والإشارات والموصولات»[5].

(1) إيميل بنفنيست، عن الذاتية في اللغة ضمن تلوين الخطاب، فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والحجاج، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2007م، ص 110.

(2) المرجع نفسه ، ص 109.

(3) جون كوهن، بناء لغة الشعر –اللغة العليا– ترجمة أحمد درويش، مكتبة الزهراء بالقاهرة، ط1، 1985م، ص 185.

(4) عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3، د ت، ج1، ص 196.

(5) تمام حسان، مكونات الضمائر في النص القرآني الكريم، ضمن اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007م، ص 225.

ولا تخلو الضمائر في ذاتها من إبهام وغموض في دلالتها «لأن معنى الضمير وظيفي وهو الحاضر أو الغائب إطلاقهما، فلا يدل دلالة معجمية إلا بواسطة المرجع الذي يدل على معين، وتقدم هذا المرجع لفظا أو رتبة أو هما معا ضروري للوصول إلى هذه الدلالة»[1].

لكن هذا القول لا يتحقق في جميع مستويات التعبير، وخاصة التعبير **الشعري** لأن الشاعر يعمد عن قصد منه إلى تغييب المرجع عن التركيب الداخلي للصياغة، ليؤدي وظيفته من خلال السياق الخارجي، وتصبح دلالته بذلك غامضة وغير محددة.

إذ يحتفظ كل نوع من **الإشاريات** بطرق استعماله، وعموما تكتسب الضمائر بهذا المعنى أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، فقد يحل الضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل، وذلك لصعوبة تحديد المرجع الذي يحيل عليه الضمير سواء أكان للمتكلم أو المخاطب أو الغائب.

والمعاني التي تحملها ضمائر الأشخاص لا تخرج بأن تدل على:

1-النوع: التذكير، التأنيث.

2-العدد: الإفراد، التثنية، الجمع.

3-الوضع: التكلم، الخطاب، الغيبة.

ورغم تقرير هذه الأصول، إلا أن بعضها من وجهة نظر الممارسة التداولية، لا تثبت في دلالتها على مرجع معين، بل يجد المرسل أن دلالتها في الأصل لا تعبر عن قصده تماما كما يريد، لذلك يلجأ إلى التلاعب بهذا النظام وإخراج هذه الدوال عن مدلولاتها الأصل فيحول بعض الأدوات الإشارية في السياق الاجتماعي مثل الضمائر من وظيفتها المرجعية إلى **وظيفتها التداولية** بانعكاسها **مؤشرا على قصده**، وهذه معانٍ تُفهم من سياق الخطاب، إذ تعد –عند النحاة– شرطا من شروط الإفادة، وهذا ما يطلبه نظام اللغة، لكن عندما يتعلق

(1) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية للكتاب، ط2، 1979م، ص 111.

الأمر باستعمال اللغة وفق **قصد المتكلم** ومراعاتها للمقام الذي يمر به وضرورة إنتاجه المقال يتواءم معه، فإن الأمر يختلف فنجد من ذلك مخاطبة **الغائب** بضمير **المخاطب**، وذلك باستحضار المخاطب بالتحديد الذهني لمخاطبته في أمر يهم المتكلم[1].

وهذا المخطط يوضح لنا توزيع الضمائر حسب الطرح الذي قدمه تمام حسان:

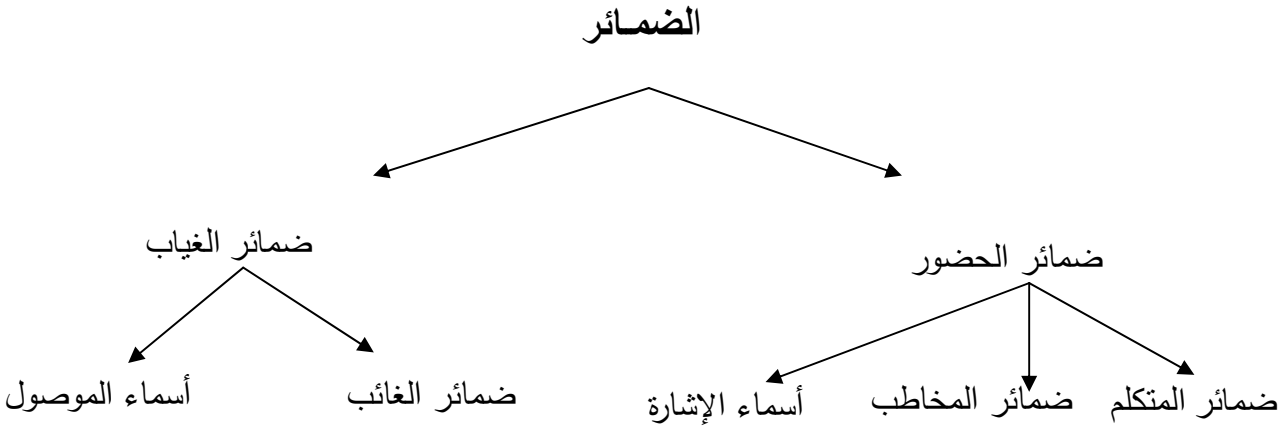

من خلال ما سبق يتبين لنا أن **الضمائر** لا تدل بنفسها، وأن معناها **وظيفي** يتعلق **بالسياق** الذي ترد فيه، وعلى المتلقي أن يكشف المرجع الذي **تحيل** عليه **الضمائر** في الخطاب. وهذا ما سنحاول تبيينه من خلال شعر **عبد الله البردوني**.

المقاصد التداولية للإشاريات الشخصية في شعر عبد الله البردوني:

I. الإشاريات الدالة على الحضور:

وتتمثل في ضمائر **المتكلم** والعلة في تسميتها بضمائر الحضور هي وجود صاحبها وقت الكلام «والحضور قد يكون حضور متكلم كأنا، ونحن، وقد يكون حضور خطاب كأنت وفروعها، أو حضور إشارة كهذا أو فروعها»[2].

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 112.

[2] المرجع نفسه ، ص 204.

وهذا الحضور يمكن أن يكون فعليا، أي أن المتكلم والمخاطب حاضران في سياق الموقف، أو أن المتكلم يقوم باستحضار المخاطب حاضران في سياق الموقف، أو أن المتكلم يقوم باستحضار المخاطب وقت الكلام فيخاطبه وكأنه أمامه، ولهذا أصبحت ضمائر حضور، وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: ضمائر **المتكلم والمخاطب وأسماء الإشارة.**

وبالرغم من وجود **مراجع خارجية** للضمائر إلا أنها غير ثابتة، لذلك يعتمد على **السياق** في تحديدها، خاصة ضمائر المتكلم والمخاطب، لأن «ضمير المتكلم والمخاطب بطبعهما لا يحيلان إلى مذكور سابق، ويتطلب استعمالها معرفة سابقة بالهوية بالنسبة لطرفي الاتصال»[1].

وهناك مجموعة من المعايير التي تتحكم في استعمال الضمائر كمعيار **السن أو البيئة** كما يختلف بين سكان المدن والقرى، وهذا حسب نظرة المرسل للمرسل إليه، لذلك فإن غرض الإسناد إلى هذه الأدوات يتجاوز معيار الوظيفة النحوية البحتية إلى المعيار التداولي[2]، وهذا ما يتبين في بعض المواضع التي يتعمد فيها المتكلم استعمال ضمير الجمع للمخاطبة المفرد أو العكس.

1-ضمائر المتكلم والمخاطب (الأنا والأنت):

أ-حوار الذات وأنا الشاعر:

لا يخرج **الحوار الداخلي** بأنماطه عن **ذات** الشاعر، لأن الشاعر يهدف فيه إلى التعبير عن هذه الذات، ويلجأ إلى مخاطبة الأشياء غير العاقلة أحيانا فيشخصها، وهدفه هو اعتراضه على ذاته، فهو دائما يحاول أن يُحدث **تغريبا** بينه، وبينها. ولا تخلو حياة أي إنسان من **حوار الذات** ومحاولة إثباتها، فهو لا يستطيع الخروج عنها، لذا يريد التعبير عنها من خلال الحوار الداخلي الذي يقيمه معها.

---

(1) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسن،عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م، ص 333.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 287.

ويكثر في الخطاب الشعري **لعبد الله البردوني** استخدامه "**للمناجاة**" التي تأتي على شكل «حوار حيث يتكلم المرسل ويجيب نفسه»(1)، حيث يناجي الشاعر شيئا افترضه، ويرجع بعدها ليجيب نفسه، فتصبح ذاتية يفرغ الشاعر أحزانه بواسطتها.

وتتعدد استخدام "**الضمائر**" في "**المناجاة**"، فقد يأتي بضمير **الغائب أو بضمير المتكلم أو المخاطب**، حيث يكون الكلام موجها بصيغة خارجية ولكنه في الحقيقة يكون موجها لذات المتكلم(2). فـ "**الأنا**" التي يتكلم بها الشاعر ما هي إلا أداة تواصل بينه وبين الآخرين، لإيصال جزء من تجربته، وسبب هذه القدرة في الإيصال هو «وجود عالم إدراكي مشترك ذي رموز متفق عليها، وبالطريقة نفسها فإننا نوصل مشاعرنا إلى الآخرين بسبب عالم الشعور المشترك»(3)، يتمثل هذا العالم في **الأنا المشتركة**، لهذا نلحظ أن "**الأنا**" في الشعر هي أداة النطق والكلام حيث يستخدمها للتعبير عن مقصديته، بعد أن عبر بها عن ذاته التي تعيش وسط هذا العالم الموضوعي.

يستخدم الشاعر ضمير **(الأنا)** ليعني أنه أوجد **(أنا)** ثانية، وقد يستخدمه للهروب من هذه الذات، فكان **رامبو** يقول «بصدد الشاعر (أنا) هي شخص آخر»(4)، وهذه (الأنا) ليست أناه الحقيقية، بل يرسمها لنفسه فيصبح «حالما يقول (أنا) فإنما يكف عن **الحضور** فاسحا المجال أمام (أناه الثابتة) التي، هي، أنا، متخيلة»(5).

إن التعبير عن هذه الذات المتخيلة في أنا الشاعر عبد الله البردوني له مقصديته الخاصة، فقد تكون نتيجة إحساس الشاعر بالغربة النفسية والغربة الاجتماعية، وقد يحس بعدم كمال هذه الذات ونقصها، لذا يحاول التعبير عن طريق شعره لأنه يجد في «التجربة

(1) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، 1985م، ص 209.
(2) فاتح عبد السلام، الحوار في القصة العراقية، رسالة دكتوراه، كلية الأداب، جامعة الموصل، 1995م، ص 103.
(3) كريستوفر كودويل، الوهم والواقع –دراسة في منابع الشعر–، ترجمة توفيق الأسدي، دار الفارابي، بيروت، 1982م، ص 158.
(4) أرنست فيشر، ضرورة الوهم، ترجمة ميشال سليمان، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت، ص 111.
(5) فاضل ثامر، الصوت الآخر، الجوهر الحراري للخطاب الأدبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1992م، ص 269.

الفنية محاولة لاستكمال الذات وردم العاهات ومواضع الضعة والنقض والجهل في الوجود»[1].

يعد استعمال الشاعر **عبد الله البردوني** للضمائر وتعددها في شعره نابعا عن ذاته، وهذا في الظاهر، لكم الحقيقة أنه لا يخرج عنها، وهذا ما يسمى "**الالتفات**"، حيث نرى أن اللغة في داخلها تشير إلى ضمير، في حين أن الدلالة التي تقع خارج اللغة تشير إلى شخص لا يتطابق معه الضمير المستخدم في داخل اللغة[2].

لقد عرف توجه الكثير من الشعراء هذا الأسلوب، حيث بنى بعضهم قصائد كاملة على **حوار الذات**، التي قد تستخدم طابع "**التجريد**" وكان «الخطاب إلى النفس موجه إلى شخص ثان»[3]، وهذا بدوره يتطلب استخدام تعدد الضمائر ليبتعد عن ذاته، لكن في حقيقة الأمر أن «الضمير اللغوي ينطوي على ازدواجية صريحة، فهو كلي في اللغة جزئي في الكلام، أنا، أنت، هو، ضمائر يمكن أن يقولها أي شخص فتعينه بذاته»[4].

والالتفات هو «انصراف من المخاطبة، ومن المخاطبة إلى الإخبار»[5].

إذ استخدام الشاعر لضمير المخاطب، قاصدا به ذاته، لا يمكن عده التفاتا ما لم يعدل إلى ضمير المتكلم، وهناك تعريف حديث للالتفات، لا يبتعد عن التعريف القديم له في الفكرة وهو «خطاب شخص بضمير لا يقابله»[6].

نستطيع على أساس هذا المفهوم أن نقول أنه إذا كانت مَهمة الضمير أن يتطابق مع ما يقابله من شخص خارجي فإن العملية عملية تواصل، أما إذا أشار الضمير إلى شخص غير مصرح به، فهنا يتكون ما يسمى الالتفات.

---

(1) إيليا الحاوي، في النقد والأدب، دار الكتاب اللبناني، ط4، 1979م، ص 34.

(2) سعيد الغانمي، أقنعة النص، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د ط، 1991م، ص 51.

(3) يوسف الصائغ، الشعر الحر في العراق، مطبعة الأديب، بغداد، د ط، 1978م، ص 207.

(4) سعيد الغانمي، أقنعة النص، ص 50.

(5) ابن رشيق القيرواني، العمدة، تحقيق محمد محي الدين، دار الجبل للنشر، بيروت، ط3، 1981م، 46/2.

(6) سعيد الغانمي، أقنعة النص، ص 55.

عندما تستخدم قصيدة **المونولوج (حوار الذات)** ضمير "الأنا" فهي لا تخرج عن (أنا) الشاعر، حتى في استخدام ضمير المخاطب (أنت) فالكلام يعود إلى ذات الشاعر، ونقف عند قصيدة "**وجوه دخانية في مرايا الليل**" لعبد الله البردوني التي تعكس لنا مدى الاغتراب الذي يعانيه الشاعر ونبدأ بعنوان القصيدة، فاختيار العنوان له دلالته النفسية عند البردوني، ففي "وجود دخانية" نجد استخداما لغويا غريبا، فالشاعر لم يستخدم صفة لونية أو شعورية متعارف عليها، فلم يقل (وجوه سمراء أو وجوه سعيدة أو ....) و "**مرايا الليل**" فهل الليل يمتلك مرايا؟ فالعنوان إذن يعكس الليل الدائم والأزلي في عيون البردوني نتيجة آفة العمى، فهو أراد أن يعكس الحالة النفسية التي يعيشها والتي تتمثل في الحزن والضياع وعبثيته الأشياء، إننا لا نستطيع أن نضع شكلا للوجوه الدخانية التي يريدنا أن نراها في مرايا الليل ونستطيع أن نفهم العالم النفسي الداخلي للشاعر من خلال هذا التصوير، فهو ليس إلا عالما مليئا بالغربة وعدم الاستقرار، فالدخان يضيع في الليل، فكيف لنا أن نتصور الوجوه الدخانية التي تنعكس على مرايا الليل؟ فهذا الاستخدام يعد انحرافا على مستوى اللغة.

وهذا ما تثبته الأبيات الآتية:

الدجى يهمي وهذا الحزن يهمي	**مطرا من سهده يظمأ ويُظمي**
يتعب الليل نزيفا.... وعلى	**رغمه يدمى وينجز ويذمي**
يرتدي أشلاءه، يمشي على	**مقليته حافيا، يهذي ويومي**
يرتمي فوق شظايا جلده	**يطبخ القيح بشدقيه ويرمي**[(1)]

يستخدم الشاعر الحوار الذاتي ليعكس الشعور الداخلي، وقد شخص الشاعر الليل كي يتكلم عنه مخاطبا ذاته، وما هذا الليل إلا نفسه، الذي يعيشه والذي يمثل عالم المظلم في الدجى والحزن، وحتى أحلام اليقظة، فهي تخضع لذاتيته، وقد تمكن بذلك من رسم ليل متعب، لكنه يمشي مرتديا أشلاءه، ويمشي على مقلتيه حافيا.

(1) عبد الله البردوني، وجوه دخانية في مرايا الليل، دار الحداثة، بيروت، ط5، 1980م، ص 93.

إن الوعي بالذات والتعبير عنها لا يكون إلا عندما أتوجه إلى شخص ما يكون "أنت" في خطابي لأنه شرط يستلزم التبادل إذ أصبح "أنا" "أنت" في خطاب من يصبح بدوره "أنا" في خطابه لهذا المعنى أفترض وجود شخص آخر خارج عني هو "أنت" وهذا ما يسمى **تقاطب الضمائر**، فالتلفظ بأنا يجعله قطبا ومن المفترض أن يقابله قطب آخر هو "أنت" لأن المتكلم لا يتلفظ بالخطاب إلا وهو –على الأقل– شريك له في الخطاب سواء أكان مستمعا أو قارئا، أي إمكانية تعبير نفس الضمير عن ذوات مختلفة لأن الضمائر أشكال لسانية فارغة تتناسب مع كل متكلم، فهي تمنح له القدرة على التعبير عن ذاته كما في اللغة باعتبارها شرطا أساسيا في المسار التواصلي.... فليست إلا نتيجة تداولية بالكامل[1].

وهذا ما وُجد في شعر البردوني حيث نلاحظ المطر الظامي والليل الذي يجمع أشلاءه فقد حول الشاعر بهذه المفارقات اللغوية شد المخاطب ليتمعن في قصيدته، ثم يلجأ بعد ذلك إلى صيغة السؤال ليكمل تصور لحالة الحزن واليأس:

مــن أنــــا؟ أســـأل شخصـــا داخلـــي   **هل أنـا أنـت؟ ومـن أنـت ومـا أسمى؟**
أيهـــا الحـــارس تـــدري مـــن أنــــا؟   **اشـــتروا نـــومي، طويـــل ليـــل همـــي**
يـــــــــــــا سيـــــــــــــــــدي؟   **زوجوهـــــا ثانيـــــا؟ المـــــال يغـــــري**
مـــن أنـــــا؟ الليـــــل يبنـــــي للــــرؤى   **قامــــة كـــالرمح مـــن جلـــدي وعظمـــي**
مـــن أنـــا؟ صـــار ابـــن عمـــي تاجـــرا   **واشـــترى شـــيخ ثـــري بنـــت عمـــي**[2]

يقيم الشاعر في هذه الأبيات حوارا ذاتيا يعتمد على ضمير (الأنا) وينتقل أحيانا من ضمير الأنا إلى ضمير المخاطب، حيث يلجأ الشاعر إلى استخدام الضمير (أنت) الذي لا يخرج عند ذات الشاعر، والقصيدة التي تستعمل مثل هذا الأسلوب تسمى **قصيدة**

---

[1] إميل بنفنيست، عن الذاتية في اللغة، ص 110.

[2] عبد الله البردوني، وجوه دخانية في مرايا الليل، ص 94– 95.

التخارج[1]، ولا يعني استخدام الضمير "أنت" في البيت الأول الانتقال إلى خارج الذات بل يكون المقصد الشاعر نفسه لأنه يكلم ذاته بضمير يختلف عن ضمير (الأنا) وانتقاله من ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب اعتراضه على وجوده، داخل نفسه، وهذا افتراضا والمقصد من ذلك تغريب الذات وتزييفها.

وهذا مخطط يوضح حوار الشاعر مع ذاته التي جردها كشخص آخر.

نستطيع القول أن البردوني في حالة نداء لا نتيجة لها، فهي من مخاطب إلى مخاطب عن السؤال من أنا؟ والقصد الشاعر نفسه، وعندما ينتقل إلى الضمير "أنت" لا يخرج عن هذه الأنا، فنجد سؤالين للذات سؤال موجه إلى ذات الشاعر، وسؤال إلى ذات الذات وذلك بانتقاله إلى الضمير أنت، فالكلام موجه من الشاعر إلى الشاعر، لكنه لم يجد الإجابة والمقصد من ذلك أنه يعاني صراعا داخليا، صراعا بين فكر وفكر، فيكون بذلك قد فقد نفسه فحاول أن يزيفها.

إن "الضمائر" هي نقاط الارتكاز الأول لوضع "الذاتية في اللغة" وتتبعها أنواع أخرى من الأسماء المعوضة **كالظروف وأسماء الإشارة والأحوال والنعوت** وما ينظم العلاقات المكانية والزمانية حول "المسند إليه" بوصفه معيارا: **هذا، هنا، الآن**، وتعلقاتها الكثيرة **ذاك،**

[1] سعيد الغانمي، أقنعة النص، ص 48.

أمس، العام، الماضي، غدا، ... إلخ، وهي تشترك في كونها تعرف فقط بارتباطها بالوضع الخطابي الذي تنشأ فيه أي تبعية لأنا الذي يتلفظ بها[1].

ويكثر **البردوني** من القصائد التي تقوم على الأنا، ويتواصل فيها مع ذاته، وسبب ذلك الشعور بالاغتراب الذي طال بطول آفة العمى، التي لازمته منذ السادسة من عمره، فعاش نوعا من الحرمان، فها هو ينظم قصيدة عنوانها "**أنا**"، حيث لم يكتف بالعنوان ليدل على ذاته بل كرر مرارا الضمير (أنا)، وكان حبه لرؤية الأشياء السبب الأول في التعبير عن هذا الشوق الذي مثله في الآلام، وقد أصبح الحرمان رفيق هذا الحب، ولم يدعه وحده فكان زاده وكل شيء بالنسبة إليه حتى بدأ يحس أنه يعيش وحده في الغربة:

وحـــدي هنـــا خلـــف الوجـــود ... وخــــــلف أطيـــــاف السنـــــا
وهنـــــا تبنتنـــــي الحيــــاة ... ومـــا الحيـــاة ومـــا هنـــا
أنـــا مـــن أنـــا؟ الأشـــواق وال ... حرمــــان والشكـــــوى أنــــا
أنـــــا فكـــــرة ولهـــــى معـــا ... نيـــــها التضنـــــي والضنـــــا
أنـــــا زفـــــرة فيهـــــا بكـــــا ... ء الفقـــــر آثـــــام الغنــــى[2]

فضمير "الأنا" مكون إشاري يحيل على المتكلم، وتحيل كلمة "هنا" على سياق تواصلي **مكاني**، فالشاعر يريد بوساطة الأنا نقل تجربته النفسية، فحاول إيصالها عن طريق الأنا المشتركة التي تعاني الظروف المؤلمة، وتوحي هذه الأنا بالألم واليأس، وهذا ما يعانيه غير الشاعر نتيجة الظروف الأخرى التي قد تختلف عن ظروف الشاعر، لكن النتيجة واحدة.

وفي سياق آخر يستعمل الشاعر ضمير المخاطب "أنت" ويعكس بواسطتها الضياع الذي حل بعد إخفاق ثورة سبتمبر، فكشف لنا هذا الخطاب عن مصير الناس كيف كانوا بعد هذه الثورة، حتى أصبحوا يجهلون سيرهم وزمانهم فلا يعرفون متى جاؤوا ومتى ذهبوا وهذا ما ستكشفه هذه الأبيات:

---

(1) E.Benveniste, problème de l’linguistique générale, 2eme edition, paris, 1966, p 109.

(2) عبد الله البردوني، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، د ط، 1979م، ص 183.

قبل عشر كنت منا ولنا — يا ترى كيف تلاقينا .... وأين؟
أنت لا تدري ولا تدري متى — فرقتنا الريح... أو أين التقينا؟
وإلى أين مضى السير بنا — دون أن تدري .... ومن أين أنثينا
أنت مهما ترتدي أسماءنا — من أعادينا ومحسوب علينا
غير أن كل عام نلتقي — عادة والزيف يخزي موقفينا[(1)]

بالرغم أن "البردوني" وظف ضمير المخاطب "أنت" إلا أن الخطاب يدور على محور الذاتية (ذاتية الشاعر)، فكلما أحس بالاغتراب افترض وجود سامع يخاطبه بضمير المخاطب، وغايته التعبير عن قضية ما قد تكون اجتماعية، ومثل هذا **المونولوج** يسمى **المونولوج الدرامي** لوجود متكلم ومخاطب، وقصة يدور عليها الحوار.

ب-الضمائر المتصلة:

النداء وحوار الذات:

يدخل **النداء** في مجموعة الإشاريات الشخصية لأنه «ضميمة تشير إلى مخاطب لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائه، والظاهر أن النداء لا يفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه»[(2)].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك فرقا بين "**أنا الشاعر**" و "**أنا الشعر**" فأنا الشاعر: هي «ذات الشاعر التي توجد في العالم وتتفاعل معه وتؤسس منظومة العلاقة التي تربطها به، أما أنا الشعر فهي (أنا) الشاعر الفرضية التي توجد في القصيدة والنص»[(3)].

يخرج الشاعر عند مناداته لذاته أو للأشياء عن (أنا الشعر)، فهو يخرج عن المألوف في النداء، الذي يكون في اللغة العادية موجود بوجود **مرسل ومتلقي**، لهذا فإن **الالتفات** في الشعر يحصر عملية النداء في المرسل فقط.

---

(1) عبد الله البردوني، لعيني أم بلقيس، دار العودة، بيروت، ط2، د ت، ص 99.

(2) أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص 19.

(3) سعيد الغانمي، أقنعة النص، ص 62.

فصحيح أن ذات الشاعر قد تكون حاضرة لكن هذا لا يعني أن نقرأ الشعر في ظل الواقع، بل أن نقرأ الواقع في ظل الشعر، لأن الشعر يبني واقعه داخل الشعر وليس داخل الواقع.

نتيجة للنداء لا وجود للمرسل، بحيث يصبح النداء موجها من الشاعر إلى الشاعر وبهذا يختفي المتلقي أيضا، وهذا حال قصيدة التخارج:

مخطط يوضح قصديتي الالتفات والتخارج

ضمائر المتكلم المتصلة:

إلى جانب الضمير المتكلم المنفصل "أنا" والذي استخدمه بكثرة، شاع أيضا في شعر عبد الله البردوني الضمير المتكلم المتصل **(الياء)، و(التاء).**

فالشاعر يستحضر ذاته من خلال الضمير المتكلم المتصل حينا بالفعل الماضي أو الفعل المضارع ليحمل وظيفة الفاعلية، وحينا آخر يرتبط بالفعل الذي فاعله مستتر ليحمل وظيفة المفعولية، ويعد التعبير بضمير المتكلم أهم ميزة أسلوبية في استعمال الضمائر في حالة الحيرة والقلق، مع وجود ياء النسبة التي تعود على "الأنا" باعتبارها نوعا من أنواع ضمائر الملكية لتعبر بذلك عن الاتجاه النفسي الذي يصوره الشاعر في خطاب (الأنا) المتمثلة بذاته، التي باتت صريعة ظروفه القاسية:

قبـــــل الطريــــــق أبتــــــدي　　　سيــــــري رحيــــــل أحرفــــــي
أجـــــئ قبــــــل مولــــــدي　　　بعــــــد مــــــدى تخلفــــــي
مفتشـــــا عــــــن جبهتــــــي　　　وعــــــن عــــــروق معزفــــــي
هــــــل أبتــــــدي تحركــــــي؟　　　تعلمــــــي أن تعزفــــــي
واحرقــــــي مــــــا أخرجــــــوا　　　وألفــــــو وألفــــــي[1]

تعبر هذه الأبيات التي يحاور الشاعر فيها نفسه، عن الضياع الذي يحس به، فهو لم يعد يجد نفسه، ولا يعرف إن كان واقفا أو ماشيا، فقد مل كل شيء، لأنه لا يجد الطريق الصحيح، لهذا يحس بالغربة النفسية والاجتماعية، مما يدفعه إلى القول أنه لا يجد غير القصيدة كي يتخذها موطنا له:

[1] عبد الله البردوني، السفر إلى الأيام الخضر، دار الفكر، دمشق، ط8، 1995م، ص 52، 53.

جنسيتي غرابتي ... مملكتي تطرفي

مدينتي قصيدة ... أشعلها وانطفي

حبيبة تميتني ... دقائقها وتختفي

حريقة تشربني ... أشر بها وأشتفي[1]

جاء في هذا المقطع الشعري الضمير المتصل الدال (جنسيتي، مدينتي، تميتني، تشربني.....) ليوضح للآخر عدم الانضمام إليه وأنه يعيش في مدينته الخاصة، فالتلفظ هو الذي يفضي إلى تعدد الإنجازات بل والمعاني التي يمكن أن يسندها المرسل إلى خطابه، ذاك أن «التلفظ هو الذي يحدد دور الملفوظات التداولي ويُسهم في بيان دلالتها وفي الكشف عن آلية التعامل اللغوي في السياقات المختلفة»[2]، ولهذا تمكن "البردوني" من أن يعبر لهذا لهذا الخطاب عن مقاصد متعددة بالإحالة إلى سياقات التلفظ المتنوعة. فتتنوع المقاصد بتنوع قصائده التي طبعها بطابع الحزن والتشاؤم الذي لزمه دوما إلى درجة تجسيده، ليعاتبه لكن دون جدوى، وها هو يكشف لنا في هذا الخطاب عن حزنه لوفاة أمه وتركها إياه يعاني مأساة آفة العمى:

تركتني ها هنا بين العذاب ... ومضت يا طول حزني واكتئابي

تركتني للشقا وحدي هنا ... واستراحت وحدها بين التراب

حيث لا جور ولا بغي ولا ... ذرة تبنى وتبني بالخراب

حيث أدعوها فلا يسمعني ... غير صمت القبر والقفر اليباب

آه (يا أمي) وأشراك الأسى ... تلهب الأوجاع في قلبي المذاب[3]

المــــــــــــــذاب[3]

---

[1] عبد الله البردوني، السفر إلى الأيام الخضر ،مصدر سابق، ص 54.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 30.

[3] عبد الله البردوني، السفر إلى الأيام الخضر، ص 54.

أسماء الإشارة:

إذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخوص أو غيابها عنه، فإن أسماء الإشارة تحددها مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري[1]، وهي تماما لا تفهم إلا إذا ربطت بما تشير إليه، فلهذا تصنف ضمن الحضور، وذلك لأنها تحيل على حاضر في وقت الكلام، كما تدل على استحضار الذوات أثناء الخطاب، وتتداعى أمام عبد الله البردوني صور لأشخاص ولأشياء ينقلها لنا عن طريق هذه الأبيات:

هـــذا قـــذال مـــده مـــرأب ... وذاك وجـــه لوحتـــه زبيـــد

هـــذا محيـــا مرشـــد هـــذه ... بنـــان مسعـــود ذراعـــا سعيـــد

هـــذا جبيـــن الآنـــي هـــذه ... أهـداب سـعيد أنـف عبـد الحميـد

كـانوا فـرادى فـالتقوا فـي الـردى ... لكـي أرى المـوت الحبيـب الوحيـد[2]

الوحيـــــــــــــــــــــــــد[2]

في هذا المقطع الشعري سيطر اسما **الإشارة (هذا وهذه)** الدالان على القرب من حال مخاطبيه، وحال اشتغالهم في الخطاب.

فالضمير الإشاري الدال على "**القرب**" يتألف من **الهاء**، الدالة على التنبيه بإضافة "**ذا**" مفتوحة دالة على المذكر تارة، و"**ذي**" مكسورة دالة على المؤنث تارة أخرى، فإن هذا التبدل الصرفي بين الحركات يمثل قيمة دلالية فارقة بين التذكير والتأنيث، كما أن "هذي" صارت في الوقف "هذه"، وبقي هذا الاستعمال متداولا[3].

وتجدر الإشارة إلى أن ما يميز الضمائر الإشارية الدالة على **البعد** هو أنها استغنت عن الهاء في جميع استعمالاتها، كما استعملت للتفرقة بين المذكر والمؤنث، وفي الإفراد

(1) الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ص 118.

(2) عبد الله البردوني، زمان بلا نوعية، دار العودة، بيروت، ط2، 1980م، ص 72.

(3) صفية مطهري، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2003م، ص 20.

والتثنية، طريقة التعارض والتبادل الصامتي، فالذال للمذكر والتاء للمؤنث، والجمع ممثلا في صيغة واحدة بين جنسي التذكير والتأنيث[1]. وهذا ما نجده في الأبيات السابقة "للبردوني" حيث نوع بين الإشاريات الدالة على المفرد والمؤنث للقريب والبعيد ليصور لنا علاقته بهؤلاء الذين جمعهم الموت به، حتى أصبح الموت حبيبه الوحيد كي يلتقي بهم، إذ استدعاء الشاعر لصور هؤلاء مثَّله وعكسه الشاعر بخياله، فهو ينتقل بكل حرية.

وقد استخدم الشاعر **أسماء الإشارة** في وصف **الصور** أمامه مما يؤكد **التخيل**، فيتداعى معتمدا على التصور، وقد كشف لنا الشاعر بذلك عن شعور داخلي هو شوقه إلى رؤية هؤلاء الأشخاص الذين أخذهم الموت، ولم يبق إلا صورهم في عقله.

فتعتلـــي فـــي داخلـــي كربـــلا　　　نصفـــي حســيني، ونصــفي يزيــد
أمشـــي كجيـــد وحـــده لحظـــة　　　ولحظــة رأسـين مــن غيـر جيـد[2]

يصور الشاعر حالة القلق والتناقض في داخله، مجسدا إياهما بوساطة وقائع تاريخية جرت في "**كربلاء**"، فقد أن أراد أن يشير في هذين البيتين إلى صراع الذات الذي يأتي باختلاف التفكير والحالة النفسية، فهو يمشي كجيد بلا رأسين، وبهذا يعدم التفكير عنده، فيكون مجرد سائر بلا دليل، والقصد من ذلك التناقض الفكري فكل رأس له فكرة.

<u>الإشاريات الدالة على الغياب:</u>

تعد الشخصية الثالثة عنصرا أساسيا في الخطاب (الحديث) ميزتها أنها تبتعد عن الإبهام ويدعوها **جون سرفوني J.servoni باللاشخص (Non personne).**

ولكن لا يمكن للضمير أن يعبر عن "اللاشخص" بحيث لا يظهر إلا إذا أراد المتكلم ذلك، تقول **أوريكيوني (Orecchioni):** «إن التصريح القائل أن الضمير (هو) تكمن

---

(1) هنري يلبش، العربية الفصحى –نحو بناء بغوي جديد– تحقيق عبد الصبور شاهين، دار المشرق، ط2، بيروت، 1983م، ص 165.

(2) عبد الله البردوني، زمان بلا نوعية، ص 74.

وظيفته في التعبير عن اللاشخص يبدو غير صحيح تماما إنما يكون ذلك في بعض الأساليب التي يرغب فيها المتكلم تحديد طبيعتها»[1].

إنه يمكن أن نطلق على (هو) الضمير **الغيبي**، ولا يختلف عن (أنا) و(أنت)، ولا يمكن تحديد وظيفة (هو) خارج **أفعال الكلام** حسب **مانغونو (Mainguenun)**، فالسياق اللغوي هو الذي يسمح بترجمة (هو) وربطه بسابقه يقدم له مدلولا، الشيء نفسه بالنسبة لـ (أنا) و(أنت) اللذان يفتقدان للمرجعية في حالة فقدان الاستعمال الواقعي لهما.

يقول **مانغونو:** «... فضمائر الشخص تبقى الأكثر جلية، والأكثر معرفة من الضمائر»[2].

وضمير الغائب هو الشكل الفارغ أو الضمير الذي لا يحيل على إنسان لأنه ضمير يحيل على شيء واقع خارج التخاطب، ولكنه ضمير لا يوجد ولا يتخصص إلا في تقابل مع ضمير المتكلم (أنا) الذي يعينه عندما ينطق به غير شخص، لكنه الشكل الذي يتخذ قيمته من خلال كونه جزءا منزويا من خطاب يتلفظ به "أنا"[3].

يصور البردوني في بعض قصائده عالما مضطربا، ليعكس به عبثية الزمان الذي يعيشه، مثل قصيدة (الغرفة الصرعى) التي يتخيل فيها خيالا واسعا وتركيبا سرياليا يقول:

شيء بعيني جدار الحزن يلتمع — يهم بخير عن شيء ويمتنع
يريد، يصرخ، يبني عن مفاجأة — لكنه قبل بدء الصوت ينقطع
يغوص يبحث في عينيه عن قمة — تغوص عيناه فيه، يقتضي يدع
عما يفتش؟ لا يدري يضيع هنا — يقوم يبحث عنه وهو مضطجع
يومي إلى السقف، تسترخي أنامه — تمتد كالدود، كالأجراس تنزرع[4]

---

[1] ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 102.

[2] المرجع نفسه، ص 103.

[3] E.Benveniste, problème de linguistique générale, p 102.

[4] عبد الله البردوني، وجوه دخانية في مرايا الليل، ص 56.

لقد وظف "البردوني" العنصر الإشاري الدال على الغائب بكل أنواعه:

الضمير المستتر: في الأفعال الماضية والمضارعة، يلتمع، تغوص، يفتش، يضيع....

الضمير المتصل: في الألفاظ: لكنه، عيناه، فيه، أنامله.

الضمير المنفصل: هو.

إن كل هذه الضمائر تحيل على **مرجع** واحد هو **ذات الشاعر** فقد أدت وظيفة واحدة وهي الإحالة على المرجع نفسه، وعليه فالضمير والمضمر بمعنى واحد.

أقام "البردوني" لوحة خيالية لا يستطيع القارئ أن يرسم لها تصورا ذهنيا بشكل منطقي عن طريق جدار الحزن، الذي غاص في عينيه يبحث عن فمه، ولم يجد شيئا، فيحاول أن يشير إلى السقف بأنامله لكنه يضعف ويسترخي وهكذا تتجلى قصدية الغربة في خلطها بغير المعقول، وهو إسناد الحزن والإرادة والصراخ والانقطاع و....، غيرها إلى جدار الحزن.

وحَريٌّ بالبيان أن استعمال ضمائر **الغائب** تتدخل فيه أبعاد "تداولية"، فالمتكلم لم يذكر المرجع المقصود باسمه، بل أشار إليه بتلك العناصر الإشارية التي سبق ذكرها، ولعل هذا راجع إلى سلطته ومكانته الاجتماعية، فهو القاضي الذي في يده الحكم، وعليه فإن المرسل يختار الاستراتيجية التخاطبية التي تناسب مكانته الاجتماعية، كما يراعي موقع المخاطب والعلاقة التي تربط بينهما.

وفي سياق آخر يقول البردوني:

كـان ينسـاق جـدار موثـق   بجـدار وأنيـن الطيـن يجـدو

تخـرج الأشيـاء مـن أوجهها   ترتـدي أخرى ووجه الحـزن فرد

هـا هنـا للمنحنـى أفئـدة   للربـى ذاكـرة، للعشـب وجـد

هـذه الكومـة أروى هـذه   روضة الوضاع هذا التل سعد[1]

سـعد[1]

---

[1] عبد الله البردوني، زمان بلا نوعية، ص 132- 134.

يُكثر البردوني من استخدام ضمائر الغائب المستترة، والقصد من ذلك إضمار ما يلج بخاطره ونفسه والتناقضات التي سيطرت عليه.

فالشاعر قد ينتقل من تداعي الأفكار إلى تداعي الصور كانتقاله من الضمير الغائب المستتر إلى ضمائر متصلة ومنفصلة، وهذه الصور تستدعي بدورها صورا أخرى وهذه العملية تعتمد على التصور الذهني، فماذا يعني بكاء الصمت وشكواه، والجدار الذي ينساق وهو موثق، والأشياء التي تترك أوجهها وتهرب؟؟

كل هذا وذاك... مقصده أن "البردوني" يحاول القضاء على الصمت والهدوء والحزن والشكوى و.... التي تصحبه.

2-الإشاريات الزمانية: Temporal deictics

هي عناصر لغوية تشير دلالة على زمن التلفظ أو الخطاب، ذلك أن زمان التكلم هو مركز الإشارة الزمنية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمنية التبس الأمر على السامع أو القارئ كما للإشاريات الزمنية علاقة وطيدة "بالسياق" لا تساع دلالة بعض العناصر الإشارية في التعبير عن الزمان وتجدر الإشارة إلى أن «المقياس الشعوري يختلف في صميمه عن مقياس الزمان الذي يعتمد في القياس على **الأشهر والأسابيع والأيام والساعات،** لأن الفترات الزمنية الموضوعية قد تنكمش في شعور الإنسان، أو تمتد وتبدو طويلة وذلك تبعا لمجرى الشعور وسرعة ذلك المجرى، حيث لا وجود للحياة الإنسانية دون الانفعال والشعور الدائم بالذات، فالإنسان يعيش في قبضة مشقة نفسية دائمة فهو بين توقع من المستقبل ومعاناة من الحاضر واستنادا على ميراثه النفسي والاجتماعي من الماضي» [1] معنى ذلك أن الزمن ليس مجرد أيام وأسابيع وساعات.... بل يتجاوزه إلى حالات نفسية

[1] محمد عبد الواحد حجازي، الأطلال في الشعر العربي –د. جمالية– دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2002م، ص 16.

واجتماعية وثقافية.... تجعله دوما في صراع نفسي، أو يمكن أن نطلق عليه الزمن النفسي وهذا ما سنبينه من خلال شعر عبد الله البردوني.

مفهوم الزمن:

يطلق مصطلح "**الزمن**" على فصلية نحوية عموما، مرتبط بالفعل الماضي والمضارع والأمر، يعني ذلك مرتبط ارتباطا وثيقا بالفعل في المرحلة الأولى شبيه للماضي، ولما يكون وما سيكون[1].

وبعبارة أخرى "**الزمن**" مقولة لغوية تسهم في بناء البنيات اللغوية... مثل: "**الظروف**" على اختلاف أنواعها، إلا أن الزمن المرتبط بالأفعال ليس من طبيعة الزمن المرتبط **بالظروف**، فهو في الأولى مقولة لبناء الجملة (أي مقولة تركيبية)، وفي الثاني مقولة **معجمية** أي أن يكون الزمن جزءا من دلالة الظروف المعجمية[2].

ومما ينبغي الإشارة إليه هو أن العناصر الإشارية قد تكون دالة على الزمن الكوني الذي يفترض سلفا تقسيمه إلى **فصول وسنوات وأشهر وأيام وساعات**، وقد تكون دالة على الزمن النحوي الذي ينقسم بدوره إلى ماض وحاضر ومستقبل، إذ «يمكن أن يتطابق **الزمن الكوني والزمن النحوي** وقد يختلف **الزمن النحوي عن الزمن الكوني**، فتستخدم صيغة الحال (الحاضر) للدلالة على **الماضي**، وصيغة الماضي للدلالة على **الاستقبال**، فيحدث ذلك لبسا للقارئ لا يحله إلا معرفة **السياق الكلامي ومرجع الإشارة**، وما يمكن الخروج به من خلال النظر إلى واقع **الاستعمال اللغوي** سواء العادي أو الأدبي هو أنه في أكثر الأحيان لا يوجد تطابق بين الزمن النحوي والكوني»[3].

---

(1) بوطارن محمد الهادي وآخرون، المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية، ص 373.

(2) عبد المجيد جحفة، دلالة الزمن في العربية، دراسة النسق الزمني للأفعال، دار توبقال، المغرب، ط1، 2006م، ص 26.

(3) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص 53.

فلحظة التلفظ هي المرجع ولهذا «يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطا قويا في مرحلة أولى ونربط كذلك بين الزمن والفاعل لأهميته الكبرى في مرحلة ثانية»[1]، ومن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية والزمانية، وتأويل الخطاب تأويلا صحيحا، يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ، فيتخذها مرجعا يحيل عليه، ويؤول مكونات التلفظ اللغوية بناء على معرفتها، بمعنى أن كل لفظة إشارية زمانية تتحدد من خلال السياق المتموضعة ضمنه وقصد المتكلم من خلال التلفظ[2]. أي تعد الإشاريات الزمانية من أبرز العناصر اللغوية التي تساهم في معرفة قصد المتكلم وفهم الخطاب.

فالإشاريات الزمانية هي ألفاظ دالة على الزمان، يمكن تحديد مرجعيتها بالاستعانة بالقرينة **السياقية للملفوظات**.

وتقترح أوريكيوني التصنيف للمبهمات لأزمنتها كالتالي:

1-المبهمات التزامنية: تقترن بالحاضر.

2-المبهمات القبلية: تقترن بالماضي.

3-المبهمات البعدية: تقترن بالزمن الذي ينقض.

4-المبهمات الحيادية: زمنها غير محدد[3].

حيث يتجلى الزمن في اللغة بواسطة **القرائن** التي تتحد بجوار الأفعال والظروف، وهذا الاستعمال للإشاريات الزمانية خاضع لما يقصده المخاطب.

<u>-أهمية الإشاريات الزمانية في فهم الخطاب:</u>

إن لمؤشر الزمن دورا حاسما في كشف معاني الخطاب، إذ أن الجهل به يؤدي إلى التباس المعنى على القارئ، فالزمن يحدده السياق الذي تستخدم فيه إشاريات **الزمان**، فالزمن في تصور "**أندري لالاند**" "**A.Laland**" هو ضرب من الخيط المتحرك الذي يحرك الأحداث

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 70.

(2) المرجع نفسه ، ص 83.

(3) ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، ص 107.

على مرأى من ملاحظ، هو أبدا في مواجهة الحاضر، وهو مظهر وهمي يزمن الأحياء والأشياء، فتتأثر بمضيه الوهمي غير المحسوس[1]، فالزمن صار ظاهرة تحمل دلالات متنوعة رمزية أو كونية أو فلسفية، ولم يعد ذلك الزمن التقليدي المرتبط بالماضي والحاضر والمستقبل، بل اتسع لمجالات نفسية وذهنية، على مستوى الذات، وليشمل الذاكرة التاريخية وامتدادات المستقبل للجماعات والأمم[2]. وهذا ما دلت عليه أبيات **البردوني**، في قوله في قصيدة "**زحف العروبة**" من ديوان "**مدينة الغد**":

يا ابن العروبة شد في كفي يدا　　ننفض غبار الذل والإتعاب
فهنا هنا اليمن الخصيب مقابر　　ودم مباح واحتشاد وذباب
ذكره بالماضي عسى يبني على　　أضوائه مجدا أعز جناب
ذكره بالتاريخ، واذكر أنه　　شعب الحضارة شرق الأحساب
ضع الحضارة والعوالم نوم　　والدهر طفل في مهود تراب
ومشى على قمم الدهور إلى العلا　　وبنى الصروح على ربا الأحقاب[3]
الأحقـــــــــــــاب[3]

إن المقصد من هذه الأبيات أن الشاعر طلب من أخيه العربي الوقوف معه في محنته التي يمر بها من ظلم وقتل وتدمير، وتشجيعه على استعادة ذلك الماضي المجيد بتذكر إنجازاته الحضارية.

وقد استعمل الشاعر صيغا إشارية زمانية، تدل على الزمن الماضي من بينها: فعل الأمر "**ذكَّره**" الذي تكرر مرتين "**ذكره بالماضي**" و"**ذكره بالتاريخ**"، فالكلمتان "**الماضي**"

---

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد 240 ديسمبر، 1998م، ص 172.

[2] فوغال باديس، الزمن ودلالته في قصة من البطل، مجلة العلوم الإنسانية، دورية علمية محكمة، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، جوان، 2002م، ع2، ص 52.

[3] عبد الله البردوني، ديوان مدينة الغد، ص 120.

و"**التاريخ**" إشارة إلى الأمجاد التي أصبحت في عداد الماضي المندثر وفي سجلات التاريخ القديم.

بالإضافة إلى **الأفعال الماضية: ضع، مشى، بنى،** كلها أفعال تشير إلى عظيم الفعل الماضي اليمني الذي كان السباق إلى صنع الحضارة والارتقاء بها نحو العلا وبناء القلاع العظيمة، وتشييدها على أعالي التلال، لتظل رمزا على شموخها وشموخ ماضيها العريق.... كل ذلك والأمم الأخرى تغط في نوم عميق، وتتخبط في غياهب الظلام، شأنها في ذلك شأن الطفل الجاهل مما يدور حوله من أحداث. لذلك ما يكون من ماضي الحضارة إلا أن يشرع في إيقاظها من نومها، وإضاءة الطريق لها وهدايتها إلى سبل الرقي والتقدم.

ومع الثورة بدأ الأمل بغد مشرق جديد ليبدد ظلمة الاستعباد، ويعد بحياة أفضل "لليمن" وأبنائه، ويبشر بمستقبل واعد يحتذي بماضي الأجداد وأمجاده. يقول البردوني:

أسفر الفجر فانهضي يا صديقة	**نقتطف سحره ونحتضن بريقه**
كم حننا إليه وهو شجون	**في حنايا الظلام جرى غريقه**
وتباشير خيالات كأس	**في شفاه الرؤى، ونجوى عميقه**
هكذا كان ليلنا فتهادى	**فجرنا الطلق فالحياة طليقه**
نحن من نحن؟ نحن تاريخ فكر	**وبلاد من المكرمات عريقه**
سبقت وهمها إلى كل مجد	**وانتهت منه قبل بدء الخليقة**
فابتسمي: عاد فجرنا وهو يتلو	**للعصافير من دمانا وثيقه**[(1)]

تعد الإشاريات الزمانية من أبرز العناصر اللغوية التي تساهم في معرفة قصد المتكلم وفهم الخطاب، وهي كما أشير إليها سابقا لكلمات يحددها السياق بالقياس إلى زمان التكلم.

---

(1) عبد الله البردوني، ديوان في طريق الفجر، بيروت، ط4، 1982م، ص 299.

وكما يبدو ومن عنوان القصيدة ومن عنوان الديوان "**في طريق الفجر**" فإن "**الفجر**" هو الغالب على القصيدة "بشروقه" و"سحره"، ومع أن الفجر هو جزء صغير من اليوم، إلا أنه إشارة إلى زمن أطول من ذلك بكثير ويرمز إلى عدة مقاصد أهمها:

-الحلم والرؤى التي طالما تطلع إليها الشعب، وعانى من أجل تحقيقها على أرض الواقع، والعيش معها بكل سعادة وعدل ونعم.

-الحرية من أغلال السجن وذل الاستعباد.

-ثم المستقبل بطول ساعاته وأيامه وسنواته، وما كان اختيار "**الفجر**" هنا إلا رمزا لذلك المستقبل الموعود والغد المشرق، فالفجر هو بداية يوم جديد يبدد ظلام الدجى الحالك، وما فيه من خوف وهموم وأحزان و.....

فكل ذلك سيتلاشى مع بزوغ أول خيوط الفجر الباعثة للفرح والطمأنينة والسلام والسعادة و......

فنحن -كما قال البردوني- **الماضي** العريق، ونحن **الحاضر** الممتد ونحن **المستقبل** الواعد بكل التطلعات والآمال.

ومع بزوغ الفجر، وتحقق حلم "الثورة" والحصول على "الحرية" كان حلم آخر بمستقبل أفضل يتطلع إلى بناء "**مدينة الغد**"(*) التي تذكر بمدينة الفرابي الفاضلة التي يسودها الحب والتسامح والعدل:

مـن دهـور وأنـت سـحر العبـارة ... وانتظـار المنـى وحلـم الإشـاره
كنـت بنـت الغيـوب دهـرا فنمـت ... عـن تجليـك حشـرجات الحضـاره
ثـم عـن فجـرك الحنـون ضـجيج ... ذاهـل يلتظـي ويمتـص نـاره
كل شيء وشى بميلادك الموعود ... واشتـم دفـأه واخضـراره
ذات يـوم ستشرقيـن بـلا وعـد ... تعيديـن للهشيـم النضـاره
تملئيـن الوجـود عـدلا رحبـا ... بعـد جـور مدجـج بالحقـاره[1]

(*) عنوان القصيدة من ديوان مدينة الغد.

(1) عبد الله البردوني، ديوان مدينة الغد، ص 112.

فكل شيء بات يبشر بهذه المدينة التي انتظرت "دهورا" طويلة مريرة، ف "**بنت الغيوب**" و"**انتظار المنى**" و"**حلم الإشارة**" تشير المقصد من توظيفها ميلاد هاته المدينة الموعودة.

الزمن الدرامي:

تحدث **البردوني** عن زمن مغاير لما هو مألوف يمكن أن يطلق عليه "**الزمن الدرامي**"[(1)]، ويعرف بأنه «زمن الشاعر الذي يصنعه في رؤياه الشعرية وهي نظرته إلى الزمن باعتباره بعدا دراميا ينبغي الإفادة من إمكانيات الصراع المتداخلة فيه»[(2)]، فالشاعر يقرر الخروج من سطوة الزمن المعتاد، وإفراغه من محتوياته المتعارف عليها، لذلك يخلع عليه الشاعر صراعا **دراميا حركيا** يقوم بينهما، ولا يكتفي بهذا الصراع فقط، بل يتوهم الشاعر أحيانا أنه يقوم بدور البطل المنتصر الذي ينازع الزمن الظاهر ويصرعه.

والأمثلة كثيرة على هذا الزمن الذي ابتدعه الشاعر متحديا به كل قوانين الزمن، معبرا على اختلاجاته النفسية المضطربة التي لا حدود لها.

وقد استعمل "البردوني" في ذلك صيغا إشارية زمانية في دواوينه استعمالا فنيا لافتا للانتباه، فظهرت عدة أنواع[(*)] للزمن الدرامي، كلها مستنبطة من قصائده، وتحمل مقاصد ودلالات متنوعة:

أ-الزمن الكسول:

يحس الشاعر أحيانا بتقاعس الزمن وتكاسله عن الحركة والتفاعل معه إزاء ما يعاني من آلام، فبينما هو يفني عمره في التعبير عن هموم الشعب والاحتراف لأجله، يقبع ذلك

---

(1) فوغال باديس، الزمن ودلالته في قصة من البطل، مجلة العلوم الإنسانية، دورية علمية محكمة، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، جوان، 2002م، ع2، ص 52.

(2) المرجع نفسه ، ص 52.

(*) نلاحظ من خلال هذه الأنواع تدرج من حيث مقاصد الزمن، فهو زمن كسول كسيح، ثم متوقف لدرجة أنه زمان بلا نوعية، وصولا إلى الزمن البديل، فهناك معان ضمنية لكل نوع من أنواع هذا الزمن.

الزمن الكسول كأهله، متمثلا في **ساعة الجدار الكسول**، التي لا تعيره اهتماما[1]، وإن فعلت فعلت فستتحرك إلى الخلف ببطء شديد !! لذلك جاء استنكار الشاعر قائلا:

من تغني هنا؟ وتبكي على ما؟ ... كل شيء لا يستحق اهتماما
هذه ساعة الجدار كسول ... ترجع القهقري وتنوي الأماما
والثواني تهمي صديدا وشوكا ... وستهمي وليس تدري إلى ما !
الساعة المكسال مثل الشعـ ... ـب تجهل ما تعاني[2]

توالت المقاصد في هذه الأبيات وأسئلة حيرت الشاعر، فلم إرهاق النفس وأرجحتها بين فرح وحزن وغناء وبكاء؟ ! لم اقلاقها بالهموم وكل شيء لا يستحق اهتماما؟ ! فمن تغني هنا؟ وتبكي على ما؟ ! إنهم خامدون، حالهم كحال تلك الساعة الكسول راضون بالذل والاستبعاد.

إنها لساعة غريبة، تجهل وقتها، وتتخبط في جميع الاتجاهات، فهي لا تميز الأمام من الخلف، ولا الأعلى من الأسفل، لذلك ترى أنها تتقدم إلى الخلف دون الأمام !!

إذن فالزمن **الكسول** هنا **إحالة** عن معاناة الشاعر المخذول من زمانه الكسول، الذي يمثل جميع مظاهر الحياة السوداء المتقاعسة عن التقدم نحو الزمن الأفضل النابض بالحياة، وقد عبر عن هذا القصد باستعمال الصيغة الإشارية الزمانية **ثوان**.

ب-الزمن الكسيح:

يأتي هذا الزمن امتداد للزمن الكسول، فكما تكاسل الزمن الأول عن الثورة، مرض هذا الزمن وأصابه "**الكساح**"، فلم يستطع الحراك نحو الزمن المشرق[3]. يقول البردوني:

خمس من السنوات لا ... ليل لهن ولا صباح
يبست على المهد عيون ... وأقعد الزمن الكساح[4]

---

[1] ينظر: محمد رحومة، الدائرة والخروج، ص 167.

[2] عبد الله البردوني، قصيدة "حكاية سنين" من ديوان مدينة الغد، ص 158.

[3] محمد رحومة، الدائرة والخروج، ص 168.

[4] عبد الله البردوني، قصيدة "حكاية سنين" من ديوان مدينة الغد، ص 155- 156.

ها قد طال انتظار بزوغ فجر التحرر من الطغيان والثورة عليه، وانقضت خمس من السنوات "لا ليل لهن ولا صباح"، من طول الركود على الذل والخضوع، ولكن كيف الخلاص؟ وقد أقعد الزمن الكساح وانطفأ أمل النجاة؟ !

ج-الزمن المتوقف:

جاء في قصيدة "**شتائية**" من ديوان "**ترجمة رملية لأعراس الغبار**" حديث عن زمن متجمد، متوقف، فاقد القدرة على الحركة والانتقال من وقت لآخر نتيجة ما أصابه من برد قارس شل أطرافه وسلب قواه.

بالإضافة إلى استعمال **الظروف المكانية** والقصد تلازم الزمن والمكان، حيث ترتبط **المعينات** الإشارية بالدور الذي يقوم به عاملوا القول في عملية التلفظ، والوضع المكاني والزماني للمتكلم والمخاطب على حد سواء[1]. يقول البردوني:

البـــــرد أبـــــرد مـــــا يكـــــون   والليـــــل أسهـــــد مـــــا يكـــــون

مـــــاذا هنـــــا غيـــــر الدجـــــى الـــــ   مشبـــــوه وحشـــــي السكـــــون

البـــــرد يسترخـــــي كـأفـــــ   ـــــيلة حطيمـــــات المتـــــون

ينســـــل، سيشتـــــري، لـــــه   فـــــي كـــــل زاويـــــة شـــــؤون

ومفـــــاصل الأكـــــواخ تـــــر   ســـــف تحـــــت أحذيـــــة الغبـــــون

وهنـــــاك ترتجـــــف الكـــــوى   وهنـــــا يجـــــول المخبـــــرون[2]

يشير هذا الخطاب الشعري إلى ليلة شتائية شديدة البرودة، تتوقف فيها حركة الزمان، وتخف تحركات الأشياء إلى أدنى حد ممكن لها، وقد جاء التعبير عن هذه المقاصد باستعمال:

---

(1) نقلا عن http://www.diwanalarab.com

(2) عبد الله البردوني، مدينة الغد، ص 12- 15.

الأفعال المضارعة: التي وصفت حركة الجو البارد وهي: **يسترخي، وينسل، سيشتري**، وكلها تشير إلى حركة تسلل الهواء تدريجيا إلى كل النواحي، ودخوله زوايا "الأكواخ" التي يصبح حالها جميعا كحال الإنسان من ارتجاف المفاصل وتجمد الحركة.

ومع ذلك البرد الذي قلص الحركة **المكانية** إلى أدنى حدودها يتجمد **الزمان**، وتتوقف حركة الكواكب السيارة، وتطول **الدقائق**، حتى لكأنها ملايين القرون، وتبدو اللحظات سجون:

وكـــأن كـــل دقيقـــة تبـــ	**دو ملاييـــــــن السنيـــــــن**
كـــل الكواكـــب لا تـــدور	**وكـــــل ثـــانية حـــــرون**
وكـــأن فـــوق منـــاكب الـــ	**لحظـــات جـــدران السجـــون**[1]

إن الزمن هنا يمثل القطيعة والغربة، فالكون يتوقف عندما لا نستشعر حركته، وزمن البردوني ثقيل الظل هنا، لأنه فقد كل مبررات الوجود وأسبابه، وقد استدل على ذلك باستخدام الصيغ الإشارية الزمانية دقيقة، ثانية، ولحظات، إن محاولة تتبع الزمن في كل وحداته وتحطيمها من شأنها أن تخلق كثيرا من الفزع والقلق والحيرة في النفس. فهي «حركة تدمير في وجه الزمن الأصم، وبحث عن الزمن الحقيقي المتغير الذي يقول لا للزمن الصامت»[2].

د-زمان بلا نوعية: [*]

تبلغ ثورة الشاعر ذروتها في هذا الشكل من الزمن، فتصل إلى حد نفي صفة **النوعية** عنه، أو تحديد الهوية له، فهو ليس بالكسول ولا الكسيح، ولا المتجمد، لذلك فقد عجز الوصف عن تحديد هوية زمن لا نسب له ولا أب ولا ابن ولا حفيد، ولم تعد المفارقة التي قد تبعث شيئا من الدهشة والاستغراب تؤثر -هي الأخرى- في هذا الزمن العجيب، الذي

(1) عبد الله البردوني، مدينة الغد، ص 13.

(2) محمد رحومة، الدائرة والخروج، ص 110.

(*) عنوان الديوان من دواوين البردوني.

تساوت فيه الأضداد من حياة وموت، وصحة ومرض، وذهاب وإياب... وما عاد يحد هذا الزمن حد ولا يردعه رادع، إذ ما هو إلا إشارة صارخة على فعل أصحابه الذين يعيثون في الأرض فسادا. يقول الشاعر في هذا الزمن:

زمـــان بـــلا نوعيـــة ســـاق ويلـــه   **متاخيم يقتاتون أفئدة الجوعى**[1]
الجـــــــــــــــــــوعى[1]

ويقول في موضع ثان:

أريـــد مـــاذا يـــا زمانـــا بـــلا   **نوعيـــة لـــم يـــدر مـــاذا يريـــد**
بـــلا أب يبـــدو، بـــلا ابـــن، وفـــي   **عينيـــه يـــدمى باحثـــا عـــن حفيـــد**
يمضـــي ولا يمضـــي، ويـــأتي ولا   **يأتـــي، يولـــي ثـــم يبـــدو وليـــد**
تقـــول يعطـــي كـــل شـــيء؟ نعـــم   **لكـــم أعنـــد الزيـــف شـــيء مفيـــد**[2]

ويقول في موضع آخر:

يـــا زمانـــا مـــن غيـــر نـــوع تســـاوت   **مهنـــة المـــوت واحتـــراف الطبابـــه**
ينمحي الفرق بين عكس وعكس   **حين ينسى وجه الصواب الإصابه**[3]
الإصـــــــــــــــــــابه[3]

إذن فـ "زمان بلا نوعية" يشير إلى زيف الواقع وظلم أصحابه.

هـ-الزمن البديل:

بعد تلك الأزمنة الغريبة التي صادفها الشاعر في حياته، وتصارع معها، وحاول الانتصار عليها بكل السبل المتاحة، يظل الشاعر دائم التطلع إلى ذلك **الزمن** المحفوظ في

---

(1) عبد الله البردوني، عنوان القصيدة، صنعاء في فندق أموي، من ديوان زمان بلا نوعية، دار العودة، بيروت، ط2، 1980م، ص 15.

(2) عبد الله البردوني، قصيدة: زمان بلا نوعية من ديوان زمان بلا نوعية، ص 75.

(3) عبد الله البردوني، قصيدة آخر الموت، زمان بلا نوعية، ص 82.

علم الغيب، ذلك "**الزمن الموعود**" الذي يعطي الحرية لتحقيق العدالة والسلام والمحبة والوئام...

إلــى ســوى هــذا الزمــان أهفــو ... إليـــه أضفـــي سرعتـــي ومهلـــي
هـــل أمتطـــي نفاثـــه إليـــه ... وتحـــت جلـــدي ناقتـــي ورحلـــي
هـل أمتطـي بغـلا كنصـف حـل؟ ... فقـد يمتطـي وجهـي قـذال بغلـي !

أي الخطـى أهـدى إليـه؟ أضـحت ... غايـــات عرفـــاني كبـــدء جهلـــي[1]

إن كل ذلك يشير إلى مقصد واحد هو البحث الدؤوب عن الأمل المنشود المتمثل في **الزمن الآخر** الذي سيحقق ما عجزت عنه الأزمان، ولكن الطريق دائما ملئ بالسواد والشوك والاحباط، والعدوانية من تلك الأزمنة، وأصحابها الذين يحاولون إماتة الحلم في مصده، وقبل إمكانية نموه وتحققه. لذلك كان التحدي الأكبر كامنا في السير الحثيث نحو ذلك الزمن الآخر، الذي سيتحقق يوما ما، والدفاع عنه بكل قوة واستماتة، والعمل على المزاوجة الصحيحة بين ذلك **الماضي العريق** و**الحاضر المتغير** و**المستقبل المنشود**، دون فقد "**الهوية التراثية**" ودون الانجراف في تيار المدنية المختلطة العراق والأجناس، ودون تقاعس عن طلب الأفضل، مهما كان الطريق صعبا ومحفوظا بالمخاطر.

فالزمن البديل يشير إلى تحقيق حلم الحرية والعدل والسلام.

<u>الإشاريات المكانية: Spatial deictics</u>

يعد **المكان** من أهم العناصر المشكلة لبنية الخطاب شعرا كان أم نثرا، وهو دائم الحضور مع الزمن إذ أنهما متلازمان ويصعب الفصل بينهما، يعبر "محمد مفتاح" عند ذلك في كتابه "**دينامية النص**" فيقول: «إن الزمان بأنواعه المختلفة إطاره هو المكان الذي ينجز

---

[1] عبد الله البردوني، ديوان زمان بلا نوعية، ص 176.

فيه، وذلك فإنه لا مناص عنه»[1]، حتى إن الكثير من الدارسين لا يفصلون بين عنصري الزمان والمكان، فينحتون من هذين العنصرين مصطلحا واحدا هو "**الزمكانية**"، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الترابط الشديد الموجود بين هذين المكونين، كما يدل أيضا على أن وجود المكان ضروري، حتى نشعر بتتابع الأحداث مع الزمن.

-تعريف المكان: (Le lieu)

لغة: ورد في لسان العرب مكان في الأصل تقدير الفعل مفعل لأنه موضوع لكينونة الشيء فيه، والمكان الموضع، والجمع أمكنة وأماكن[2].

وفي الاصطلاح:

المكان هو الأكثر التصاقا بحياة البشر إدراك الإنسان للمكان يختلف من حيث إدراكه للزمن، ففي الوقت الذي يدرك فيه الزمن من خلال تأثيره في الأشياء إدراكا غير مباشر يدرك المكان بطريقة مباشرة إدراكا ماديا حسيا.... [3]

والإشاريات المكانية: هي عناصر إشارية تدل على أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم أو على مكان آخر، معروف للسامع أو المخاطب، ويكون لتحديد المكان أثر في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو جهة، ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل: "هذا، ذاك، هنا" ونحوها إلا إذا وقفوا على ما يشير إليه بالقياس إلى مركز مكان الإشارة.

---

(1) محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م، ص 96.

(2) ابن منظور، لسان العرب، المجلد 3، مادة (مكن)، ص 83.

(3) حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط3، 2000م، ص 61.

وأكثر الإشاريات المكانية وضوحا هي أسماء الإشارة نحو "ذا وذاك" للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة والمكانية وهو المتكلم، وكذلك "هنا وهناك" وهما من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم وسائر ظروف المكان مثل: فوق، تحت، أمام، خلف... إلخ، كلها عناصر إشارية لا يتحدد معناها إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه[1]. ولا يمكن للمتكلم أن يتخلى عن المكان عند تلفظه بالخطاب وهذا ما يعطي الإشاريات المكانية مشروعية المساهمة في الخطاب، فنجد أنها تختص بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقا من الحقيقة القائلة: بأن هناك طريقتين رئيسيتين للإشارة إلى الأشياء هما: إما بالتسمية أو الوصف من جهة أولى أو بتحديد أماكنها من جهة أخرى[2].

الإشاريات المكانية الظرفية:

ظرف المكان هو اسم يذكر لبيان وقوع الفعل[3]، حيث تعد ظروف المكان محدودة والمحدود من الظروف ما دل على مكان له صورة وحدود محصورة، هذا ما ذكره "**ابن الدهان**" والمكان المبهم، ويعني بالمبهم ما لم يكن له حد يحصره ولا نهايات تحيط به[4]. إن الشيء الذي يحدد المكان (القرب، البعد، ....) موضعية المتكلم في لحظة الحديث، وكذا إشارته يقول **مانغونو Mangenean** «تتحدد المبهمات المكانية بوضعية المتكلم، وضعيته الجسدية، إضافة إلى إشارته **Gestes**»[5].

(1) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، المعاصر، ص 54.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 84.

(3) يوسف الحمادي وآخرون، القواعد الأساسية في النحو والصرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة، مصر، د ط، 1994م، ص 218.

(4) أبي محمد سعيد المبارك بن الدهان النحوي، كتاب شرح الدروس في النحو، تح إبراهيم محمد، القاهرة، مصر، ط1، 1991م، ص 242.

(5) ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ، ص 113.

فمن منظور علم التراكيب تتوزع المبهمات المكانية إلى قسمين: أسماء الإشارة كمبهمات حقيقية مصاحبة لإشاريات المتحدث (هذا، هذه، ....) بينما تتوزع المبهمات الظرفية إلى أنظمة صغيرة متقابلة من قبل هنا/هناك، يسار/يمين، خلف.... [1]، تضمن هذه هذه الأنظمة قيمتها انطلاقا من إشارة وضعية المتكلم، وكل تعديل الوضعية يعني تعديلا في المكان، فكلها عناصر يشار بها إلى مكان لا يتحدد إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه[2].

وتجدر الإشارة إلى أن **المكان** يتحول من دلالته **الجغرافية** إلى دلالة **شخصية** لا يمكن فهمها، والوعي بأهميتها إلا بالعودة إلى **السياق** الذي وردت فيه، والمتمثل في حياة الشاعر وما اعتراها من ظروف، فرضت أهميتها في استعمال **الدلالة السياقية للمكان**، لتوضيح مقصوده من إيراده.

وهذا ما سنجده من خلال الأمكنة **الخاصة بالبردوني**، كما نجده قد تحدث عن **أماكن عامة** مختلفة في بلاده، وسيتم حصر الأمكنة والتعرف على وظائفها ضمن الحركية الدلالية العامة للخطاب.

1-المكان الخاص:

أ-الغرفة والسقف والجدران:

بما أن منزل الشاعر الضرير خواء تصفر فيه الرياح وتعوي في جنباته الأشباح فما من عجب إذن -وقد اجتمعت عليه الظلمات (العمى والوحدة والفقر)- إذ سمع وهو يخاطب الغرف ويناجي الأسقف ويحاكي الجدران !!:

من أين يا باب يأتي الرعب؟ تلمحه ... مـن أي زاويـة، يعشوشـب الوجـع؟

يمشي على فمه هذا السكون، على ... أطـراف أرجلـه، يهـوي ويرتفـع

تصغي إلى بعضها الجدران واجفة ... تئـن، تحمـر كالقتلـى، وتمتنـع

(1) المرجع نفسه، ص 114.

(2) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص 21.

في هذه الغرفة الصرعى أسى قلق يطـول كالعوسـج النـامي ويتسـع[1]

ويواصل الشاعر المزاوجة بين أحزانه وأحزان غرفته التي تحتضنه وتردد صدى أوجاعه بين جنباتها، حتى يصل به الحال إلى أن يتخذ أحد الجدران صديقا عزيزا يسامره ويحاكيه ويبثه همومه:

هـذا الجـدار يقـول لـي..... ويعـي همســي، ويصغــي للريــاح معــي

يرنــو إلـــي، كصــمت مملكـــة.... للطيـف تهمـس: مــات مجتمعـي

ويشــــم مأســــــاة تقطعنــــــي وأشــم فـــي مأساتـــه قطعـــي

يحكـــي بـــلا صـــوت وأسمعـــه أهــذي وأصــمت وهـو مستمعــي

يبكـــي كمـــا يبكـــي، يساهرنـــي أغفـو، رؤى عينيـه مضـطجعي[2]

مضـــــــــــــــطجعي[2]

ب-الفندق:

قد يغادر "البردوني" بيته لسبب ما، ليجد نفسه في ضيافة مكان جديد كالفندق مثلا الذي يقضي فيه بعض أيامه ولياليه.... ولكنه لا ينسى أيضا أن يغفل تفاصيل المكان ومحتوياته، وينفرد فقط بخيالاته وأحزانه التي يصطحبها معه في حله وترحاله، إذ يتوهم أن "صنعاء الجميلة" قد أتته في غرفته فسامرته، وتناولت معه الإفطار، وقرأت الجريدة المحزنة التي تروي أخبار المآسي والحروب. يقول:

توهمت أني غبت عن هذه الروعى فمن أين جاءت سحر الغرفة الصرعى

تهامسني في كل شيء تقول لي: إلـى أيـن عنـي راحـل؟ خفـف المسـعى

* * *

أمـا هـذه (صـنعا)؟ نعـم إنهـا هـي بطلعتهـا الجذلــى، بقامتهـا الفرعــى

---

[1] عبد الله البردوني، قصيدة في الغرفة الصرعى من ديوان وجوه دخانية في مرايا الليل، ص 533.

[2] عبد الله البردوني، بين الجدار.... والجدار، ديوان زمان بلا نوعية، ص 95.

بخضرتهــا الكحلــى، بنكهــة بوحهــا   بريحهـــا روابيهـــا، بعطريـــة المرعـــى

*   *   *

طلبـتُ طعـام اثنيــن، قالــوا بأننـــي   وحيد... فقلت اثنين: إن معي (صنعا)

أكلـــت وإيـــاها رغيفـــا ونشـــرة   هنـــا أكلتـــا هـــذه النشـــرة الأفعـــى[1]

لقد أجاد البردوني توظيف الإشاريات **المكانية** في خطابه الشعري توظيفا بارعا، الأمر الذي جعل الإشاريات المكانية مهيمنة في هذا **المنجز الأدبي**، وهي –الإشاريات المكانية– تدل على قرب المتكلم أو بعده مكانيا أو نفسيا، فقد يميل المتكلم إلى معاملة الأشياء البعيدة ماديا على أنها بعيدة نفسيا، وعلى العكس، فقد «يميل المتكلم إلى معاملة الأشياء البعيدة ماديا على أنها قريبة نفسيا، فبدلا من أن يشير إلى مكان بعيد بـ **(ذلك أو تلك)** يقول **(هذا أو هذه)** دلالة على القرب النفسي منه» [2]، ويتمثل ذلك في قول الشاعر: "**هذه صنعا**"، فقد جسدها في صورة شخص عزيز عليه.

هذا يعني إن كان **المشار إليه** بعيدا عنه مسافة، فهو قريب منه **إحساسا وعاطفة**، وهذا القرب العاطفي يسمى **بالمسافة العاطفية** أو **الإشارة الوجدانية** [3]، وتمثل ذلك في قول قول **البردوني** "**طلبت طعام اثنين**"، هنا طعام الإفطار الذي طلبه الشاعر لاثنين بدل واحد لوجود "**صنعاء**" معه بل أكثر من ذلك عندما قال: "**أكلتُ وإياها رغيفا ونشرة**".

وها هو يشير إلى مكان آخر في فندق آخر،ينقل شعور الوحدة والكآبة على كل ما يحيط به، بما في ذلك هذا الفندق الذي حوله من مكان للراحة والاستجمام إلى قبر مظلم يقول:

وحيـدا تقاسـي انتظـار الصبـاح   وتتعـب لا شــيء حدسـا ولمـس

(1) عبد الله البردوني، صنعاء في فندق أمري، ديوان زمان بلا نوعية، ص 13.

(2) كاظم جاسم منصور العزاوي، التعبير الإشاري في الخصيبي، مرجع سابق، ص 82.

(3) سامية شودار، الخطاب الشعري في أطلس المعجزات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب واللغات، 2014م، ص 10.

ويأتي الصباح الذي مر أمس ويدنو المساء الذي عاد أمس

صباح العشيات يا شبه قصر مساء الصبيحات يا شبه أمس

لياليك عرج الثواني، ضحاك ينوء بصخر يسميه شمس[1]

نلاحظ في هذا المقطع الشعري التداخل بين الإشاريات الزمكانية ، فالشاعر قد ذكر من عنوان قصيدته مكان وجوده هو "**الفندق**" معنونا إياها "أمسيات في فندق"، ويبدو في هذه الأبيات أن أمسيات الشاعر كانت موحشة كئيبة حتى كأنه يسكن "رمسا" لا "فندقا" نظرا لما يعانيه من مشاعر الإحباط و الحزن.

ج-السجن:

مكان آخر يجد الشاعر نفسه قابعا فيه وحيدا كئيبا، ففضل السجن الجسدي المؤلم على السجن الروحي الأشد إيلاما... إذ سجن مرارا وتنقل بين مكاتب التحقيق، فها هو مثلا يصف زنزانته التي سجن فيها، ويورد حوارا مع سجانه:

قل لي، أتذكرها هنا زنزانة؟ كانت على وجعي تقوم وتتكي

إن نمت أدمى سقف رأسي سقفها وإذا بركتُ بها أقضت مدركي

أيام كنت تشدني وتسوطني وإليك منك، إلى جانبك أشتكي

وأحاور الإنسان فيك وما هنا أحد سوى مستهلكي أو مهلكي[2]

مهلكـــــــــــــــــــــــي[2]

بالإضافة إلى استخدام الصيغ الإشارية المكانية، استخدم البردوني ظروف المكان للقريب "هنا"، الذي يعد من الآليات اللغوية التي اعتمد عليها الشاعر في تحديد المرجعيات المكانية للملفوظ.

(1) عبد الله البردوني، أمسيات في فندق، ديوان كائنات الشوق الآخر، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1987م، ص 148-149.

(2) عبد الله البردوني، المقبوض عليه ثانيا، من ديوان كائنات الشوق الآخر، ص 151- 152.

حيث يتجه الشاعر السجين إلى جدران زنزانته طالبا منها التحدث معه عن أي شيء كان: جدا أو هزلا، حقيقة أو خيالا، .... ليخرج من حزنه:

هيـــا يـــا جـــدران الغرفـــة　　　قولـــي شيئـــا: خبـــرا طرفـــة

تأريخـــا منسيـــا، حلمـــا　　　ميعـــادا، ذكـــرى عـــن صـــدفة

أشعـــارا، سجعـــا، فلسفـــة　　　بغبـــار الدهشـــة ملتفـــة[(1)]

فالشاعر يعلم يقينا من هو المخاطب؟؟ ويطلب إصرارا التحاور معه وإخراجه من ظلمات السجن والعزلة و.... إنه يريد أن يحس أنه مازال على قيد الحياة وأنه قادر على المقاومة والتصدي داخل السجن وخارجه.

2-المكان العام:

تحدث "البردوني" كثيرا عن أماكن مختلفة في بلاده شملت المدن والقرى والأحياء الشعبية والأماكن العامة كالأسواق والحمامات والشوارع.... حتى ليعد شعره مؤلفا يحوي معالم اليمن الجغرافية المتعددة. وقد يرجع هذا الكم الهائل من أسماء الأمكنة المتناثرة هنا وهناك إلى سعة اطلاعه ومحاولة إلمامه بتاريخ بلده، وجغرافيته، وحدوده السياسية والإقليمية وإلى امتداد عمره الذي قضاه في أرجاء وطنه، وما كان له من أثر في تعدد خيراته، واتساع معارفه، إضافة إلى شعوره بانتمائه إلى وطنه واعتزازه به:

لـــي موطـــن، لا ذرة فيـــه　　　علـــى الأخـــرى تهـــون

الأرض نفـــــس الأرض　　　لكـــن الجحيـــم الآخـــرون

مـــن أي نبـــع أنـــت؟　　　مـــن يـــاء، ومـــن ميـــم، ونـــون[(2)]

(1) عبد الله البردوني، حوارية الجدران والسجين، من ديوان ترجمة رملية الأعراس الغبار، مطبعة الكتاب العربي، دمشق، 1983م، ص 90.

(2) عبد الله البردوني، شتائية، ترجمة رملية الأعراس الغبار، ص 18.

وكما هو حال الشعراء، فإن "البردوني" يقدم لوطنه أحلى القصائد والألحان مترنما بحبه يقول:

لأنــي رضـيع بيــان وصـرف　　　أجــوع لحــرف، وأفنـــان حــرف

لأنـــي ولــدت بببــاب النجــاة　　　أظـــل أواصـــل صرفـــا بصـــرف

أنـــوء بوجـــه كأخبـــار كـــان　　　بجنبين مـن حـرف جـر وظـرف(1)

وها هو الشاعر يعود بشوق ولهفة ليتفاجأ بالتغيير المخيف الذي حل بموطنه، فأين "صنعاء" التي عرفها؟ أين بيوتها المتواضعة؟ أين أهلها الطيبون؟ أين هو الآن؟ في أي مكان؟ يعود من غربة قاسية إلى غربة أقسى؟ وأين يحط رحاله؟ أين "صنعاء"؟:

هـــذه العمــــارات العوالـــــي　　　ضـــيعن تجوالـــي .... مجالـــي

حولـــــي كأضــــرحة مــــزو　　　رة بألـــــــــوان اللآلـــــــــي

يلمحنـــــي بنواظـــــر الأســـــ　　　ـــمنت مـــن خلـــف التعالـــي

أدنـــــــــو ولا يعرفننـــــــــي　　　أبكـــــي ولا يسألـــــن: مالـــــي

وأقـــول: مـــن أيـــن الطريـــق؟　　　وهـــن أغبـــى مـــن سؤالـــي(2)

إذن فهي إشارة واضحة إلى التطور العمراني والتغير الاجتماعي الذي حل بـ "صنعاء" ولكنه تطور مرفوض من الأهالي الأصليين الذي أحسوا بفقدان الهوية والضياع في هذه المدينة الصماء الخرساء المغلفة ببهرج التزييف.

وكما أسلفنا الذكر، لا يمكن فهم المكان إلا بالعودة إلى السياق الذي وردت فيه، والمتمثل في حياة الشاعر وما اعتراها من ظروف فرضت أهميتها في استعمال الدلالة السياقية للمكان وتوضيح مقصوده.

---

(1) المصدر نفسه ، ص 19.

(2) عبد الله البردوني، صنعاني يبحث عن صنعاء، ديوان لعيني أم بلقيس، دار العودة بيروت، ط2، د.ت، ص 226.

وها هو الشاعر ينتقل بين عدد كبير من الأماكن، المتقاتلة كـ (المعلا) (معاشق) و(الشيخ عثمان) و(جول دمور) و(كرتير) و(دار سعيد) و.... وكلها أسماء أماكن في "عدن" وضواحيها، وقد شخصها أمامه ليستطيع أن يحاورها ويحاول ردها إلى صوابها، فعندما يذهب إلى "كريتر" يفاجأ بقولها إن قومها هم الذين بدؤو الحرب، وأنها لن ترضخ لهم:

جـاؤوا لقتلـي: هـل أعـد...   لهـــم رياحينـــا وفـــلا؟
هــم بعــض أملــي، فليكــن   هيهــات أرضــى الغـدر أهـلا
تأبـــى حمـــام اليـــوم أن   تلقـى صـقور النـار عزلـى[1]

وعندما يأس من "كريتر" توجه إلى "عدن" عله يجد عندها الاستجابة والتنبيه للأعداء الحقيقيين، يجدها أكثر تحض را للحرب، وأنها ستبذل الغالي والنفيس من أجل النصر:

مـن شـب يـا (عـدن) اللظـى؟   قـالوا: أمـوت، فقلـت: كـلا
ولأننـــي بنـــت الصـــراع.....   فلســـت أمـــا للأذلالاـــ
جــادوا بإرعــاد المنــون.....   وجـــدت إرداء وبـــذلا[2]

وينتقل الشاعر من ذكر الأماكن اليمنية، التي وردت بكثرة في أشعاره إلى تَعداد غيرها من الأماكن العربية والعالمية، حيث يذكرها في ثنايا قصائده لمقاصد عدة، قد يكون منها: التأكيد على صحة ما يرمي إليه من أقوال وأحكام، فيأتي بأسماء تلك الأمكنة، ويذكر الأحداث التي تتعلق بها وتدور فيها، وقد يكون غرضه من هذا السرد لعدد كبير من الأمكنة المختلفة الإشارة إلى سعة اطلاعه على حضارات العالم المتنوعة، ومعرفته بأحوالها ومثال ذلك ما ورد في قصيدة "في كف النمو الزمني"، حيث البقاء للأقوى، وما يعقب ذلك من الظلم الذي يقع على عاتق المستضعفين، يقول في ذلك عددا كبيرا من مدن العالم:

هــل هــذا الجــاري مفهــوم؟   يبـــدو مجهـــولا، معلومـــا

---

[1] عبد الله البردوني، نقلة النار والغموض، ديوان كائنات الشوق الآخر، ص 33.

[2] عبد الله البردوني ، كائنات الشوق الآخر ، ص 34.

صنعانيـــــا مـــــن رومـــــا   أمريكـــــا مـــــن مخــــزوم
يبـــدو وملهـــى فـــي دلهـــي   قصـفا ودمـا فـــي السـلوم (*)
مـــن يـــا عافـــي هولنـــدا   كعطـــاس المبغـــى المزكـــوم
فـــــي واشنطـــــن أسطـــــولا   ينـــوي إبـــرام المبـــروم(1)

وعليه، فهذه الأماكن لم يأت بها الشاعر جزافا، بل تحمل مقاصد أهمها: كثرة المدن والدول المذكورة من مختلف أنحاء العالم: صنعاء، وروما، وأمريكا، ودلهي، والسلوم، وهولندا و.... تبين التناقض الحاصل بين أحداث العالم المختلفة. وذلك بلجوء الدول الصغرى إلى الدول العظمى في تسيير أمور حياتها رغم اضطهادها واستنزاف خيراتها.

ومن ضمن الأماكن العالمية التي وردت أكثر من غيرها في أشعار البردوني كانت الولايات المتحدة الأمريكية، حيث انتقد أعمالها التي لا تراعي إلا مصالحها الاستعمارية، في دول العالم، دون النظر إلى الأضرار التي تلحقها بالآخرين في مقابل مصلحتها الذاتية:

إنهـــا تصلـــي هنـــا وهنـــا   تحجـــب الأضـــواء والظلمـــا
كـــم أحـــالت تلـــك عـــامرة   عندمـــا يستوطـــن العدمـــا
ســل (هيروشيمـــا) وصــنوتها   يـــا صديقـــي- مـــن أبادهمـــا؟
نـــــاوشت (كوبـــا) لتأكلهـــا   فاستجـــاشت همهـــا هممـــا
هشـــمت فـــي (ليبيـــا) قمـــزا   يحتـــذي مولـــى الـــذي هشمـــا
ولهـــا فـــي (كوريـــا) خبـــر   قلـت: هـل أرويـك؟ فاحتشـما !
أي قطـر فيـــه مـــا اضـطرمت   أو بعـــدوى نارهـــا اضـــطرما(2)

إن استخدام "البردوني" لهذه الصيغ الإشارية المكانية، والتي دل عليها بوضعها بين قوسين كان القصد منها كثرة الأضرار المادية والمعنوية التي تلحقها "**واشنطن**" بغيرها من

(*) السلوم: حي من غربي بيروت.

(1) عبد الله البردوني، ديوان ترجمة رملية لأعراس الغبار، ص 137.

(2) عبد الله البردوني، جواب العصور، ديوان ترجمة رملية لأعراس الغبار، ص 252.

دول العالم المختلفة في سبيل قوتها وتفوقها المستمر على دول العالم، وتخصيص ذكر بعض تلك المناطق التي عانت كثيرا من العدوان، منها: **هيروشيما، كوبا، الخليج....**

ومثل **واشنطن** تأتي **لوس أنجلوس** التي تماثلها في العنف والطغيان فهي الموت التي يرقى على أنقاض الآخرين ليزاد قوة وحياة !!:

لوس أنجلوس لوس أنجلوس ... مـــــوت يزفـــــه عـــــرس
حـــــــرائق وأعيـــــــن ... يقبـــرن وضعـــا منـــدرس
لا الأبيـــض اســـم بيتهـــا ... قالـــت: بعيـــدا ينفقـــس
لأنـــــه يرعـــــى دمـــــا ... ويبتنـــي دمـــا يبـــس
مـــــاذا أرى نظافـــــة؟ ... هنـــا الـــذي لا ينكـــس[1]

وعليه فإن "لوس أنجلوس" هذه إذا كانت موتا ظاهرا، فإنها ستخفي وراءها سكانا يحيون حياة من نوع آخر لا يعيشها إلا من تربى على ظلم الناس وإزهاق أرواحهم في سبيل الإبقاء على حياته، ولكن هذا النعيم الظاهر الجميل يخفي باطنا مشوها يعيش أصحابه خلف قضبان الخوف جراء الإحساس الدائم بالخوف من المظلومين الذين يترقبون الثأر.

الإشاريات الاجتماعية: social deictics

جاء في معجم **المصطلحات لنعمان بوقرة** أنها الألفاظ التي تشير إلى «علاقات اجتماعية بين المتكلمين، من حيث هي علاقاتُ ألفة ومودة، أو علاقة رسمية». [2]

أ-العلاقة الرسمية Formal:

هي العلاقة التي تضع فروقا للمكانة الاجتماعية (السن، السلطة...) والتي يسميها **جورج يول George yule بالمبجلات** في قوله «تسمى التعابير التي تشير إلى المكانة

(1) نعمان بوقرة، معجم المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص 87.

(2) سامية شودار، الخطاب الشعري في أطلس المعجزات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب واللغات، 2014م، ص

العليا بالمبجلات **Honorifrice**» [1]. فمثلا ضمير "**tu**" للمفرد و"**vous**" «للمفرد المخاطب تبجيلا له، أو مراعاة للمسافة الاجتماعية بينهما أو حفاظا للخطاب في إطار رسمي» [2]، كذلك في اللغة العربية مخاطبة المفرد بصيغة الجمع "أنتم" (حضرتكم، سادتكم...) والمفرد المعظم لنفسه بصيغة الجمع نحن (قررنا، اتخذنا، استعملنا، ....) كما توجد ألفاظ دالة على هذه العلاقة مثل: "عقيلته" في اللغة العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة "زوجته" [3].

بالإضافة إلى هذه الصيغ تشمل العلاقة الرسمية معظم الألقاب التي تضع المشار إليه في مكانة اجتماعية متميزة مثل: **أستاذ الفاضل، حضرتكم، سمو الأمير، جلالة الملك، السيدة....**

ب-علاقة الألفة والمودة: Intinacy.

وهي علاقة عكس الأولى لا تولي أهمية للفوارق الاجتماعية بين المتخاطبين وهذا ما يشير إليه **أحمد نحلة** في قوله: «الاستعمال غير الرسمي فهو منفك من جميع هذه القيود.... فضلا عن التحيات التي تتدرج من الرسمية إلى الحميمية مثل: **صباح الخير، صباح الفل...**» [4].

والملاحظ أن أكثر الإشاريات الاجتماعية استخداما في شعر "البردوني" هو "الحكيم علي بن زايد"[*] الذي ذكره في عدد من أشعاره، وبلغ اهتمامه به حد تسمية آخر دواوينه الشعرية

(1) جورج يول، التداولية Pragmatics، ص 29.

(2) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 23.

(3) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط1، عالم الكتب الحديث، القاهرة، 1998م، ص 71.

(4) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 26.

(*) الحكيم بن زايد: هو حكيم الريف اليمني الأول، وأشهر شعراء العامية بين صفوف الفلاحين، كان متفقها في الدين، وكانت له شهرة واسعة جعلت أحكامه وأقواله تمتلك قداسة الشريعة وقوة القانون، تلقى من إقبال الناس واهتمام الرواة ما

باسمه وهو ديوان "رجعة الحكيم بن زايد" الذي ضمنه أطول قصائد الديوان الحاملة لعنوانه، والتي تخيل فيها "الحكيم" وقد عاد إلى الحياة من جديد، فحاوره، وتنقل معه بين الأمكنة المختلفة واستمع إلى حكمه وأقواله...، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على الاحترام والمحبة بينهما –طرفا العملية التواصلية– فهو بذلك يجسد الاستراتيجية التضامنية للخطاب.

ولعل هذا الشاعر "**علي بن زايد**" قد استحق أن يُدعى بـ "**حكيم الريف اليمني**"، لأنه استطاع أن يختزل حكمة القرون ويقدمها إلى الشعب في كلمات بسيطة وفي إيقاع موسيقي خفيف، وقد شملت حكمته الشعبية الإنسان والأرض والحيوان والنجوم و....

وهنا وقفة سريعة على بعض الأبيات الشعرية التي تضمنت هذا العنصر **الإشاري الاجتماعي**، يقول البردوني:

فيقصون كيف طار (ابن علوان) ... ومـــاذا حكـــى (علـــي بـــن زائـــد)
عـن مـدار النجـوم وهـي وعيـد ... عـن فـم الغيـب أو بريـق المواعـد
عندمـــا تلـــبس الثريـــا عشـــاء ... عقـــدها تحبـــل الســـحاب الخرائـــد
وإذا الغرب واحـد الصيـف بـالأر ... يـــاح باعـت عيالهـا (أم قالـد) [*][1]

تشير هذه الأبيات إلى سمر من أسمار الريف اليمني، الذي يجتمع فيه الأهالي متشاورين في مختلف أمور حياتهم، ومتجاذبين الأحاديث عن بطلهم الأسطوري الاجتماعي (أحمد بن علوان)، وكيف يطير على حصانه شاهرا سيفه، ومخلصا المستنجدين به من يد العدو، ثم معرجين بعد ذلك إلى حكيمهم "علي بن زايد" ناقلين عنه درايته الواسعة بأحوال النجوم وتحركاتها في مداراتها الفلكية، وما ينجم عن ذلك من تنبؤ بسقوط الأمطار أو عدم سقوطها تبعا لحركة الأجرام السماوية.

لم يلقه غيره، وعليه فإن حكم (بن زايد) يمثل سجلا يحوي الموروث الفكري الزراعي والأعرافي الذي يحيا به الشعب اليمني، ويعبر عن تجاربه المختلفة على مدى تعاقب الأجيال.

[*] أم قالد: سنة القحط عند المزارعين.

[1] البردوني، ديوان مدينة الغد، ص 23.

وعليه فإن أبناء الريف اليمني –ومن ضمنهم "**البردوني**"– قد حفظوا جيدا دروس أستاذهم الخبير، فتناقلوها جيلا بعد جيل في اجتماعاتهم، وأصبحت تلك الأحكام لديهم دعوة إلى مراقبة تحركات النجوم وهبوب الرياح بوصفها علامات هامة على المواسم الزراعية وخصبها أو قحطها.

إذن **فعلي بن زايد** يحيل إلى الإنسان الخبير بتحركات النجوم ومواسم الأمطار والزراعة....

إن مسألة تحديد نوع العلاقة **الاجتماعية** بين أطراف الخطاب تعد مسألة نسبية[1]، وتختلف من موقف لآخر، ومن حيث قرب أو بعد الأطراف سواء كان القرب أو البعد ماديا أو اجتماعيا أم نفسيا، وظاهرا أن الإشاريات **الاجتماعية** من المجالات المشتركة بين **التداولية وعلم اللغة الاجتماعية**[2].

وكما ذكر "**البردوني**" "**الحكيم بن زايد**" –كمؤشر اجتماعي– في أشعاره، وخصص له آخر دواوينه ليحمل اسمه، فقد فعل ذلك أيضا مع **أحمد بن علوان**[*]، إذ ذكره في عدد كبير من أشعاره التي ضمنها الحديث عن كراماته وبطولاته الأسطورية التي مازالت محط إعجاب شعبه، وملجأ الخلاص لكثير منهم مما يواجهونه من أمور الحياة المختلفة.

يقول البردوني في أحد أبياته:

أحث (بن علوان) البدار ابن يفرس   وأستنفر الشيخين "عمرا" و"أسعدا"[*]

ويقول في موضع آخر:

---

[1] فرانسواز أرمينغو، المقاربة التداولية، ص 42.

[2] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 26.

[*] نشأ أحمد بن علوان في القرن 7 هـ شمال اليمن، كان متصوفا، ثم انتقل إلى واقع مجتمعه المأساوي، فدافع عنه، ووقف معه ضد ظلم السلطة وعدوانها، وحارب التناقض المعيشي الحاصل بين حرمان الشعب المغلوب على أمره، وترف الحكام وأبناءهم المتسلطين.

[*] عمر وأحمد: من شجعان التاريخ اليمني.

رأت أبـي كـان عصـى لـ "فيضـي" وراعيـــا عنـــد "بنـــي ثوابـــة"

وعنـــد "ثـــاوي بفـــرس" يرجـــي مثل ابن خالي "مهنة الجدابة"[(1)]

يشير الشاعر في الأبيات السابقة إلى كرامات (ابن علوان) التي اشتهر بها، فهو يحيل إلى المخلص من الظلم والضياع الذين يعيشها المرء في مجتمع لا يريد تفهم مشاعر الآخرين، وفي هذا إشارة إلى أن "ابن علوان" ما يزال حاضرا في قلوب كثير من أبناء شعبه الذين ربطوا بينه وبين الخلاص من العدوان في كل زمان ومكان، مهما اختلفت أعمارهم وثقافاتهم، حتى أصبح رمز اللعون والخلاص من الآخر.

وفي البيتين الأخيرين يشير البردوني إلى لجوء أبناء بلده إلى **ابن علوان** طالبين منه المساعدة في الحصول على مهنة تدر عليهم المال، وتعينهم على التغلب على مصاعب الحياة، وفي هذا كله إشارة إلى استمرار التبرك وطلب العون من "ابن علوان" الذي يعد من الأولياء وذوي الكرامات التي تساعد على تحقيق ما يشبه المعجزات.

إذن هذه هي **الإشاريات الاجتماعية** التي اشتغل عليها **البردوني** في شعره، ليبين لنا نوعية العلاقة بين أطراف العملية التواصلية –الخطاب- بالإضافة إلى سلطة المرسل إليه ومكانته العلمية.

الإشاريات الخطابية: Discourse deictics

وهي الإشاريات التي لا تحيل إلى ما تحيل إليه **الضمائر**، وهذا ما أدى بكثير من الدراسين رفضهم لهذا النوع من الإشاريات لتداخلها مع **الإحالة** «تلتبس إشارات الخطاب بالإحالة إلى السابق **anaphora** أو اللاحق **cataphora** لذلك أسقطها البعض من الإشاريات»[(2)].

---

(1) عبد الله البردوني، قصيدة صعلوك .... من هذا العصر، ديوان ترجمة رملية لأعراس الغبار، ص 151.

(2) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 24.

فالإحالة هي التي تحيل إلى **مرجع الضمير (**قل هو الله**)** فالضمير "هو" تحيل إلى لفظ الجلالة "الله"، أما **الإشارة** فتحيل إلى مرجع جديد «فإذا روى شخص قصة تذكره بأخرى قال تلك قصة أخرى»[1].

وفي هذا السياق نجد **محمد يونس علي** يعرف كل منهما مبرزا في ذلك الفرق بينهما: «فالإشارة هي العلاقة بين اللفظ وما يشير إليه في المقام المستخدم فيه، والإحالة: هي علاقة اللفظ بالمفهوم العام الذي يحيل عليه في ذهن المخاطب بغض النظر عن المقام أو السياق الخاص الذي وردت فيه»[2].

الإشارة	**الإحالة**
الاستعمال	**الوضع**
الكلام	**اللغة**
القصد	**المعنى**
القول	**الجملة**
السياق	**اللفظ**

جدول يبين الفرق بين الإشارة والإحالة[3].

(1) نعمان بوقرة، معجم المصطلحات الأساسية للسانيات النص وتحليل الخطاب، ص 87.

(2) محمد محمد يونس علي يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، د ط، 1998م، ص 19.

(3) محمد محمد يونس علي يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، ص 19.

إلا أن هناك إشاريات للخطاب تعد من خواص الخطاب، وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم، فقد «يتحير في ترجيح رأي أو الوصول إلى مقطع اليقين في مناقشة أمر فيقول: ومهما يكن من أمر، وقد يحتاج أن يستدرك على كلام سابق أو يضرب عنه فيستخدم **لكن** أو **بل** وقد يعني له أن يضيف إلى ما قال شيئا آخر فيقول: **فضلا عن ذلك**، وقد يعمد إلى تضعيف رأي فيذكره بصيغة التمريض: **قيل**، وقد يريد أن يرتب أمر على آخر فيقول: **من ثم... إلخ**، وهذه كلها **إشاريات خطابية** لا تزال في حاجة إلى دراسة تجلو جوانبها واستخداماتها كإشاريات الخطاب»[1]، وتتغير سياقات استعمالها من خطاب لآخر.

ولقد وظف "**البرودني**" **الإشاريات الخطابية** في شعره لكنها قليلة مقارنة بالإشاريات السابقة، وتمثل ذلك في **المفارقة** التي يعيشها وإحساسه المرير بقسوة الغربة، سواء أمكث في أراضيها، أم رحل إلى منافي الآخرين، إذ في كلتا الحالتين يعيش غربتين: الداخلية والخارجية نتيجة ما يعانيه من ظلم وقهر واستعباد.

وقد تدير **مفارقة البردوني** ظهرها للعالم الواقعي وتقلبه عقبا على رأس، إما لتنحو به نحو الأفضل المنشود، أو لتذروه هباء، لتساوي **المتناقضات** لديه، وكلا الأمرين يحتاج المواجهة والصمود، وإن اختلفت **المقاصد** وتباينت النتائج، إذ المهم –أخيرا– الثبات والوصول إلى الهدف، وهنا تكمن **المفارقة** المقصودة لدى **البردوني**.

ففي قصيدة "مصطفى" وبغض النظر عن "مصطفى" هذا أكان الشاعر نفسه، أم آخر غيره، يقول بلغة رافضة لواقعها المفروض عليها، ومتحدية له رغم عظم الفوارق بين "مصطفى" الفرد الوحيد القوي، وبين تلك الجماعة المتحدة الضعيفة !!:

فليقصفــوا، لســت مقصــف ... وليعنفــوا، أنـــت أعنـــف

وليحشـــدوا، أنـــت تـــدري ... أن المخيفيـــــن أخـــــوف

---

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 37.

أغنـــى، ولكـــن أشقـــى
أوهـــى، ولكـــن أجلـــف
أبـــدى، ولكـــن أخفـــى
أخـــزى، ولكـــن أصلـــف
يخشـــون إمكـــان مـــوت
وأنـــت للمـــوت أألـــف
لأنهـــم لهواهـــم.....
وأنـــت بالنـــاس أكلـــف
قـــد يكسرونـــك، لكـــن
تقـــوم أقـــوى وأرهـــف
قـــد يقتلونـــك، تأتـــي
مـــن آخـــر القتـــل أعصـــف
لأنـــك الكـــل فـــردا....
كيفيـــة، لا تكيـــف....
يـــا مصطفـــى، يـــا كتابـــا
مـــن كـــل قلـــب تألـــف
ويـــا زمانـــا سيأتـــي
يمحـــو الزمـــان المزيـــف[1]

إن المفارقة هنا تكمن في الضدية المجابهة التي اختارها مصطفى الفرد ليقف بها أمام **خصومه**، وكأن القصيدة قد أصبحت مسرحا واسعا للقتال المتبادل بين المتخاصمين، إذ تقف معظم الأبيات في صف "مصطفى"، ومعظمها في صف "الخصوم"، وتتقابل الكلمات بضدية قوية متتابعة متسارعة، تدل على اضطرام الصراع بين طرفي العملية التواصلية، وقد استدل على ذلك باستخدام العنصر الإشاري الخطابي "**لكن**"، فيقول كلاما ويضرب عنه في ثنائيات متضادة (أغنى **لكن** أشقى، أبدى **لكن** أخفى، أوهى **لكن** أجلف....) وتتعالى طبول الحرب المدوية في القصيدة والقصد من ذلك كله هو المباغتة السريعة ثم التصدي المضاد، ليصل في النهاية إلى محو الماضي المزيف.

---

[1] عبد الله البردوني، ديوان كائنات الشوق الآخر، ص 222

الفصل الثالث

الأفعال الكلامية ومقاصدها التداولية

في شعر عبد الله البردوني

تمهيد:

تعد نظرية **أفعال الكلام** مجالا أساسيا لدراسة «مقاصد المتكلم ونواياه، **فالمقصد** يحدد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها، وهذا ما يساعد المتلقي على فهم الخطاب، ومن ثمة يصبح توفر القصد مطلبا أساسيا وشرطا من شروط نجاح الفعل اللغوي الذي يجب أن يكون متحققا ودالا على معنى»[1]

وسنحاول التطرق إلى المقاصد التداولية للأفعال الكلامية من خلال شعر **عبد الله البردوني**

1- مصطلح الأفعال الكلامية ومفهومه:

أ- معنى الفعل والكلام لغة:

بالنظر إلى **مقاييس اللغة والمعجم الاشتقاقي المؤصل** نجد في معنى (الفعل) ما ذكره **ابن فارس (ت 395هـ)** «الفاء والعين واللام أصل صحيح يدل على إحداث شيء من عمل وغيره»[2]

أما معنى **(الكلام)** فقال ابن فارس «الكاف واللام والميم أصلان: أحدهما يدل على نطق مُفهِم، والآخر على جراح»[3]

ويجعلهما محمد حسن جبل **(ت 1436هـ)** أصلا واحدا إذ يقول: «الكُلام- كغراب: أرض غليظة أو طين يابس. المعنى المحوري اتصال مادة الشيء، وتداخلها تداخلا يبلغ العمق مع غلظ أو حدة، ... ومن الاتصال والتداخل الماديين استعمل التركيب في الاتصال

---

[1] محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة باتنة -1- 2014/2013، ص 5.

[2] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، (ف،ع،ل) بيروت، لبنان، 1979، 511/4.

[3] المصدر نفسه، ص (ك، ل، م)، 131/5.

والتداخل بالصوت، أي الكلام الذي هو القول فكلمته حقيقتها: أو وصلت إليه ما في نفسك بالصوت، وبالنظر إلى الأصل ف(الكلمة) ينبغي أن تحمل معنى توصله»[1]

فمعنى (الفعل) يدل على إحداث شيء من عمل وغيره، ومعنى (الكلام) يدل على الاتصال، وهما معا يدلان على اتصال يحدث شيئا، وهو قريب جدا من مفهوم الفعل الكلامي في الاصطلاح.

ب- اصطلاحا:

المقصود بالفعل الكلامي كما يحدده دومينيك مانغونو **Dominique Maingeneau** «الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه (أمر، طلب، تصريح، وعد...) غايته تغيير حال المتخاطبين، إن المتلفظ المشارك لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا اعترف بالطابع القصدي للفعل المتلفظ»[2]

ويقول فان ديك **Van Dijk** : «وما نعنيه بقولنا إننا نفعل شيئا ما، متى صغنا عبارة معينة، هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي، كأن نعد وعدا ما، ونطلب، وننصح، وغير

ذلك مما شاع وذاع أنه يطلق عليه أفعال الكلام ويطلق عليه على نحو أخص قوة فعل الكلام»[3]. ففان دايك يركز على السياق الاجتماعي الذي يجعلنا **ننجز** أفعالا متنوعة.

ويرى **أحمد المتوكل** أن تطبيق مفهوم الأفعال الكلامية على كثير من اللغات الغربية، واستثمار ما انبثق عنه من تصورات ومبادئ إجرائية وظيفية أثرت بقوة وعمق في مسار الدراسات اللسانية، هذا التطبيق قد حقق نجاحا في وصفها وفي رصد خصائصها التداولية»[4]

---

[1] محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (ك-ل-م)، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1922/4.

[2] دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص7.

[3] فان ديك، النص والسياق، ص263.

[4] أحمد المتوكل، الوظائف التركيبية، قضايا ومقاربات، ص86.

وقد ترجمت العبارة الإنجليزية **Speech Act Theory** أو العبارة الفرنسية **La théorie de Acts**، إلى عدة ترجمات في اللغة العربية منها: نظرية **أفعال الكلام** أو **الفعل الكلامي، نظرية الأعمال الكلامية أو اللغوية، نظرية الحدث الكلامي أو اللغوي، والنظرية الإنجازية.**

ومنشأ الخلاف في الترجمة مرده إلى أن الإنجليزية تميز بين كلمتي (Vreb) و(Act)، فالأولى تدل على "الفعل" المقابل للاسم والحرف في النحو، بينما الثانية تدل على "فعل أو عمل أو إجراء أو صنيع"[1] ، أما لفظ (الفعل) في اللغة العربية، فلفظ مشترك له عدة دلالات، ومن ثم اختلفت الترجمات لكلمة **Speech Act**، من قبيل (الحدث، الفعل، العمل...) الكلامي أو اللغوي، وهكذا.

وترجمها **شكري المبخوت** في ترجمته للقاموس الموسوعي للتداولية بنظرية "**الأعمال اللغوية**"[2]، ولكن أشهر تلك الترجمات هي "**نظرية أفعال الكلام**" أو "**الأفعال الكلامية**"[3]، والتي بدأت مع ترجمة كتاب أوستن «كيف تنجز الأشياء بالكلام» " **How to do things with words**" للعربية، وانتشر المصطلح بعد ذلك بين العديد من الباحثين العرب.

ويفضل **عبد الكريم جبل** ترجمة المصطلح **Speech Act** بـ "**الحدث بالكلامي**" وعلل ذلك بقوله «آثرت استعمال (الحدث) بدلا من (الفعل)، لما قد يسببه استعمال هذا الأخير من التباس بينه بمعناه المراد هنا: (الشيء المنجز) من جهة، ومعناه الآخر، كفصيل نحوي مقاسم للأسماء والحروف من جهة أخرى»[4]

---

(1) N.S. Doniach: Oxford English Arabic Dictionary, Oxford university, 1981, P 14.

(2) جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص43.

(3) الأفعال الكلامية هي الترجمة التي ارتضاها عبد القادر قنيني في ترجمته لكتاب أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، ومحمود نحلة ونعمان بوقرة، ومسعود صحراوي وغيرهم.

(4) وليام أوجرادي، علم الدلالة، ترجمة عبد الكريم جبل، مجلة علوم اللغة، دار غريب، القاهرة، مصر، العدد 3، 2006م، ص244.

وينتقد **نعمان بوقرة** هذه التسمية –أفعال الكلام– قائلا: «وقد شاع بين الدارسين استعمال مصطلح (الفعل الكلامي)، على ما في هذه التسمية من تضليل ومجازفة، من حيث ارتباط الكلام بالمظهر المادي الصوتي، ويوصي **جون ليونز John Lyons** بضرورة ألا يغيب على البال أن فعل الكلام شامل للمنجز الكلامي والمنجز الكتابي» على أن هذا النقد لم يمنعه من استخدام المصطلح في مواضع كثيرة من مؤلفاته.[1]

فالفعل الكلامي من هذا المنطلق **إنجاز** ذو طابع اجتماعي يتحقق في الواقع بمجرد التلفظ به، بغرض تحقيق التواصل، وذلك من أجل صناعة مواقف اجتماعية، ومن ثم التأثير في المتلقي عن طريق حمله على فعل ما، أو تركه أو تقرير حكم من الأحكام، أو....

ليبقى مفهوم الفعل الكلامي مفهوما حديث النشأة، لم يكون ليولد إلا في رحاب **الفلسفة التحليلية الغربية**، التي مهد لها الفيلسوف الألماني **غوتلوب فريجه (G.Frege)**، والذي كان بمثابة انقلاب فلسفي جديد، أحدث قطيعة معرفية ومنهجية بين الفلسفتين القديمة والحديثة، ليعمق فيها البحث الفيلسوف النمساوي **لودفيغ فيتغنشتاين**، وبذلك احتضن نظرية الأفعال الكلامية هو وعدد معين من الباحثين الآخرين الذين آمنوا أن السبيل إلى فهم الإنسان لذاته ولعالمه هو "**اللغة**"، فنادوا بضرورة اتخاذها موضوعا للدراسة في أي مشروع فلسفي يروم فهم الكون ومشكلاته، وقد تجلى ذلك في أبحاث: **ادموند هوسرل Edmand Husserl** ، **وأوستين Austin** في محاضراته كيف "كيف نصنع الأشياء بالكلمات" " **How to do things with words**"، وتلميذه سيرل **J. Searle**

ومع الإقرار بنشأة هذه النظرية في خضم جهود الفلاسفة الغربيين، إلا أننا لا نعدم لها أثرا في الموروث اللغوي العربي اللساني، بل إن علماء العربية قد استخدموا أفعال الكلام، وأشاروا إلى المقام والسياقات المختلفة للخطاب. والسؤال الذي يطرح نفسه، ما حظ الأفعال الكلامية من حيث الاهتمام في التراث اللساني العربي؟ وكيف نظر هؤلاء العلماء إلى الأفعال الكلامية أثناء حديثهم عن الكلام، وما يترتب منه من حين قسموه إلى خبر وإنشاء؟

---

[1] نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 159.

2 -الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي:

إن الأفعال الكلامية كمصطلح لم تكن لتدرس في التراث اللساني العربي إلا ضمن مباحث "**علم المعاني**" لأن موضوع هذا الفرع اللغوي في التراث هو «تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان... ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الكلام ذكره...»[1] وتحديدا ضمن نظرية **الخبر والإنشاء**، فهي تعتبر عند العرب -من الجانب المعرفي- مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين... [2]

لذلك اشتغل في باب البحث فيها عديد من علمائنا العرب ضمن مؤلفاتهم على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم الفكرية، فاهتموا بها اهتماما كبيرا، بعد أن عمقوا البحث في أسسها ومبادئها وتسمياتها المختلفة، فكانت نظرية الخبر والإنشاء محل اهتمام الفلاسفة والمناطقة و...، خاصة حين درسوا المعاني الوظيفية وتحديد **المقامات** المختلفة التي ترد فيها تلك المعاني بغرض فهم النص القرآني، لتبلغ ذروة الاهتمام عند النحاة والبلاغيين أمثال **سيبويه والجرجاني والسكاكي**، فدرسوا الخبر والإنشاء، وحاولوا التمييز بينهما في أبواب "أقسام الكلام" وتركيبه، وما يتصل به من الاستحسان وغيره...

وإذا كان علم "المعاني" من خصائصه تتبع خواص التركيب في الكلام من حيث الإفادة سعيا منه لتطبيق هذا الكلام وفق ما يقتضيه سياق الحال، فإن "خاصية التركيب" متعلقة بما سبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له، لكونه صادرا من البليغ، لا لنفس ذلك التركيب...[3]

فالتركيب إذن يختلف معناه باختلاف المقام الذي يرد فيه علم المعاني، حيث يكون التركيز على التراكيب التي لها دلالات مفيدة سواء كانت دلالات حرفية أم دلالات ضمنية،

---

(1) مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص49.

(2) المرجع نفسه، ص49.

(3) السكاكي، مفتاح العلوم، ترجمة عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2011م، ص 248-249.

وكلها تفهم من المقام وبحسب **مقصد** المتكلم وهذا ما تقوم عليه الدراسات الدلالية الحديثة: **القصد والإفادة.**

3 – أقسام الكلام عند القدماء، (التمييز بين الخبر والإنشاء):

إن المتأمل في نظرية "الخبر والإنشاء" في التراث العربي، يلحظ ذلك الاختلاف الواضح في التمييز بين الأسلوبين، لأن البحث النظري من حيث المفاهيم والمصطلح «لم يولد منذ يومه الأول مكتملا محدد المعالم، بل الواقع أنه مر بمراحل قبل أن يستوي على سوقه، ويستقر على أسس واضحة المعالم بفضل انتقال تلك النظرية من آراء وملاحظات إلى أصول ناضجة ومباحث مؤسسة، لا سيما بعد اعتماد أدوات التحليل المنطقي والتداولي...[1]، وبذلك تعددت التقسيمات وتضاربت الآراء وتنوعت، ولعل وجه الاختلاف بالتحديد حاصل عند العلماء قديما حين قسموا الكلام على أقسام كثيرة، عدّدها **السيوطي** فبلغ بها عشرة أقواها ما عرف بـ **القسمة الثنائية**، أجمع المحققون على انحصاره في الخبر والإنشاء ...»[2]

فالإنشاء عبر عنه أغلبهم بمصطلح "**الطلب**" عدا فئة قليلة هديت إلى جعله قسيما للخبر، بدءا من القرن **5هـ كنجم الدين الكاتبي (ت 493 هـ)**، الذي استخدمه استخداما مدققا، ثم تجلى في كتابات **الجرجاني (ت 729 هـ)**، فأشاعه بين الدارسين بقوله: «الإنشاء كلام لفظه سبب لنسبة غير مسبوق بنسبة أخرى...» [3] ثم ما لبث أن استقر الإنشاء قسيما للخبر، ينهض ويقوم التعريف بينهما على أسس مختلفة، ولعل أكثرها دورا في مصنفاتهم الثلاثة الآتية:

---

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص58.

[2] السيوطي، همع الهوامع، تحقيق عبد العالي سالم مكرم، بيروت، ط2، 1987م، 34/1.

[3] الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تعليق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص86.

أ- المعيار الأول: الصدق والكذب:

يعد هذا المعيار محل إجماع بين العلماء العرب، وهو التمييز بحسب الشرط المبدئي المعروف، فالخبر: «هو ما يقابل الصدق والكذب، والإنشاء خلافه، وقد تعددت النصوص المأثورة عن علماء تلك المرحلة من عمر البلاغة العربية، وكثرت كثرة بالغة تدل على إجماعهم على ذلك»[1]، ذلك ما نجده عند **نجم الدين الكاتبي** الذي يقول في باب التمييز بين الخبر والإنشاء: «والكلام التام إن احتمل الصدق فهو الخبر والقضية، وإن لم يحتمل فهو الإنشاء...» [2]

ومما يجب ذكره في هذا السياق أن مفهوم الصدق والكذب-وإن كانا من أظهر المفاهيم التي رسخت في التقاليد اللغوية العربية- فإنه يظل مفهوما ملبسا، تردد القدماء أنفسهم، في ضبطه، وبيان مراده، بين قائل : إنه مطابقة حكم الخبر وعدم مطابقته للواقع.

ب- المعيار الثاني: مطابقة نسبة الكلام النسبة الخارجية:

إذا كان الاتفاق حاصلا في أن الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب، فقد أكد العلماء والباحثون وجوب مراعاة قصد المتكلم واعتقاد المخبر، فإذا كان نسبة الخبر الكلامية مطابقة لنسبته الخارجية، مع اعتقاد المخبر بمطابقتها فالكلام صادق، وإذا كانت نسبته الكلامية غير مطابقة لنسبته الخارجية مع عدم اعتقاد المخبر بمطابقتها فالكلام كاذب، لذلك نرى **الجرجاني** يذهب إلى وجوب أن يعتد بالنسبة التي في **الكلام** من حيث مطابقتها بنسبة أخرى، معرفا الإنشاء أنه: «كلام لفظه سبب غير مسبوق بنسبة أخرى...»[3] وعليه لا يحتمل المطابقة ولا عدمها، لكون المطابقة في واقع الأمر نسبة، وكل نسبة توجب منتسبين سابقين عليها، أما الخبر فإنه «وإن كان لفظه سببا لنسبة هي صورة الكلام، لكنها مسبوقة بنسبة أخرى فإن تطابقا فالخبر صادق، وإلا فكاذب»[4] ولعله هو المعيار الذي ارتآه

---

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص58.

[2] نجم الدين الكاتبي، الرسالة الشمسية، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط1، 1957، ص42.

[3] الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص86.

[4] المرجع نفسه، ص86.

الخطيب القزويني في "**إيضاحه**" معرفا الفرق بين الأسلوبين «ووجه الحصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء، لأنه إما ان يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج، فالأول الخبر والثاني الإنشاء...»[1]

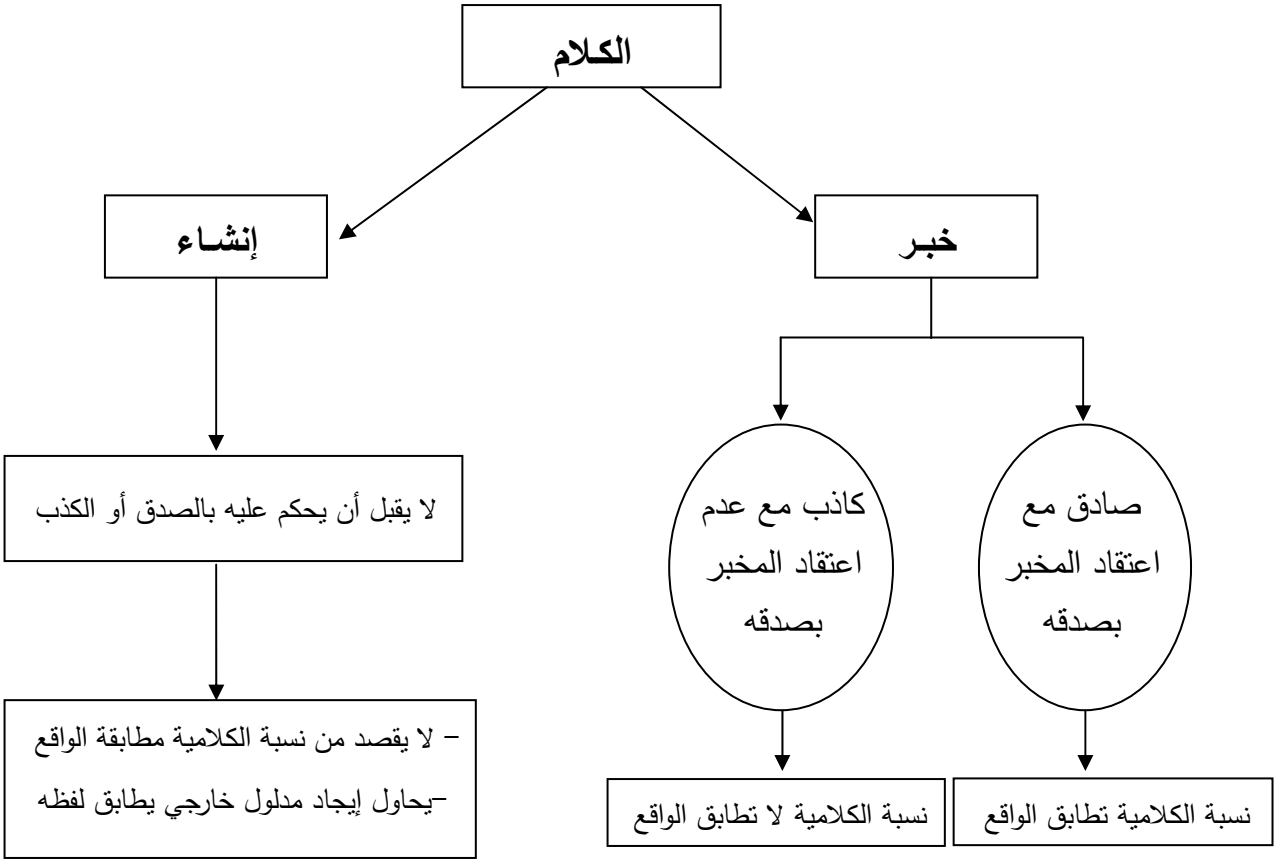

هذان المعياران أبرز ما اعتمد في سبيل تمحيص الخبر من الإنشاء، والجدير بالذكر أن النظريات اللغوية العربية ركز أصحابها مع حرصهم الشديد على دراسة الخبر والطلب، دون سائر المعاني الأخرى، والتي تدخل دائرة **الإنشاء غير الطلبي**، لأن السابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان الخبر والطلب، المنحصر بحكم الاستقرار في أبوابه

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ترجمة محمد محي الدين عبد الحميد، حط، د ت، ص17.

المعروفة، **كالاستفهام، النداء والأمر والنهي...** لذلك يلقى الجزء الذي يستدعي مطلوبا حاصلا في اعتقاد المتكلم وقت الطلب. اهتماما بالغا حتى استنفذ حظه في الدراسة والتحليل، وذلك نظرا لما يتمتع به من تنوع خطابي من شانه أن يحدد نشاط المتلقي وبثير شعوره ويحرك انتباهه، فينعكس ذلك على المخاطب ليصبح أكثر تجاوبا مع المتكلم، أما القسم الآخر الذي لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويتحقق وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه[1].

أما **الخبر** فالأصل فيه يلقى لأحد الغرضين:

1- إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة، وسمي ذلك الحكم "فائدة الخبر"، وفي الاصل يقوم على أساس أن يلقى إليه الخبر أو من نوجه إليه الكلام بجهل حكمه أو مضمونه، ويراد إعلامه أو تعريفه به،

2- أما الغرض الثاني فهو ما سماه البلاغيون لازم الفائدة، وهو ما يقصد المتكلم من ورائه أن يفيد مخاطبه –أي المتكلم- عالم بحكم الخبر أ ي مضمونه.

وقد قسم الخبر إلى ضروب هي:

أ- **الخبر الابتدائي:** هو النوع الذي لا يحتاج إلى مؤكدات، إذ يلقى الخبر إليه خاليا من أدوات التوكيد.

ب- **الخبر الطلبي:** فيه يكون المخاطب مترددا في الحكم شاكا فيه، ويبغي الوصول إلى اليقين في معرفته فيحسن توكيده له ليتمكن من نفسه، ويحل فيه اليقين محل الشك.

ج- **الخبر الإنكاري:** فيه يكون المخاطب منكرا لحكم الخبر، وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكدين أو أكثر، على حسب درجة إنكاره من جهة القوة والضعف يسمى هذا الضرب إنكاريا.[2]

---

[1] السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 258.

[2] المرجع نفسه ، ص 258.

4- الأفعال الكلامية في اللسانيات الغربية المعاصرة:

إن نظرية الأفعال الكلامية من الموضوعات الأساسية للسانيات التداولية، لاسيما وهي النظرية التي نادى أصحابها بضرورة التجسيد الحقيقي للاستعمالات اللغوية في الواقع، فهي أفعال ينجزها الإنسان بمجرد التلفظ بها في سياق مناسب، لذلك كان اهتمامها بدراسة ما يفعله المتكلمون باللغة من تبليغ وإنجاز أفعال وتأثير و... وكل ما من شأنه أن ينجح العملية التواصلية بين المتحدثين.

وتعد نظرية **الأفعال الكلامية**، من أساسيات التحليل التداولي حين نظرت إلى اللغة على أنها مؤسسة تتكفل بتحويل **الأقوال** إلى **أفعال**، إذا صدرت ضمن مقام يسمح بذلك، فموضوع الدراسة ليس الجملة، وإنما **إنتاج التلفظ في مقام خطاب** وهو ما أوصى به زعيم هذه النظرية **جون أوسن Jhohn Austin** من خلال كتابه «**كيف نصنع (ننجز) الأشياء بالكلمات**»، حين ضمنه دعوة صريحة بوجوب مراعاة الجانب الاستعمالي للغة طبقا **لمقامات المخاطب**.

لقد نشأت فكرة "أفعال الكلام" من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة وهو «أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين في الوقت نفسه»(1) و«ذلك بعدما كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياسا وحيدا للحكم على دلالة جملة ما وهو مقياس الصدق والكذب»(2) مما حصر العبارات اللغوية في منوال واحد هو "العبارات الخبرية"، كأن تصف واقعا ما، ويحكم على صدقها أو كذبها بمدى مطابقتها لذلك الواقع.

ولقد مرت نظرية أفعال الكلام بمرحلتين أساسيتين، بناء على جهود مؤسسيها الأوائل ثم من جاؤوا بعدهم وساهموا في تطوير جهود اساتذتهم:

- مرحلة التأسيس والنشأة عند ج.ل أوستن Austin

(1) فان ديك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ص18.

(2) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 89 -90.

– مرحة النضج والضبط المنهجي عند ج.ر سيرل Searle

أ– مرحلة التأسيس والنشأة:

يعد أوستن المؤسس الفعلي لهذه النظرية خاصة حين أوصى بوجوب مراعاة الجانب الاستعمالي للغة طبقا لمقامات التخاطب، إذ بينت لديه أن اللغة ليست مجرد أداة نقل لأفكار ووصف الأشياء، وإنما هي ميدان ننجز فيه **أعمالا Actes**، لا تنجز إلا في اللغة، وباللغة.

يقول **جون ليونز**: «...لقد كان هدف أوستن في البداية أن يتعدى ما كان يعتبر مغالطة وصفية، وهي فكرة أن الوظيفة الوصفية والمهمة الوحيدة للغة هي إنتاج عبارات خبرية صادقة أو كاذبة»[1]، فانطلق في تفسير نظريته من انتقاد الفكرة السابقة التي تعتبر أن كل الأقوال يمكن إخضاعها لمعيار الخطأ أو الصواب ويرى نتيجة لذلك أن هناك أساليب وتعابير لغوية لا يمكن وصفها بأنها خاطئة أو صائبة، بل إننا حين نتلفظ بها نكون قد أنجزنا في الوقت نفسه فعلا اجتماعيا سماه أوستن بـ"**الفعل الكلامي Speach Acts**"

لقد ميز "أوستن" في مرحلته الأولى بقصد دراسة اللغة مؤسسا لاتجاه جديد أطلق عليه اسم: **فلسفة اللغة العادية** التي تعتمد على مفاهيم ثلاثة هي «الدلالة، القاعدة، ألعاب اللغة»[2] فميز نوعين من الأفعال.

أ– أفعال إخبارية أو تقريرية Constatif: وهي الأفعال التي تخبر أو تصف الواقع الخارجي، وتحكم عليها بالصدق أو الكذب، فهي أفعال أو قسم من الكلام مجاله الخبر الذي يحتمل الصدق والكذب.

ب– أفعال أدائية او إنشائية Performatif : ليست لهذه الأفعال خصيصة الحكم عليها بالصدق أو الكذب فهي تستخدم لإنجاز فعل، أو هي التي ينجز بها المتكلم عملا ولا يقتصر

---

[1] جون ليونز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987، ص191.

[2] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 51.

على مجرد الكلام به، ومن شروط نجاحه توافر عناصر الإرادة والقصد والقدرة، وحسن النية، وتسمى هذه الشروط **شروط الملاءمة**[1]

ثم ما لبث "أوستن" في مرحلة من مراحل تطور نظرية الأفعال الكلامية أن راجع وعدل في التقسيمات التي وضعها للتمييز بين الأفعال الإخبارية والأفعال الأدائية، وذلك حين رأى أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، تشكل كيانا واحدا، وتؤدي في الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلامي، من منطلق ذلك الهاجس الذي كلن يشغل "اوستن" هو الجواب عن السؤال: **ماذا نفعل عندما نتكلم؟**

إن ما نصنعه يتجلى في ثلاثة أعمال تعد جوانب مختلفة لعمل خطابي كامل تختزل مختلف الوظائف اللسانية على النحو التالي:

1- عمل القول L'Acte de locution :

ويسمى فعل القول او الفعل الصوتي أو اللفظي، أو الفعل اللغوي، «ويراد به التلفظ بجمل مفيدة ذات بناء نحوي صحيح... أو في أصوات منتمية إلى لغة معينة، وهذا الفعل يقع دائما مع كل قول: أو تركيب لألفاظ في جمل مفيدة طبقا للأفعال الفرعية الثلاثة الآتية. الفعل الصوتي، الفعل التركيبي، الفعل الدلالي»[2]

2- عمل مقصود بالقول L'Acte d'illocution :

ويسمى الفعل المتضمن في القول أو الفعل الغرضي أو الإنجازي، ويقصد به ما يؤدي به الفعل اللفظي أو الصوتي من وظيفة في الاستعمال، إذ غاية المتكلم التعبير عن معنى في نفسه كالأمر، الاعتراض، الموافقة، القبول، النصح،... فلذلك يعد هذا الفعل لبّ نظرية الأفعال الكلامية.

---

(1) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 95.

(2) آمنة لعور، الأفعال الكلامية في سورة الكهف –دراسة تداولية– مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآداب، إشراف د. زهيرة قروي، جامعة قسنطينة، 2010 –2011 م، ص70.

3- عمل التأثير بالقول L'Acte Perlocution :

وتسمى الفعل الناتج عن القول أو الفعل بواسطة القول التأثيري **L'Acte Perlocutionnaire** ، وهو ما يتركه الفعل الإنجازي من تأثير في السامع أو المخاطب، سواء أكان التأثير جسديا أم فكريا، والغاية منه حمله على اتخاذ موقف، أو تغيير رأي أو القيام بعمل ما...

ويعد الفعل **الإنجازي** ركيزة الأفعال الكلامية عند "أوستن"

حتى سميت نظريته **بالنظرية الإنجازية**، نظرية الفعل الإنجازي، وهذا الفعل يرتبط **بمقصد المتكلم Intention (القصدية)** دورا مركزيا في نظرية أفعال الكلام.[1]

واستنادا إلى مفهوم **القوة الإنجازية**، ارتأى "أوستن" أن يصنف الأعمال التي ينجزها بواسطة اللغة إلى أسس خمسة:

أ- **الأفعال اللغوية الدالة على الحكم (الحكميات) Les verdictifs**: وهي كل فعل يدل على حكم يصدره محكم مثل: حكم، قدر، شخص، حلل...

ب- **الأفعال الدالة على القرارات(الإنفاذيات) Les exercitifs**: وهي كل فعل يعبر عن اتخاذ قرار أو ممارسة في صالح شخص أو ضده كالتعيين، الطرد،... عيّن، حرم، أذن، اختار...

ج- **الأفعال الدالة على الوعد والتعهد(الوعديات) Cmmissifs**: يتمثل في ما يقطعه المتكلم على نفسه من عهود ووعود مثل: وعد، تعهد، كفل...

د- **الأفعال الدالة على السلوك (السلوكيات) Les comportatifs**: هي كل فعل يتمثل فيما يكون رد فعل لحدث ما كالاعتذار، التعاقد، الشكر، القسم،...

---

[1] آمنة لعور، الأفعال الكلامية في سورة الكهف، ص70.

هـ- الأفعال العرضية (العرضيات) Les expositifs: وهي الافعال التي يؤتى بها لتوضيح وجهة نظر وبيان الرأي مثل: اعترف، وافق، أثبت، أكد، وهب،....[1]

لكن هذا التقسيم لم يستطع أن يحقق ما يسعى إليه "أوستن" في وضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، بسبب تداخل هذه الأفعال فيما بينها.

ب- مرحلة النضج والضبط المنهجي:

هي المرحلة الثانية في نشأة فكرة الأفعال الكلامية، بعد الجهود التي وضعها "أوستن" في تحديد المفهومات المركزية في النظرية، إلا أن **جون سيرل John Searle** عدّل في كير من هذه المفاهيم والتصنيفات، فلقد أعاد تناول نظرية "اوستن" وطور فيها بعدين من أبعادها الرئيسية هما: **المقاصد والمواضعات.**

ويمكن ان نوجز –اختصارا– مجهود "سيرل" في هذه المرحلة من خلال تداركه لما وقع فيه أستاذه من خلال التقسيم الذي ورثه عن أستاذه للأعمال الكلامية على أساس التمييز بين أربعة أفعال ننجزها معا في الوقت نفسه وهي: فعل **التلفظ** (الصوتي والتركيبي)، **الفعل القضوي** (الإحالي والحملي)، **الفعل الإنجازي** (على نحو ما فعل أوستن)، **الفعل التأثيري** (على نحو ما فعل أوستن).[2]

الفعل الكلامي عند "سيرل" لا يحدد **قصد** المتكلم وحده، بل لابد من تضافر العرف اللغوي والاجتماعي معا. نص سيرل على أن للقوة الإنجازية دليلا يدعى "**دليل القوة الإنجازية**"، الغرض منه إظهار نوع العمل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم عقب نطقه للجملة كالنبر والتنغيم...

طور "سيرل" شروط **الملاءمة**، إذ جعلها أربعة وطبقها على الفعل **الإنجازي** تطبيقا محكما، هذه الشروط هي:

---

[1] فراسواز أرمينغو، المقاربة التداولية، ص62.

[2] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص99.

أ- **شرط المحتوى القضوي:** يتحقق بأن يكون للكلام معنى قضوي، والقضوي نسبة إلى القضية التي تقوم على متحدث عنه أو مرجع متحدث به، او خبر، والمحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية.

ب- **الشرط التمهيدي:** ويتحقق إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل.

ج- **شرط الإخلاص:** ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل.

د- **الشرط الأساسي:** يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل.[1]

5 -الأفعال اللغوية المباشرة، والأفعال اللغوية غير المباشرة:

إن الفعل الكلامي يعد عنصرا مهما في الكثير من الأفعال التداولية، باعتباره كل ملفوظ ينهض على "**شكلي دلالي إنجازي تأثيري**"، يعتمد على أفعال قولية تسعى إلى تحقيق أغراض **إنجازية**، وغايات **تأثيرية** تخص ردود فعل **المتلقي**، وبذلك يطمح هذا الفعل الكلامي إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى التأثير في المخاطب اجتماعيا ومؤسساتيا ومن ثم إنجاز شيء ما.[2]

وقد شاع استخدام مصطلح الفعل الكلامي بين الدارسين واختلفت تعريفاته لاختلاف المرجعيات الابستيمولوجية التي ينطلقون منها، وحسب المتفق عليه فإن فعل الكلام يعني التحدث بما يعني تحقيق الأفعال اللغوية.[3]، وذلك لما للفعل الكلامي من وظائف تداولية مرتبطة **بقصد المخاطب**، من أهمها **وظيفته الحجاجية**، التي تزيد من فاعليته **الإنجازية** التي أرادها "أوستن" و "سيرل"، ولاسيما تلك الطريقة المرتبطة بلفظي، **التأثير والإقناع**.

فكثيرا ما يسهل على المخاطب الفعل الكلامي **المباشر** عندما يولي عنايته لتبليغ قصده، وتحقيق هدفه الخطابي، «ورغبته في أن يكلف المتلقي بعمل ما، أو يوجهه

---

[1] عبد الرحمن دحماني، أفعال الكلام في ديوان لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري- د. تداولية- مذكرة ماجستير، إشراف نعيمة السعدية، جامعة بسكرة، 2013 – 2014، ص82

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص40.

[3] نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع2006/17، ص169.

لمصلحته، من جهة أو توجيهه لفعل مستقبلي، ويفترص أن يتوجه المخاطب بخطابه إلى التكثير من فائدة المتلقي، فيستعمل هذه الاستراتيجيات في شكلها الأكثر مباشرة للدلالة على قصده كالأمر والنهي الصريحين».[(1)]، وهذا ما عرف في عرف التداوليين بـ "**الأفعال الكلامية المباشرة**"

أ – الأفعال المباشرة:

ميز "سيرل" بين ما أسماه **الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة** أو **الحرفية وغير الحرفية**، فالأفعال الإنجازية المباشرة عنده تتمثل في تلك الأقوال التي تتوفر على تطابق تام بين معنى الجملة ومعنى القول، فالقول في نظر "سيرل" «هو شكل السلوك الاجتماعي الذي تضبطه مجموعة من القواعد».[(2)]، بمعنى أنه يجب أن تتوفر هناك مبادئ يتوقف عليها إنجاز فعل ما، أو تقرير سلوك معين، فمعنى ذلك أن يكون ما ينطقه مطابقا مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول، ويعرف "سيرل" نفسه الأفعال المباشرة بقوله: هي الحالات التي يمكن للمتكلم التلفظ بقول ما، ويراد منه ما صرح به[(3)].

لكن ما تنبه إليه "سيرل" هو ذلك السؤال المطروح: هل يكون معنى الجملة دائما مطابقا لمقصود المتكلم؟ وانطلاقا من هذا التساؤل كشف "سيرل" أن هناك حالات أخرى لا يكون فيها الفعل مباشرا لهذا ميز "سيرل" نوعا آخر من الأفعال اللغوية يتمثل في:

ب –الأفعال الكلامية غير المباشرة:

إن "سيرل" من الأوائل الذين اهتموا بدراسة الأفعال الكلامية غير المباشرة، والتي عرفها بعد أن تناول بالدراسة تلك الأقوال التي لا تدل صيغتها الظاهرة على ما تدل عليه، أي لا تتوفر على تطابق بين معنى الجملة ومعنى القول، حيث لا تدل صيغة الجملة على معناها،

---

(1) بوقرومة حكيمة، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقاربة تداولية، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزر، ع3، 2003، ص 11، 12.

(2) فرونسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص69.

(3) المرجع نفسه ، ص69.

وإنما تدل على معنى آخر مغاير لمعناها الظاهر، لذلك يرى "سيرل" أن هناك حالات عديدة متعلقة بالأفعال غير المباشرة، ويظهر ذلك في قوله: «هناك حالات يستطيع فيها المتكلم من أن يقول جملة، ويريد بها معناها الظاهر، لكن يدل أيضا على مقولة ذات محتوى إسنادي مغاير، فعلا: يمكن للمتكلم أن يتلفظ بجملة: هل بإمكانك مدّي بكذا؟».[1]، دلالتها لا تدل على استفهام بل طلب تقديم الملح، وانطلاقا من هذه الإشكالية يطرح "سيرل" تساؤلات عدة أهمها:

كيف للمتكلم أن يقول شيئا يصوغه في عبارة خاصة ويقصد به شيئا آخر؟

كيف للمستمع أن يفهم ما لم يصرح به المتكلم؟ بمعنى: كيف يتم الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المراد أو المستلزم خطابيا؟

6 –دراسة العرب للأفعال الكلامية المباشرة:

أ– جهود العرب القدامى:

إن الإفادة من كلام العرب تكمن في النظر أساسا في اقوال المتخاطبين أثناء الحديث وحال المخاطب، لذا قيل «لكل مقام مقال»، فيقول **السكاكي** مؤكدا ذلك: «اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره».[2]

لذلك كان "علم المعاني" هو العلم الذي تخصص فيه علماء العربية في تحليل الخطاب، انطلاقا من علاقته "بالسياق" وذلك ما أثنى عليه **ابن خلدون**، «وهو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده، وبقصد الدلالة عليه من المعاني...».[3]

والمتأمل في "مفتاح السكاكي" يلحظ جملة القوانين التي درسها "السكاكي" والشروط **المقامية** التي تتحكم في **إنجاز** الخبر والطلب، هذه القوانين والشروط المقامية تتحكم في

---

[1] فرونسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص71.

[2] السكاكي، مفتاح العلوم، ص70

[3] بلخير عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التوليدية، منشورات الاختلاف، ط1، 2003، ص167.

إنجازها على ما يقتضيه الحال، ويتفرع عمن هذين النوعين أغراض يدل عليها الكلام في حال ما إذا أجري في غير مقامه.

ب- جهود العرب المحدثين:

قام **أحمد المتوكل** بدراسة في ثنائية "الخبر والإنشاء" عند العرب القدامى، وذلك بتطبيق آليات اللسانيات الحديثة، حيث قام بتقصي أهم القضايا اللغوية التي تفطن إليها قدامى العربن وحاول أن يظهر حدود الوصل والفصل ما بين دراسة العرب القديمة ودراسة الغربيين الحديثة.

يعطي "المتوكل" اسم نظرية **أفعال الكلام** لمجموعة من الظواهر الدلالية والتداولية التي تتجلى في النتاج اللساني العربي القديم تحت اسم أغراض، بمعنى أن الأغراض الكلامية العربية هي نفسها المقاصد التي تحيل إليها الجمل التعبيرية المختلفة، والتي قام علماء العربية بتحديدها حسب السياقات التي ترد فيها، وهذا في مجال علم المعاني...»[1]

كما يرى "المتوكل" أن البلاغة باعتبارها "فنا يهتم بالكلمة معنى واستعمالا" هي الضابط الأساسي لظاهرة الأفعال الكلامية ، إذ تكفلت بوصفها ودراستها وبطريقة نظامية، وذلك انطلاقا من تحديدات موضوعية وبربط تلك الدراسة النظامية بثلاثة أقسام (Volets) مهمة هي:

- **ثنائية التقريري-الإنجازي:** والتي تتجلى عند العرب في ثنائية الخبر والإنشاء
- **الأفعال الكلامية المباشرة:** تعرف عند العرب بـ"الأساليب"
- **الأفعال الكلامية غير المباشرة:** والمتمثلة عند العرب في الأغراض

(1) Ahmed Elmoutawakel, Réflexion sur théorie de la signification dans la pensé linguistique arab, faculté de lettre et sciences humaine de Ribat, these et mémoire, n : 08, 1982, p162.

ويشير إلى أن الأغراض تستخرج من الأساليب التي هي الأصول والأغراض فروع لها.[1]

ففي القسم الثاني (الأفعال الكلامية المباشرة): يعرف "أحمد المتوكل" هذا النوع من الأفعال بقوله: «نسمي الأفعال الكلامية المباشرة تلك الدلالاتالمرتبطة بالأقوال، والتي يعبر عنها شكل القول نفسه، مثل الإخبار، الاستفهام، الأمر، النداء، وهذه الأفعال تشكل القوة الإنجازية Forte illocitionnaire المرتبطة بتلك الأقوال، وتلعب هذه القوة دورا في تحديد نوع الفعل، وهي تعرف –حسب السكاكي– عن طريق العلامات الشكلية التي تظهر جليا في نموذج يحلله المتوكل: هل جاء محمد؟

المورفيمات الخاصة: مثل أدوات الاستفهام: هل، الهمزة،.... وتظهر في النموذج "هل" للسؤال، حيث لكل قول مورفيمات خاصة تحدد نوعه.

العلاقات التنغيمية: حيث يكمن الحيز التنغيمي في النموذج: في تنغيم السؤال "الاستفهام"، ويحلل "المتوكل" النموذج نفسه تحليلا دلاليا بحيث يعطيه المعاني التالية:

- **محتوى إسنادي:** الذي يحوي إجمالا قيمة المعاني المرتبطة بكل وحدة معجمية، والتي تمثل ما ينتج عن العلاقات النحوية، أي ما يعرف عند علماء العربية بـ"**المعنى الأصلي**"
- **القوة الإنشائية:** والتي تتمثل في:
  - **مورفيم استفهامي:** الأداة "هل"
  - **حيز تنغيمي:** يشمل كل الأقوال الاستفهامية.

هذه القوة الإنشائية تعرف عند علماء العربية بـ "الأسلوب".

ليلاحظ أحمد المتوكل أن هناك اتجاهين في دراسة الأفعال الكلامية المباشرة:

---

(1) Ahmed Elmoutawakel, Réflexion sur théorie de la signification dans la pensé linguistique arab,, p162.

- الاتجاه النحوي الشكلي

-الاتجاه التداولي[1]

ليخلص في الاخير إلى أن دراسة الأفعال الكلامية بمقتضى شروطها مهيئة لكي يتحقق الفعل بنجاح، وهذا بمراعاة القوة الإلزامية المفروضة، ومن هذا المنطلق يأتي إلا تحديد نوعين من الافعال:

أ- **أفعال كلامية شديدة الإلزام:** (تحيل إلى المؤسسات، الأفعال الدينية، الأقوال العدلية، البيع، الشراء...) تفرض شروطا دقيقة في تنفيذها والتي تدخل ضمن أفعال الممارسة (كما يسميها أوستن).

ب- **أفعال كلامية ضعيفة الإلزام:** هي الأفعال التي تخضع لشروط أقل إلزاما، حيث تقتضي تهيئة بعض الشروط لإنجازها، وهي تمثل الجزء الأكبر من الأفعال اليومية كالإخبار، والاستفهام، النهي،... .[2]

ويشير "أحمد المتوكل" إلى تلك القواعد المهمة التي تضمن نجاح الفعل، وتضبطه كي لا يكون هناك أي فشل في تحقيق أو تحول الفعل المطلوب بإنجازه إلى فعل آخر، وتتمثل تلك القواعد في:

- **قواعد لسانية:** وهي التي تساهم في عرض القول كخطاب يحتوي على قواعد معجمية وتركيبية، بحيث لكل عنصر في الخطاب وحدة معجمية دالة، ويتدخل التركيب في ضمن هذه الوحدات بطريقة منسقة لتعيين الدلالات، كأن يكون الفعل تاما، بتوفر جل شروطه التي تساهم في حصول الفائدة والإفادة إثر سماعه.

- **قواعد تداولية:** قواعد لها علاقة بوضعية المتخاطبين وتتمثل في:

---

(1) Ahmed Elmoutawakel, Reflexion sur théiorie de la signification dans la linguistique arab, p174

(2) Ahmed Elmoutawakel, Reflexion sur théiorie dans la linguistique arab, p176

- توفر شرط الاستعلاء لتحقق فعل الأمر: (على الآمر ان يكون في مرتبة أعلى من مرتبة المأمور)
- توفر شرط القدرة والإرادة: قدرة المستمع وإرادته على إنجاز الفعل.
- توفر شرط القصد أو الوعي [1]

7 –دراسة العرب للأفعال الكلامية غير المباشرة:

لقد تفطن **السكاكي** إلى هذه الظاهرة، وحاول تقعيدها عن طريق فهم الآليات التي تتحكم في تحقيق الفعل الكلامي غير المباشر، لذلك نرى "**أحمد المتوكل**" يثني على جهود الرجل يقول: «وتمتاز اقتراحات السكاكي في مفتاحه عن باقي ما ورد في وصف الظاهرة، بأن تجاوزت الملاحظة الصرف، وتحمل أهم بذور التحليل الملائم للظاهرة، أي التحليل الذي يضبط علاقة "المعنى الصريح" بالمعنى "المستلزم مقاميا"، ويصف آلية الانتقال من الأول إلى الثاني بوضع قواعد استلزامية واضحة، هذا بالإضافة إلى ميزة أخرى وهي أن تقعيد السكاكي ... ورد مؤطرا داخل وصف لغوي شامل، يطمح لتناول جميع المستويات اللغوية: أصوات وصرف ونحو ومعاني....»[2]

إن ارتباط الأفعال الكلامية غير المباشرة هي الأخرى بـ"الخبر والإنشاء" جعلت كذلك "احمد المتوكل" يضيف لكل صنف منهما شروطا **مقامية** تتحكم في **إنجازه**، أي في إجرائه بمقتضى الحال، ويتفرع عن هذه الأنواع ونفسها أغراض تتولد في حال إجراء الكلام على خلاف ما يقتضي المقام، فبالنسبة للخبر، يمكن له إذا ما أجري الكلام، على غير أصله، أي على خلاف مقتضيات الحال أن يخرج عن قصده إلى أغراض مختلفة كالتلويح، التجهيل، وغيرها[3]، أما بالنسبة للطلب (الإنشاء)، فإن أنواعه أصلية تخرج إذا أنجزت في

---

(1) . Ahmed Elmoutawakel, Reflexion sur théiorie dans la linguistique arab, p176

(2) بلخير عمر، تحليل الخطاب المسرحي ، مرجع سابق، ص174.

(3) المرجع نفسه، ص175.

مقامات تتنافى وشروط إجرائها على الأصل إلى أغراض فرعية تناسب هذه المقامات كالإنكار والتوبيخ والرجز،....

8 –الأفعال الكلامية ومقاصدها التداولية:

يرتبط الفعل الكلامي **بالقصد** ارتباطا وثيقا، لذلك يعتبر من الشروط الأساسية والجوهرية لنجاحه، وتأويله يكون مشروطا بإدراك المخاطب لطابعه القصدي «فالأفعال اللغوية تعد مبحثا أساسيا لدراسة مقاصد المتكلم، ونواياه فالقصد يحدد الغرض من أي فعل لغوي ، كما يحدد الهدف المرسل إليه من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها، وهذا يساعد المتلقي على فهم ما أرسل إليه، ومن ثم يصبح القصد والنية مطلبا أساسيا وشرطا من شروط نجاح الفعل اللغوي الذي يجب أن يكون متحققا ودالا على معنى»(1)

ويكون **القصد** شديد الصلة بالفعل الكلامي وخصوصا بالقوة الإنجازية يقول **زتسيلاف ووزونياك:** «يرتبط الفعل الإنجازي بوصفه فعلا جزئيا لفعل كلامي معقد ارتباطا وثيقا بمقاصد المتكلم، ويحقق المتكلمون بمساعدة اللغة أشد قصودهم، وفي ذلك لا يمكن أن تحدد المقاصد وأن تحلل على نحو مباشر مثل الأفعال القولية وأفعال التحقق إلى حد ما.... إذ يتعلق المعنى في المقام الأول بالجانب الإنجازي للفعل الكلامي المتمم»(2)

ويتوقف القصد على الفعل الإنجازي للمتكلم، وليس على الفعل القولي أو الفعل التأثيري، وعليه فالمخاطب يحاول فهم القوة الإنجازية المقصودة من الفعل الكلامي الذي ينجزه المتكلم، يقول **أوستن Austin** في هذا الصدد: «وعلى ذلك فإن إنجاز قوة فعل

(1) نعمان، بوقرة، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، قراءة نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012م، ص94

(2) زتيسيسلاف وورزنياك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003، ص21.

الكلام يتضمن الوصول إضافة غلى سكون النفس واطمئنانها إلى حسن الفهم وتصور الغرض»[1]

لذلك فالمؤول يحاول الوصول إلى ما يتضمنه الفعل الإنجازي من معنى وقصد، بشرط أن يكون عارفا بالسياقات التواصلية، وهذا ما يراه "**فان دايك**" **Van dijk** إذ ربط الفعل الإنجازي **بمقاصد** المشاركين وبالسياقات التواصلي، ومدى تخريجه من قبل المؤول على الوجه الأنسب والصحيح، يقول: «عندما تكون في حال التكلم في بعض السياقات فنحن نقوم ايضا بإنجاز بعض الأفعال المجتمعية، وأغراضنا ومقاصدنا من هذه الأفعال... وتتغير صورة معرفة المخاطب أثناء التواصل تبعا **لأغراض** المتكلم تغييرا ملحوظا... فنحن عندما نعد أو ننصح، فإنما نريد أن يعلم المخاطب بأننا نقدم له وعدا ونسدي له نصحا، وهذا العلم او المعرفة هي ثمرة إخراج تأويل صحيح لقوة فعل الكلام»[2].

أي ان الأفعال الكلامية تنجز بفضل **الأغراض والمقاصد** التي ينويها المتكلم في العملية التواصلية، وفق سياقات محددة، فالمخاطب أثناء تأويل الفعل الكلامي تتغير صور معرفية تبعا لمقاصد المتكلم، فمثلا أثناء **الوعد** يجب على المخاطب أن يعرف بأن المتكلم يقدم له وعدا وليس شيئا آخر.

ويمكن التمييز بين **الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة** بتحديد ثلاثة فروق جوهرية

- أن **القوة الإنجازية** للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات، أما الأفعال الإنجازية غير الحرفية فتعود إلى المقام حيث لا تظهر قوتها الإنجازية إلا فيه
- أن القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يجوز أن تلغى، فإذا قال لك صاحبك: أتذهب معي إلى المكتبة؟ فقد تلغى القوة الإنجازية غير المباشرة وهي الطلب ليقتصر الفعل على قوته الإنجازية المباشرة وهي **الاستفهام**

---

[1] جون اوستن، نظرية أفعال الكلام العامة، ص147.

[2] فان دايك، النص والسياق، ص292.

❖ أن القوة الإنجازية لا يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية، تتفاوت من حيث البساطة والتعقيد، أما القوة الإنجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسه.[1]

ويضع **مانغونو Maingueneau** شروطا للتعامل مع **المضمرات القصدية " Sous entendus intentionnels"** هي:

- الكفاءة اللغوية القائمة على معرفة الافتراضات المسبقة **Présupposée**
- معرفة قوانين الخطاب
- المعرفة الموسوعية [2]

وذلك لارتباط القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة **بقصد المتكلم** من جهة وبخصوصية المقام الذي ترد فيه من جهة اخرى.

ويرتبط استعمال الأفعال الكلامية بغرض **توجيه orientation** المتلقي للفعل، من خلال اتباع المتكلم **للاستراتيجية التوجيهية** التي يولي فيها المتكلم العناية لبليغ قصده، وتحقيق هدفه الخطابي، إتاحة الفرصة له لفرض قيد ولو بسيط على المتلقي، وهي بهذا تعد ضغطا وتدخلا–ولو بدرجات متفاوتة– على المتلقي، وتوجيهه لفعل مستقبلي معين.[3]

من خلال تطبيق "**السلطة بالخطاب**" عليه، عند امتلاكه لتسيير الخطاب، بأن المتكلم التي يجب أن تكون في مرتبة أعلى من المتلقي، لأن كون طرفي العملية التواصلية في مرتبة واحدة لا يستدعي استعمال الاستراتيجية التوجيهية، ولا يعد التوجيه فعلا لغويا فحسب، بل يعد وظيفة من وظائف اللغة سماها **رومان جاكبسون Roman Jackobson بالوظيفة الندائية.**

9 –الفعل الكلامي وقصدية التواصل:

---

[1] أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص83.

[2] Dominique Mainguneau, Pragmatique pour le discours littérature, bordas, paris, p 102

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 322.

يرتبط الفعل الكلامي بالجانب التواصلي، وهذا يعني أن الأفعال الكلامية أفعال **تواصلية** فبحسب **ستراوسن Strawson** «الأفعال المتضمنة في القول التي يتحدث عنها **أوستن Austin** في نظريته أفعال الكلام ليست شيئا آخر غير أفعال تواصلية بالمعنى الذي يحيلنا عليه **غرايس**»[1]

وعليه فالمخاطب يحاول إدراك **مقاصد** الفعل الكلامي الذي تلفظ به المتكلم في العملية التواصلية، يقول سيرل: «وهكذا فقصد الاتصال هو القصد الذي يتعرف فيه المستمع إلى **معناي**»[2]

فالفعل الإنجازي يخضع لمقصد معين، يتم في الحلقة التواصلية بين المتخاطبين «عندما يحصل التأويل لدى المتلقي، فإن ذلك يعني أن الفعل التمريري لمنطوق المتكلم يجب أن يخضع لمقصد ما يتم به المعنى في حلقة الاتصال بين المتكلم والمتلقي»[3]

فالمتكلم يقصد التواصل، من خلال فعله الإنجازي، مع مخاطب معين، ولكن هل المخاطب يفهم القصد الأولي للجملة فقط، أي نطقه للجملة، أم أن هناك مقاصد أخرى يفهمها؟

سوف نوضح بمثال لـ "سيرل"، فمثلا متكلما **ألمانيا** يقول **(es regent)** "إنها تمطر، وهو يعنيها، فيكون **أدى فعلا**، الأول أنه قصد أن ينطق بالجملة، وهو شرط لتحقيق هذا الجزء من المنطوق، والثاني لم يقصد نطق الجملة فقط، بل كان يعنيها أيضا، أي أنها تمطر، ولا يتحقق هذا المنطوق إلا إذا أمطرت فعلا، فهو يحق شروط تحقيق على شروط تحقيق ، بمعنى تحقق القصد الأول والثاني.[4]

فإذا كان قصد اتصال بمستمع ما «فيجب أن يكون لديه طرف ثالث لقصده في أداء الفعل الكلامي ، وهو القصد المتمثل في ان المستمع يجب ان يفهم مما يقوله أنها تمطر،

(1) فرانسواز ديكانتي، فسلفة اللغة والذهن، ترجمة الحسين الزاوي، دار ابن النديم، الجزائر، ط1، 2016، ص85.
(2) عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص 71
(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 322.
(4) جون سيرل، اللغة والعقل والمجتمع، ص208، -209.

غير أن هذا القصد الثالث، القصد الاتصالي، يجب أن يكون قصدا يتعرف عليه المستمع في قصديه الأوليين، وشروط اشباع الاتصال هي أن المستمع يجب أن يعرف بانه نطق بالجملة قصديا».[1]

وعلى هذا تتأسس عند سيرل فكرة "**القصد المزدوج**" الذي يحمله الملفوظ بوصفه فعلا إنجازيا أي أن "سيرل" «يؤسس صيغته لنظرية الأعمال اللغوية على مقولة تعتبر أن لقائل جملة ما مقصدا مزدوجا، يتمثل في إبلاغ محتوى جملة والإعلام بهذا المقصد الأول بموجب قواعد تواضعية تتحكم في تأويل هذه الجملة في اللغة المشتركة»[2]

فلا تكون المقاصد الأولية مفهومة بناء على معنى الجملة الحرفي، وهذا ما يجعل المخاطب يقوم بعملية التأويل، فلا يكون القصد الحرفي أو الثانوي إلا وسيلة للتعرف على القصد الحقيقي أو الأولي.

وعليه فالمقاصد التواصلية أنواع: [3]

أولي: يتجلى في المعتقدات والرغبات التي تكون لدى المتكلم.

ثانوي: يكون فيما يعرفه المتلقي مقاصد المتكلم.

ثلاثي: ينعكس في هدف المتكلم الذي يريد أن يجعل المتلقي يعرف بانه يريد منه جوابا ملائما.

فدلالة الألفاظ والعبارات لا يمكن أن تفهم إلى بالرجوع إلى القصد **التواصلي، ومقام** التواصل بين المتكلمين، فالجانب التواصلي يكون رهين القصدية وقد ثبت أن الخطابات التي تعرض للتواصل عموما، يكون المقصود من إيرادها قصدا تواصليا. وهذا ما يولد تفاعلا بين القاصد والمؤول في العملية التواصلية، وبذلك يستطيع المتكلم أن يوصل مقصده إلى المخاطب.

---

[1] جون سيرل، اللغة والعقل والمجتمع، ص209

[2] آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، ص 54.

[3] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1986، ص164.

فنظرية القصد في بعدها التداولي والتواصلي تعتمد على نوعين:

القصد الإخباري: وهو «ما يقصد إليه المتكلم من حمل لمخاطبه على معرفة معينة، هذه المعرفة التي ليست سوى ما أراد المتكلم من الكلام، فكل كلام يحمل في الغالب خبرا مضمونا، وهذا الخبر سواء توحد أو تعدد، إنما يأتي ليبين عن موقف خاص من قضية، فيكون بذلك مفيدا لأمر قد يعرفه المخاطب تذكيرا وتنبيها، أو يجهله، فيكون تعريفا له وتبصيرا»[1]

وهو وجوب حمل المخاطب فائدة معينة، يقول الجاحظ: «لا خير في كلام لا يدل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك، وإلى العمود الذي إليه قصدت والغرض الذي إليه نزعت».[2]

2- القصد التواصلي: وهو «ما يقصد إليه القائل من حمل لمخاطبه على معرفة قصده الإخباري،... ولا يتوقف نجاح التواصل على التلقي الجيد للكلام فحسب، بل عليه (أي على المتلقي) أن يدرك القصد التواصلي للمرسل، وأن يتفاعل معه فعليا وإدراكيا بشكل سليم»[3]

أما إمكان الخروج عن الدلالة الظاهرة «فإذا كان التعويل على القصد، جاز أن يتفاوت مقصود القول مع مضمونه، فلا يتسارع إلى فهم المخاطب، فيحتاج المخاطب إلى الدخول في العمل وتحمل مسؤولية المراد من القول كما تحمله المتكلم في تفقده لقصده، نظرا لأن المتكلم يكون قد بلغه إليه بطريق التلميح، لا بطريق التصريح، فيكون المخاطب بتعقبه بمعونة القرائن المقالية والمقامية التي تتعلق بهذا القول».[4]

فقاعدة القصد تأخذ بالعمل بالجانب التهذيبي، سواء من جهة المتكلم، او من جهة المخاطب.

10 - الملاءمة بين الحالات القصدية والأفعال الكلامية:

---

[1] إدريس مقبول، في تداوليات القصد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، مج 28، 2014، ص1210.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، 116/1.

[3] إدريس مقبول، في تداوليات القصد، ص 1212.

[4] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص251.

تعتبر الحالات القصدية حالات وثيقة الصلة بنظرية الأفعال الكلامية –حسب سيرل– على اعتبارها مشتقة من القصدية الأصلية، لذلك يرى "سيرل" «في أننا عند تقديم فعل كلامي ذي مضمون لغوي، نعبر عن حالة قصدية معينة بهذا المضمون اللغوي (القضية)، وتعد هذه الحالة القصدية شرطا لقصدية هذا النمط من الفعل الكلامي»[1]

فالحالات القصدية حالات ذهنية تمثل الموضوعات في العالم والأفعال الكلامية تمثل الحالات، ويختلف طرق تمثيلها باختلاف الحالات، مع العلم أن هذه الأفعال مشتقة من القصدية الأصلية، فالمخاطب يؤول العبارة الملفوظة، ولا يؤول **الحالة القصدية**.

فعبارات مثل: **الأمر والطلب والوعد و...** لا تطابق العالم الخارجي، وإنما تغيره، فهي تؤدي إلى حدوث تغيرات في العالم لتجعله متطابقا مع المضمون اللغوي لفعل الكلام.[2]

والسؤال المطروح: كيف تتلاءم الحالات القصدية مع الأفعال الكلامية؟ سوف نركز على ما جاء به "سيرل" في الملاءمة بينهما

قسم سيرل الأفعال الكلامية إلى خمس زمر:

1- الأفعال الإخبارية أو التقريرية: Assertives Acts

إن الغرض من الإخباريات هو نقل المتكلم لواقعة ما من خلال قضية محددة يعبر بها عن هذه الواقعة، والغرض الإنجازي العام هو التقرير، واتجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف يكون من الكلمات إلى العالم Words to World، وشرط الإخلاص يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها، وبعبارة أخرى، فأفعال المجال تنقل أو تصف الواقع وصفا أمينا، فإذا تحققت الأمانة في الوصف تنجز إنجازا ناجحا، وبذلك تكون أفعال هذا المجال عرضة للتقييم المستمر في مدى صدقها أو كذبها، وذلك للتيقن من أمانة الوصف والنقل.

---

[1] جون سيرل، القصدية بحث في فلسفة العقل، ص30.

[2] المرجع نفسه، ص30.

ويدخل تحت "الإخباريات" كل الجمل الإخبارية سواء كانت منفية أو مثبتة أو مؤكدة، لذلك تراها تساق عادة لإفادة السامع أمرا يجهله وهو ما يسمى **فائدة الخبر**، وتثبيت ما يعرفه في نفسه وتذكيره به، يسمى لازم الفائدة.

كثيرا ما تختلف الإخباريات في درجة "قوتها الإنجازية" بحسب تجردها من علامات النفي والتوكيد أو عدمها، وذلك بحسب حال المخاطب(خالي الذهن، متردد، منكر،...) «وغرضها الإنجازي العام هو "التقرير"، وهذه الأفعال إنجازاتها تتم من خلال خطوتين:

الأولى: تتمثل في أن الإنجاز يتحقق من خلال نطق الكلام و أدائه لها.

الثانية: من خلال الإخبار او الوصف، باعتبار ان الوصف والإخبار غرضان إنجازيان، شانهما شأن أي غرض آخر كالرفض والقبول...» [1]

لكن هذا الإنجاز يظهر في **البنية السطحية** من خلال استخدام ألفاظ إنجازية يعينها مثل: «أقسم، أعد،.... أو من خلال كونها متضمنة في البنية **العميقة** للمنطوق لتدل بمعناها العام على إنجاز الإخبار أو الوصف...» [2]

وتكون الإخباريات أفعالا كلامية مباشرة من جرى استخدامها على أصل استعمالها، بحيث يكون الجانب الإنجازي الأبرز فيها هو التقرير، فمتى عبرت عن معاني مغايرة خرجت من صورتها المباشرة إلى أخرى غير مباشرة.

تزخر أشعار "البردوني" بمفارقات واضحة (متناقضات) تتجلى فيها معاني متعددة، من ذلك على سبيل المثال الهجوم اللاذع الذي شنه على أمة العرب نتيجة ضعفها أمام الأقوياء الغرب، وتخاذلها عن نصرة إخوانها المحتاجين، وقلبها الحقائق في سبيل إرضاء الأقوى.

---

[1] علي محمد الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2010، ص61.

[2] المرجع نفسه، ص61.

يقول على لسان هذه الأمة:

نحن أحفاد عنترة ... نحن أولاد حيدرة
كلنا نسل خالد ... والسيوف المشهرة
أمراء، وفوقنا ... عين "ريجن" مؤمرة
وسكاكيننا على ... أعين الشعب مخبرة
نحن للمعتدي يد ... وعلى الشعب مجزرة
في الملاهي لنا إمام ... في الحروب المؤخرة
نحن أجبن الورى ... عندما الحرب مسعرة
نحن أبطال يعرب ... عندما نلعب الكرة
ونمور على الظبا ... وعلى الصقر قبرة[1]

*

لنا بطون... ولديكم بنوك ... هذي المآسي نصبتكم ملوك
لكم ثراء، ولنا ثورة ... من أنت حتى تدعي، من أبوك
لنا شروط، ولكم شرطة ... تحط بالكرباج (حسن السلوك)
لنا نقاوات، لكم عكسها ... فأينا أولى بمنح الصكوك
ظنونكم عنا يقينية ... يقيننا عنكم كخوف الشكوك
لنا مناقير حمامية ... لكم مدى عطشى، وجبن سفوك[2]
سفوك[2]

ويقول البردوني في قصيدة «**من منفى إلى منفى**» من ديوان «**لعيني أم بلقيس**»

---

(1) عبد الله البردوني، ديوان ترجمة رملية لأعراس الغبار، قصيدة «من خماسيات يعرب الغازاني»، مصدر سابق، ص200.

(2) المصدر نفسه ، قصيدة «ديوك وبنوك»، ص132 -133.

بـــــلادي فـــــي كهـــوف المـــوت لا تفنـــــــــــى ولا تشــــــــــفى
ينقـــر فـــي القبـــور الخـــرس عنـــــــد ميلادهـــــــا الأصــــــــفى
وعـــــن وعـــــــد ربيعــــــــي" وراء عيونهـــــــــا أغفـــــــــــى
عـــــن الحلـــــم الـــــذي يـــأتي عـــــن الطيـــف الـــذي اســـتخفى
بـــــلادي فـــــي ديــــار الغيـــــر أو فـــــــي دارهـــــــا لهفـــــــي
وحتــــــــى فــــــي أراضــــــيها تقاســــــــي غربــــــة المنفــــــى(1)
*****

يرى (البقع)* فيها وجهه سرب أنجم وينسى (المخا)* في ضوئها أنه المخا
وتغصني لها (صنعا) كإشفاق طبع تلقـــى خطابـــا مـــن أبيـــه موبخـــا
ويحســـبها (هـــران) * ليلـــة قـــدرة و (ميدي)* يغني تلك جاءت لأشمخا(2)

مقصدية الأفعال الكلامية في شعر عبد الله البردوني:

الرقم	الملفوظ	نوع الفعل الكلامي	المقصدية
1	نحـــن أحفـــاد عنتـــرة نحـــن أولاد حيـــدرة كلنـــا نســـل خـــالد والسيـــوف المشـــهرة أمـــراء، وفوقنـــا عـــين "ريجـــن" مـــؤمرة وسكاكيننـــا علـــى أعـــين الشـــعب مخبـــرة نحن للمعتدي يد وعلى الشعب مجزرة	الإخباريات	الإخبار عن واقع مضى (الافتخار)
2	نحـــن أجبـــن الـــورى عنـــدما الحـــرب مســـعرة نحـــن أبطـــال يعـــرب عنـــدما نلعـــب الكـــرة ونمور على الظبا وعلى الصقر قبرة	الإخباريات	الضعف والاستنكار

(1) عبد الله البردوني، ديوان لعيني ام بلقيس، قصيدة «من منفى إلى منفى»، ص179.
(2) عبد الله البردوني، ديوان لعيني ام بلقي،، قصيدة «الديار الوافدة إليها»، ص125.
(*) أماكن في اليمن: **البقع:** منطقة في شمال اليمن.
المخا: ميناء على البحر الأحمر
هران: جبل بضاحية ذمار بالمناطق الوسطى لليمن
ميدي: بلدة على شاطئ البحر الأحمر.

3	لنا بطون... ولديكم بنوك هذي المآسي نصبتكم ملوك لكم ثراء، ولنا ثورة من أنت حتى تدعي، من أبوك لنا شروط، ولكم شرطة تحط بالكرباج (حسن السلوك) ظنونكم عنا يقينية يقيننا عنكم كخوف الشكوك	الإخباريات	الغضب والسخط
4	بلادي في كهوف الموت لا تفنى ولا تشفى ينقر في القبور الخرس عند ميلادها الأصفى وعـــن وعـــد ربيعـــي" وراء عيونهـــا أغفـــى عن الحلم الذي يأتي عن الطيف الذي استخفى	الإخباريات + التعبيريات	الغربة الظلم والاستعباد
	يرى (البقع) فيها وجهه سرب أنجم وينسى (المخا) في ضوئها أنه المخا وتغصني لها (صنعا) كإشفاق طبع تلقـــى خطابـــا مـــن أبيـــه موبخـــا ويحسبها (هران) ليلة قدرة و (ميدي) يغني تلك جاءت لأشمخا	الإخباريات	الإعلام والوصف

تحليل مقصدية الأفعال الكلامية في شعر عبد الله البردوني:

إن الأفعال الكلامية من أهم المرتكزات في التحليل التداولي، وتعرف بأنها أصغر وحدة "فعلا" عن طريق الكلام بإصدار أمر أو وعد... والذي من شأنه إحداث تغيير في موقع المتكلمين، بحيث يتوقف فك شفرته على إدراك المتلقي للطابع القصدي لفعل المتكلم، وهذا يعني أنه بمجرد النطق بأفعال الكلام تتحول هذه الأفعال إلى إنجاز للفعل:

مقصدية الملفوظ 01:

أنجز الشاعر فعل **الإخبار** عن طريق مجموعة من **المقاصد** أهمها:

القصد الإخباري: وهو «ما يقصد إليه المتكلم من حمل لمخاطبه على معرفة معينة، هذه المعرفة التي ليست سوى ما اراد المتكلم من الكلام، فكل كلام يحمل في الغالب خبرا مضمونا، وهو الخبر سواء توحد أو تعدد، إنما يأتي ليبين عمن كموقف خاص من قضية، فبكون بذلك مفيدا لأمر قد يعرفه المخاطب تذكيرا وتنبيها، أو يجهله فيكون تعريفا له وتبصيرا»[(1)]

وقد قصد الشاعر في هذا الملفوظ أن أبناء أمته هم أبناء الريادة والسبق في ميدان الفروسية والجهاد، والقوة والشجاعة، نعم نحن أحفاد وأولاد ونسل ذلك التاريخ العريق كله، فنلاحظ أن بداية الخطاب **الإخباري،** قد أتت قوية حادة، وكأنها تنبئ عن قوم أحرار، وأولي بأس شديد.

وقد نتج عن هذه المقاصد الإخبارية **القصد التداولي** وهو ما حمله الشاعر (المتكلم) للمتلقي من معرفة مقاصده الإخبارية ليحصل التفاعل بين الطرفين.

وفي الملفوظ 2: خرج الملفوظ الإخباري من قصد **الإخبار الصريح** إلى **قصد الإخبار الضمني،** فباعد القصد الأول الذي كان تحفيزا متزايدا نحو القوة والفخر والإيجابية، يفاجأ **المتلقي** بهوة سحيقة من السلبية والضعف، ومقارنة الماضي بالحاضر (التناقضات)، وبذلك خرج قول الشاعر من **الإخبار** إلى **الإستنكار،** وقد وظف في هذا الملفوظ **الضمير** "**نحن**" الذي تكرر مرتين نحن أجبن الورى، نحن أبطال العرب»، حيث استعان الشاعر هنا **بالقصدية الجمعية،** بمعنى ان هناك أشخاصا يشاركونه الحالة نفسها ولكن كل شخص له قصد فردي استمده من قصد الجماعة، وهذه المقاصد الفردية تجتمع لتشكل قصدا جمعيا موحدا، وعلى هذا استخدم الضمير "**نحن**"، وهو من العناصر الإشارية **الشخصية** الدالة على المتكلم أو المخاطب أو الغائب.

مقصدية الملفوظ 03:

---

(1) إدريس مقبول، في تداوليات القصد، ص1212.

يستمر الشاعر في هذا الملفوظ الإنجازي في هجومه الذي صبه هذه المرة على أرباب الأموال الذين يكنزون الثروات ويتمتعون بالخيرات، بلا مساعدة لعامة الشعب الذين يقفون ذاهلين أمامهم، فكان **المقصد الإخباري** من هذا الملفوظ هو الغضب والسخط والاستياء، والتنديد بهذه الفئة، وقد خرج الملفوظ الإخباري من الإخبار إلى **التوجيه (الأمر)** عن طريق **الاستفهام** الذي يرمي الشاعر من خلاله إلى ملء الفراغات، علّه يجد إجابات، فظهر **القصد التواصلي** في ثنائيات ضدية، تغرق الأولى في عيشة الأمراء والملوك، وتعاني الأخرى الضغوط الظالمة والمستبدة، وقد عبّر عن ذلك التلاعب بالألفاظ المعتمد على **الطباق والجناس** اللفظين المعنويين في إيصال المعنى المطلوب.

بنوك	**ملوك**	**جناس**	**لنا**	**لكم**	**طباق**
ثراء	**ثورة**		**ظن**	**يقين**	

مقصدية الملفوظ 04:

المقاصد الإخبارية في شعر البردوني تكاد تكون متقاربة، ففي هذا الملفوظ الإنجازي يحاول الشاعر أن يقرب أو يشرك **المتلقي** في الحالة التي وصل إليها من ألم يعتريه، جراء ما تمر به بلاده من محن تشدها إلى الخلف وهي تحاول جاهدة التخلص من القيود.

في هذا الملفوظ يجمع الشاعر بين **التعبيريات والإخباريات** اللذان يشتركان في **مقصد** واحد، وهو التعبير عن الحالة النفسية للشاعر بين مفارقات عدة (عدم الفناء، وعدم الشفاء)، (القبور الخرس، والميلاد الأصفى)، (الحلم الذي يأتي، الطيف الذي استخفى)، ويلخصها الشاعر في لفظة "**المنفى**" والتي جعلها عنوانا لقصيدته.

مقصدية الملفوظ 05:

يقوم الشاعر بتعريف لبعض الأمكنة في قصيدة "**الديار الوافدة إليه**" من ديوان "**جواب العصور**" ، ليكون المقصد الإخباري من هذا الملفوظ هو **الوصف** رغبة منه في خدمة متلقيه والتأثير فيهم، وتعريفهم بتاريخ اليمن وتراثه وجغرافيته.

من خلال تحلينا لبعض النماذج لمقاصد الأفعال الإخبارية وتأويلاتها نلاحظ ما يلي:

- يتم الفعل الإخباري عن طريق الفعل القولي النحوي والصوتي والدلالي محترما القواعد اللغوية كسلامة الألفاظ، والتراكيب.
- الملاءمة بين الفعل الإخباري والعالم الخارجي، فشرط الملاءمة فيه تنطلق من الكلمات إلى العالم، لأن الشاعر هو المسؤول عن نقل الخبر.
- تضمنت الإخباريات أفعال الإيضاح وأفعال الأحكام الصادرة من الشاعر
- خروج الأفعال الإخبارية من قوة الإخبار إلى قوى أخرى مستلزمة من السياق والمقام وقصد الشاعر.
- توفر شرط **الصدق** في **الإخباريات**، وهذا يرجع إلى مصداقية الشاعر عندما يتحدث على فكرة معينة.

توفره على العديد من المقاصد، وكانت المقاصد الإخبارية هي قطب الرحى التي دارت عليه الأفعال، بالإضافة إلى أخرى تضمنتها السياقات وأغراض الشاعر.

2- الأفعال الإلتزامية: Cmmissive acts

وتسمى أيضا **الوعديات**، حيث يلتزم فيها المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل «وغرضها الإنجازي هو "**الوعد**"، أي التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو **القصد**، ويدخل فيها الوعد والوصية»[1]، ومن مميزات أفعال الوعد والإلتزام، انها تدل على الحاضر والمستقبل.

3- الأفعال التعبيرية: Expressive acts

وتسمى أيضا **الإفصاحيات والبوحيات**، «وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي، تعبيرا يتوافر فيه شروط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يحاول ان يجعل الكلمات مطابقة للعالم، ولا العالم مطابقا للكلمات، ويدخل فيها الشكر

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50.

والتهنئة والاعتذار والمواساة»[1] فالتعبيرات تضم إفصاح المتكلم عن حالات قصدية أصلية، يستضمرها في عقله، لا يحكم غيره عليها إلا بالصدق.

يكثر في الخطاب الشعري لعبد الله البردوني استخدامه **للمفارقات (الثنائيات الضدية)**، وقد عدها سلاحا للهجوم **الساخر**، الذي يسلطه في كل مرة على فئة معينة من أبناء أمته.

يقول في قصيدة "**إلا أنا وبلادي**" من ديوان "**من أرض بلقيس**"

تسـلياتي كموجعـاتي، وزادي	**مثـل جـوعي، وهجعتـي كسـهادي**
وكؤوسـي مريـرة مثـل صـحوي	**واجتمـاعي بـإخوتي كـانفرادي**
والصـداقات كالعـداوات تـؤذي	**فسـواء مـن تصـطفي أو تعـادي**
إن داري كغربتـي فـي المنـافي	**واحتراقـي كـذكريات رمـادي**
وحـدي... نعـم كـالبحر وحـدي	**منـي ولـي، جـزري ومـدي**
وحـدي وآلاف الربـا	**فـوقي... وكـل الـدهر عنـدي**
ستصـير يـا هـذا الـذي	**أدعـوه قبـري الآن مهـدي**[2]

ويقول في قصيدة " **حين يشقى الناس**" من ديوان "**من أرض بلقيس**"

حين يشقى النـاس أشقى معهم	**وأنـا أشـقى كمـا يشـقون وحـدي**
وأنـا أخلـو بنفسـي والـورى	**كلهـم عنـدي ومـالي أي عنـدي**
لـولا لـي فـي الـدنا مثـوى ولا	**مسـعد إلا دجـى الليـل وسـهدي**
لـم أسـر مـن غربـة إلا إلـى	**غربـة أنكـى وتعـذيب أشـد**
متعـب أمشـي وركبـي قـدمي	**والأسـى زادي وحمـى البرد بـردي**[3]

ويقول في قصيدة " **هو... هي**" من ديوان "**من أرض بلقيس**"

---

[1] المرجع نفسه، ص50.

[2] عبد الله البردوني، ديوان من أرض بلقيس، قصيدة "إلا انا وبلادي"، ص186.

[3] المصدر نفسه ، قصيدة حين "يشقى الناس"، ص114.

لاقيتهـا وهـي تهـواني وأهواهـا ... فمـا أحلـى تلاقينـا وأحلاهـا
ومـا ألـذ تـدانيها وأجملهـا ... ومـا أخـف تصـابيها وأصـباها
فهـي الربيـع المغنـي وهـي بهجتـه ... وهـي الحيـاة ومعنـى الحـب معناهـا
غازلتهـا: فتعاضـت لحظـة ودنـت ... وعنونـت بابتسـامات الرضـا فاهـا[1]

وفي قصيدة "**رحلة التيه**" يقول:

هدني السجن وادمى القيد ساقي ... فتعايبـت بجرحـي ووثـاقي
وأضعت الخطو في شوك الدجى ... والعمـى والقيـد والجـرح رفـاقي
ومللـت الجـرح حتـى... ملنـي ... جرحـي الـدامي ومكثـي وانطلاقـي
فلنـا شـعب فمـن ينكرنـي؟ ... وهو في دمعي وسهدي واشتياقي[2]
واشـتياقي[2]

وفي قصيدة "**غير ما في القلوب**" من ديوان "كائنات الشوق الآخر يقول البردوني:

أقـول مـاذا يـا ضـحى يـا غـروب؟ ... في القلب شوق غير ما في القلوب
في القلب غير البغض غير الهوى ... فكيـف أحكـي يـا ضـجيج الـدروب
أقـول مـاذا يـا نسـيم الصـبا؟ ... أقـول مـاذا يـا ريـاح الجنـوب؟
الحـرف يحسـر فيـأه فـي فمـي ... والصمت أقسى من حساب الذنوب
فعلمينـي الحـرف يـا كمريـا.. ... او علمينـي يـا ريـاح الهبـوب
أو حـاولي يـا سـحب أن تطفئـي ... قلبـي عسـى عـن قلبـه أن يتـوب[3]

وفي ديوان "**زمان بلا نوعية**" يقول البردوني في قصيدة "**وجه الوجوه ... المقلوبة**":

---

[1] عبد الله البردوني، ديوان من أرض بلقيس، قصيدة حين "هو ... هي"، ص24.
[2] عبد الله البردوني، ديوان في طريق الفجر، قصيدة حين "رحلة التيه"، ص420.
[3] البردوني، كائنات الشوق الآخر، ص230.

مــاذا؟ مــا اسـمي؟ أهنــا داري؟ أم ســــجني وأنـــــا ســـــجاني؟
لــــم لا أختـــار (مقاييســـــي)؟ وارى مزنـــــي مــــن ميزانــــــي؟
أو لـــــيس لــــي عينـــان، أرى -كالنــــاس- ورأس ويـــــدان؟
أأنـــا نفســـي، وســـوى نفســـي؟ أبــــدو غيريــــا، وأنــــاني
مــــاذا عــــن ســـاقي يحملنـــي؟ مــــن عنــــي يســـكن جثمــــاني؟
يـــا قلبـــي فـــتش عـــن قلبـــي عـــن نـــار كانـــت أشـــجاني[(1)]

مقصدية الأفعال الكلامية في شعر عبد الله البردوني:

الرقم	الملفوظ	نوع الفعل الكلامي	المقصدية
1	تسـلياتي كموجعــاتي، وزادي مثــل جــوعي، وهجعتــي كســهادي وكؤوســي مريــرة مثــل صــحوي واجتمــاعي بــإخوتي كــانفرادي والصــداقات كالعــداوات تــؤذي فســواء مــن تصــطفي أو تعــادي وحــدي... نعــم كــالبحر وحــدي منـــي ولــي، جــزري ومــدي وحدي وآلاف الربـا فوقي... وكل الدهر عندي	التعبيريات	الحزن والحسرة والأسى
	ستصير يا هذا الذي أدعوه قبري الآن مهدي	الوعديات	
2	حين يشقى الناس أشقى معهم وأنا أشقى كما يشقون وحدي وأنا أخلو بنفسي والورى كلهم عندي ومالي أي عندي لولا لي في الدنا مثوى ولا مسعد إلا دجى الليل وسهدي لم أسر من غربة إلا إلى غربة أنكى وتعذيب أشد	التعبيريات	الوحدة واليأس
3	لاقيتهــا وهــي تهــواني وأهواهــا فمــا أحلــى تلاقينــا وأحلاهــا ومــا ألــذ تدانيهــا وأجملهــا ومــا أخــف تصــابيها وأصــباها فهي الربيع المغني وهي بهجته وهي الحياة ومعنى الحب معناها	التعبيريات	الرضا والحب

(1) البردوني، زمان بلا نوعية، ص111.

4	هدني السجن وادمى القيد ساقي فتعايبت بجرحي ووثاقي وأضعت الخطو في شوك الدجى والعمى والقيد والجرح رفاقي ومللت الجرح حتى... ملني جرحي الدامي ومكثي وانطلاقي	التعبيريات	الحزن والألم
5	أقول ماذا يا ضحى يا غروب في القلب شوق غير ما في القلوب في القلب غير البغض غير الهوى فكيف أحكي يا ضجيج الدروب أقول ماذا يا نسيم الصبا أقول ماذا يا رياح الجنوب الحرف يحسر فيأه في فمي والصمت أقسى من حساب الذنوب	التوجيهات و التعبيريات	الحيرة والضياع
6	ماذا؟ ما اسمي؟ أهنا داري أم سجني وأنا سجاني لم لا أختار (مقاييسي) وأرى مزني من ميزاني أو ليس لي عينان، أرى –كالناس– ورأس ويدان؟ أأنا نفسي، وسوى نفسي أبدو غيريا، وأناني	التوجيهات و التعبيريات	الحسرة والحيرة

تحليل مقصدية الافعال الكلامية الواردة في شعر البردوني:

مقصدية الملفوظ 1، 2:

الناظر في مجمل قصائد ودواوين البردوني، يجد أنها تحمل **مضمرات إنجازية** تدخل في باب **السلوكيات** أو **التعبيريات** وهي «التي تبين ما يشعر به المتكلم، فهي تعبر عن

حالات نفسية، ويمكن لها أن تتخذ شكل جمل تعبر عن سرور أو ألم أو فرح أو حزن، أو عما هو محبوب او ممقوت»[1]

- **الفعل الإنجازي المباشر للملفوظ:** يتجسد في المعاني المباشرة التي أدتها العبارة اللغوية، حكمتها معطيات لسانية (صوتية، تركيبية، دلالية...) والتي تسير في مجملها إلى تأويلات مباشرة، ادلى من خلالها الشاعر عن مفارقات تساوي بين الأضداد رغم اختلافها، إذ أصبحت التسليات رديفا للمواجع، وأضحى الشبع مساويا للجوع، وبات النوم معادلا للسهاد، وعلى هذا المنوال تساوى السكر بالصحو، والصداقة بالعداوة، والاستقرار في الوطن بالغربة عنه.

-**المضمر الإنجازي:** فالتوكيد الإضماري لهذا الملفوظ يرتكز في أساسه على السياق المقامي من جهة، والتأويل غير المباشر من جهة ثانية، لأن «تأويل الأقوال يمكن ان ينظر إليه على أنه تطبق على اللغة كفاءة أكثر عمومية لتأويل الأفعال المنجزة، فتاويل فعل وإعطاؤه معنى، هو شرح لسلوك الفاعل من خلال الإشارة إلى الحالات الذهنية المنسوبة إليه، والتي نجد في مقدمتها مقاصد تفسر سلوكه»[2] وقد عبر الشاعر من خلال **الملفوظ الإنجازي التعبيري** عن حالة نفسية صادقة، وهي «تعبير يتوافر فيه شرط الإخلاص»[3]

فالحالة القصدية الموجهة هي الحزن والوحدة والأسى، فهناك تطابقا بين الحالة الشعورية والواقع، وبذلك فهو يعبر بكل صدق وإخلاص عن هذه الفاجعة التي ألمت به.

نرى أن الشاعر في هذا الملفوظ أنتج فعلين لغويين: فعل لغوي مباشر جسده عن طريق **الإخبار**، وفعل لغوي غير مباشر جسده ذلك "التعبير" الصادق عن الحالة النفسية التي يعانيها الشاعر وما يكابد فيها من الآلام والذكريات الكئيبة.

---

(1) جورج يول، التداولية، ص112.

(2) فرانسواز ريكانتا، فلسفة اللغة والذهن، ترجمة حسين الزاوي، دار ابن النديم، الجزائر، لبنان، ط1، 2016، ص60.

(3) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص83.

مقصدية الملفوظ 3:

لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد البردوني، ولا ديوان من دواوينه من التعبير عن الحالات النفسية والمآسي التي مر بها، وفي هذا الملفوظ، عبر الشاعر عن منجز صريح تصمنته الصيغة (**الحب**) وبأفعال متنوعة (تهواني، أهواها..) والتي دلت على الفرح، واستذكار اللحظات الماضية التي جمعته بحبيبته، وهي حالة شعورية مثلها الشاعر في فكره، ليخرج بها إلى الملاحظ والموجود، غير أن هذا الملفوظ يعكس بحواره قلق الشاعر، وهروبه من الحقيقة التي يواجهها.

مقصدية الملفوظ 4:

وفي قصيدة "**رحلة التيه**" التي تحمل بحد ذاتها مقصدية معاناة الشاعر وهو يعاني السجن الحقيقي بعد اعتقاله، فضلا على السجن النفسي، فكان بذلك **المضمر الإنجازي التعبيري** و**الحالة القصدية** لهذا الملفوظ هي الحالة النفسية والاضطراب الداخلي للشاعر، فالشاعر عندما يتكلم عن المه وحزنه يحس بنوع من الراحة، لذلك يستخدمك **البحور الطويلة**، التي يجد فيها مجالا رحبا للتعبير عن التجارب الذاتية العميقة، فضلا عن استخدام **الإشاريات الشخصية** (الألف والياء) وهي مطلقة ويجد فيها ما يلائم الوضع النفسي له (الدجى، العمى، رفاقي....)

مقصدية الملفوظ 05:

عبر الشاعر في هذا الملفوظ عن شعوره بالوحدة الذي يخنقه، ويجعله يتجه للآخر (المتلقي) لمشاركته هذه العزلة، وذلك باستخدام **الفعل الإنجازي** (**أقول**) الذي تكرر عدة مرات، فخرج بذلك الملفوظ من باب **التوجيه** عن طريق **النداء الاستفهامي** أو **الاستفهام** الندائي «أقول ماذا يا ضحى يا غروب، أقول ماذا... » إلى التعبير عن حالة شعورية وهي ازمة الكلمة التي ضاعت من بين يديه، لتكون بذلك **المقصدية** هي **الحيرة والحسرة وضياع الذات** في عوامل السؤال والنداء واستنجادها بالآخر.

مقصدية الملفوظ 06:

في هذا الملفوظ نلحظ من هذه التساؤلات الحيرى مدى التتابع المتسارع الذي أتت عليه دونم انتظار لجواب، إذ يأتي التساؤل تلوى التساؤل والحيرة خلف الحيرة، والضياع بعد الضياع، فقد خرج الملفوظ من باب **التوجيه (الاستفهام)** إلى **التعبير**، فقد مثل التساؤل التسارع والاضطراب النفسي الذي يتعالى شيئا فشيئا، دون ترتيب مسبق، فكان القصد الشعور النفسي والتعبير الفعلي عما يجيش في النفس، وهي حالة الإنسان الذي يعيش في زمان بلا نوعية وسط وجوه مقلوبة، وحقائق مغلوطة، فأصبح الخطأ صوابا، والكذب صدقا، والزيف حقيقة، والظلم عدلا...، وفي زحمة هذه المتناقضات يضيع المرء في متاهة التساؤلات التي تبعث الشك في حقيقة وجوده.

4 –الأفعال الإيقاعية: Declaratives Acts

وتسمى أيضا الأفعال الإعلانية، ويتمثل غرضها الإنجازي في« الأداء الناجح لها في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، فإذا ادت فعل إعلان الحرب أداء ناجحا، فالحرب معلنة، وأهم ما يميز هذا الصنف من الأفعال عن الأصناف الأخرى، إنها تحدث تغييرا في الوضع القائم، فضلا على أنها تقتضي عرفا غير لغوي، واتجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف يكون من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، ولا يحتاج إلى شرط الإخلاص»[1]

ومن شروطها أيضا ان تكون نسبتها إلى المتكلم ومنها الحاضر او المستقبل نحو: الدعاء والرجاء والأ ي، والشكر والتحية، والوصف،.... إلخ

ومن ذلك قول البردوني:

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص80.

5- الأفعال الطلبية:Directives Acts

وتسمى أيضا **التوجيهات والأمريات**، والغرض منها حمل المخاطب على أداء عمل معين، فهي تضم كل الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغتها، ليتمثل غرضها الإنجازي في التأثير في المتكلم لا يفعل شيئا أو ينجز شيئا[1]

إن **الغرض الإنجازي لهذه** الأفعال يتمثل في محاولة المتكلم التأثير على المتلقي ليفعل شيئا ما، ويقوم بأداء عمل من الأعمال، والمسؤول عن إحداث المطابقة بين العالم والقول هو المتلقي (المخاطب)، والشرط لنجاح التوجيه هو قدرة المتلقي على اداء الفعل المطلوب كما يعبر عن ذلك "سيرل Searl" وعليه نميز بين:

أ- الحمولة الإنجازية: يقصد بها ما يواكب عبارة لغوية ما من قوى إنجازية، باعتبار الطبقات المقامية التي يمكن أن ترد فيها هذه العبارة.

أ- قوة إنجازية حرفية/ قوة إنجازية مستلزمة:

لنتأمل الجملتين التاليتين: ج1⇐ من في هذا البيت؟

ج2⇐ هل تصاحبني غلى المسرح؟

فعند قراءة الجملتين تداوليا نجد أن **ج1** واردة في مقام تحمل فيه كقوة إنجازية مجرد سؤال، في حين أن الحملة **ج2** مقصود بها استدراج المخاطب إلى مصاحب المتكلم إلى المسرح، لذلك: تنحصر حمولة الجملة الأولى الإنجازية في مجرد قوتها الإنجازية الحرفية "**السؤال**" "**الاستفهام**"، في حين ان الجملة الثانية، تحمل إضافة إلى السؤال قوة إنجازية مستلزمة مقاميا يمكن اعتبارها إلتماسا.

فنحن لا نتوصل إلى **القوة المستلزمة** إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث الطول والتعقيد، في حين أن **القوة الحرفية** تؤخذ مباشرة من صيغة العبارة ذاتها، مثال ذلك ان القوة الإنجازية السؤال في الجملة (2) دون واسطة من خلال الوسائط الصورية

[1] صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة، لبنان، ط1، 1993، ص65.

البنية السطحية ⇐ أداة استفهام هل + تنغيم؟ بيد أن القوة المستلزمة **الالتماس** تستوجب من المخاطب القيام بسلسلة من الاستدلالات كي يستنتج انها من مقصود المتكلم.

يعرف **أحمد المتوكل** القوة الإنجازية بقوله: «ويقصد بالقوة الإنجازية الحرفية القوة الإنجازية المعبر عنها في الجملة بالتنغيم أو باداة الاستفهام، أو بصيغة الفعل، سأل، وعد... في حين عرف القوة الإنجازية المستلزمة قائلا: هي القوة التي تستلزمها الجملة في طبقات مقامية معينة»[1]

ولعل الهدف من دراسة شعر عبد البردوني هو إدراك الدور الذي تؤديه الأفعال الكلامية من إحداث الوظيفة **التأثيرية الإقناعية** والوصول إلى **القوة الإنجازية المباشرة وغير المباشرة (المستلزمة)**

إن المتامل للخطاب الشعري لعبد الله البردوني، يلاحظ ان جل شعره يعتمد على"**الطلبيات**" **(التوجيهات)**، خاصة استخدام **الاستفهام (ثنائية السؤال والجواب)** والتي تحمل مقاصد متنوعة.

يقول البردوني في قصيدة «**عتاب ووعيد**» :

لماذا لي الرجوع؟ والعصف لك ... يناشدني الجوع أن أسألك
وأغرس حقلي فتجنيه أنت ... وتسكر من عرقي منجلك
لماذا وفي قبضتيك الكنوز ... تمد إلى لقمتي أنملك؟
وتقتات جوعي وتدعي النزيه ... وهل أصبح اللص يوما لك؟
لماذا تسود على شقوتي؟ ... أجب عن سؤالي وإن اخجلك؟
ولو لم تجب فسكوت الجواب ... ضجيج يردد ما أنذلك؟
لماذا تدوس حشاي الجريح ... وفيه الحنان الذي دللك؟
ودمعي ودمعي سقاك الرحيق ... أتذكر يا نذل، كم أثملك؟[2]

ويقول في أبيات أخرى :

---

[1] أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، منشورات عكاظ، الرباط، 1987، ص66.

[2] عبد الله البردوني، ديوان في طريق الفجر، ص323.

هـل اتفقـتم تجيئـون الشـعوب معـا   تزعمـــون عليهـــا الكلـــب والفـــارا؟
علـى الحـاكم يبـول العـار مبتهجـا   إذا عاش حتى رأى من يعشق العارا
ألـــيس علميـــة التســـييس عنـــدكم   كمـــن يتـــوج بـــالخمور خمـــارا[1]

وفي قصيدة "**بشرى النبوءة**" يقول البردوني:

أشــباه نــاس وخيــرات الــبلاد لهــم   يــا للرجــال وشــعب جــائع عــاري
أشــباه نــاس دنــانير الــبلاد لهــم   ووزنهـــم لا يســـاوي ربـــع دينـــار
ولا يصــونون عنــد الغــدر أنفســهم   فهل يصونون عهد الصحب والجار؟[2]
والجـــــــــــــــــــــــــــــار؟[2]

ويقول في صدر قصيدة "**مصارحة المادبة الأخيرة**" :

ألا أقتـــــل كـــــل مـــــن تلقـــــى   إذا اســـــــتبقيت لـــــــن تبقـــــــى
لأن القتــــــل بعـــــــد القتــــــل   طــــــب الأمــــــة الحمقـــــــى[3]

وفي مطلع قصيدة «**للقاتلة... حبا**» يقول البردوني:

حـــــــدي ســـــــكينا حـــــــدي   عنقـــــي أغلـــــى مـــــا عنـــــدي
أرجـــــــــوك عمـــــــــري   أضـــــحى شـــــيئا لا يجـــــدي
يــا منــدي، لــي واحــة فــي حــولي   قل لهـا: مـا الـذي، وكيـف وقـل لـي
لا تــنفض مــن ريــح صــنعا جناحــا   فهـــي أحفـــى بكـــل طيـــب محلـــى[4]

---

[1] عبد الله البردوني، ديوان من أرض بلقيس، ص267.
[2] عبد الله البردوني، ديوان في طريق الفجر، ص486.
[3] عبد الله البردوني، ديوان كائنات الشوق الآخر، ص50.
[4] المصدر نفسه ، ص153.

مقصدية الأفعال الكلامية في شعر عبد الله البردوني:

الرقم	الملفوظ	نوع الفعل الكلامي	المقصدية
1	لماذا لي الرجوع؟ والعصف لك؟ يناشدني الجوع أن أ سألك وأغرس حقلي فتجنيه أنت وتسكر من عرقي منجلك لماذا وفي قبضتيك الكنوز تمد إلى لقمتي أنملك؟ وتقتات جوعي وتدعي النزيه وهل أصبح اللص يوما لك؟ لماذا تسود على شقوتي؟ أجب عن سؤالي وإن اخجلك؟	التوجيهيات (الطلبيات)	الاستنكار
2	هل اتفقتم تجيئون الشعوب معا تزعمون عليها الكلب والفارا؟ على الحاكم يبول العار مبتهجا إذا عاش حتى رأى من يعشق العارا أليس علمية التسييس عندكم كمن يتوج بالخمور خمارا	التوجيهيات	السخرية والتهكم
3	أشباه ناس وخيرات البلاد لهم يا للرجال وشعب جائع عاري أشباه ناس دنانير البلاد لهم ووزنهم لا يساوي ربع دينار ولا يصونون عند الغدر أنفسهم فهل يصونون عهد الصحب والجار؟	الطلبيات	النفي و الاستنكار
4	ألا أقتل كل من تلقى إذا استبقيت لن تبقى لأن القتل بعد القتل طب الأمة الحمقى	الطلبيات –الأمر–	الندبة
5	حدي سكينا حدي عنقي أغلى ما عندي أرجوك احتزي عمري أضحى شيئا لا يجدي	الطلبيات –الأمر–	الالتماس والرجاء

6	يا مندي، لي واحة في حولي قل لها: ما الذي، وكيف وقل لي لا تنفض من ريح صنعا جناحا فهي أحفى بكل طيب مُحلى	الطلبيات نداء وأمر	الإلتماس

تحليل مقصدية الافعال الكلامية الواردة في شعر البردوني:

مقصدية الملفوظ 1:

يعد **الاستفهام تداوليا** من «الآليات اللغوية التوجيهية بوصفها توجه المرسل غليه إلى خيار واحد، وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثم فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسيطرة عن ذهن المرسل إليه، و تسيير الخطاب اتجاه ما يريد المرسل»[1] وهذا الملفوظ موجه للإمام **أحمد** حيث تعلو صرخة البردوني في وجه الظلم والاستبداد، فتبدو الأبيات ذات طاقة **حجاجية تأثيرية**، من خلال إقناع المتلقي بتغيير افكاره السياسية، ومعتقداته بما يتماشى مع مصلحة أمته.

أما عن **الحالة القصدية للاستفهام** في قول الشاعر، فقد شكلت اتجاه مطابقة من العالم إلى الكلمة، محاولة إحداث تغيير في واقع أمته، وجعله متطابقا مع مضمون الفعل اللغوي، فقضية البردوني قضية وطن ومصير امة، لذلك لجأ إلى **الأسئلة**، وكان **القصد** من ذلك **الاستنكار**، فالشاعر يريد أن يجعل الإمام في حالة شك وإرباك، فهذه الأسئلة تحمل **افتراضا ضمنيا** يتمثل في وجوب الثورة على الإمام الظالم، فالبردوني لا يستنكر لمجرد التشهير فقط، إنه يحرض الشعب على الثورة ضد الظلم الذي يقاسيه.

مقصدية الملفوظ 2:

في هذا الملفوظ يواصل "البردوني" التشهير بالحكام، حيث يعمد إلى **الاستفهام لاستنكار** سياساتهم، وفضح أخطائهم، وإدانة أفعالهم، لذلك جاءت **قوة** هذا **القول الإنجازية**

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص352.

هي **السخرية والتهكم**، تتضح بالمرارة، لإثبات سوء إدارتهم للبلاد، وفشل منطلقاتهم السياسية، ودعوة الشعب إلى رفضها.

فالبردوني يدعو إلى التحرر من الحكام الظالمين، فالاستفهام في الملفوظ 03 فهل يصونون عهد الصحب والجار؟ تمثلت **قوته الإنجازية** في **النفي والاستنكار** الذي يعد نتيجة منطقية للحجج التي حاصرت المتلقي، وبالإجابة المنفية على هذا السؤال تحصل إدانة الحكام وفضحهم أمام شعوبهم.

في أساليب **الأمر** الموجهة لما سوى الذات، يخرج الخطاب لمقاصد أخر **كالحث، والندب** للأمر الجلل، كما جاء في **الملفوظ الرابع**، وهي مما قيل بعد مقتل السادات، وفيها من حرارة الموقف ألوان من التحريض على الفعل بشدة.

وفي **الملفوظ الخامس** يأخذ **الأمر** قصد **الالتماس والرجاء**، حين يتعلق بخطاب المحبوب في لحظات الحيرة، يتماشج فيها اليأس الشديد، والأمل الواعد.

ومن **الالتماس** ما نجده أيضا في **الملفوظ السادس** عبر تكرار لصيغة **الأمر**، في خطاب يضفي عليه **التصريح** مع اجتماع **النداء**، والجملة الأمرية أثرا صوتيا، ودلاليا، يعكس لهفة الشاعر وشغفه للجواب.

ويخرج الاستفهام إلى **مقاصد** ودلالات تفهم من السياق:

يقول البردوني في قصيدة «**عودة القائد**»:

لمن الجموع تموج موج الأبحر ... وتضج بين مهلل ومكبر
لمن الهتاف يشق أجواز الفضا ... ويهز أعطاف النهار المسفر
ولمن تجاوبت المدافع وانبرت ... صيحاتها كضجيج يوم المحشر
ولمن تفيض حناجر الأبواق من ... أعماقها بترنم المستبشر
للقائد العظيم الموشح بالسنا ... علم الفتوح وقاهر المستعمر [1]

[1] عبد الله البردوني، ديوان في طريق الفجر، ص116.

ويقول في أبيات أخرى.

قال لي: هل تحس حواليك رعبا وعجاجا كالنار طار وهبا
فكأن النجوم شهقات جرحى جمدت في محاجر الأفق تعبى
فكأنني أشتم في كل شبر ميتة تستثير كلبا وكلبا[1]

* * *

أحين أنضج هذا العصر أعصارا قد تم إليه عن الثوار (أثوارا)
كيف انتخبتم له، إن رام تنقية من كان يحتاج حراثا وجزارا
أبغية الشعب في التغيير أن تضعوا مكان أعلى رؤوس العصر أحجارا
أو أن تولوا عصافير النقار على هذا الذي قلب التسعيف أطوارا[2]

ويقول البردوني:

يا شاعر الأزهار والأغصان هل أنت ملتهب الحشى أو هاني؟
ماذا تغني من تناجي في الغنا ولمن تبوح بكامن الوجدان[3]

* * *

من أنادي؟ وأنت صما سميعه بين صوتي وبين أمي قطيعة
من أنادي؟ من ذاهنا؟ لم يجبني آه إلا صمت القبور الصديعه
من أنت؟ ماذا تساوي؟ وكل ما فيك خاوي[4]
أو أن تولوا عصافير النقار على هذا الذي قلب التسعيف أطوارا

---

[1] عبد الله البردوني، ديوان في طريق الفجر، قصيدة فارس الآمال، ص170.
[2] المصدر نفسه ، قصيدة "الحكم للشعب، ص116.
[3] عبد الله البردوني، ديوان السفر إلى الأيام الخضر، ص76.
[4] المصدر نفسه ، قصيدة شاعر وطنه في الغربة، ص79.

مقصدية الأفعال الكلامية في شعر عبد الله البردوني:

الرقم	الملفوظ	نوع الفعل الكلامي	المقصدية
1	لمن الجموع تموج موج الأبحر وتضج بين مهلل ومكبر؟ لمن الهتاف يشق أجواز الفضا ويهز أعطاف النهار المسفر ولمن تجاوبت المدافع وانبرت صيحاتها كضجيج يوم المحشر ولمن تفيض حناجر الأبواق من أعماقها بترنم المستبشر للقائد العظيم الموشح بالسنا علم الفتوح وقاهر المستعمر	التوجيهيات	التعظيم
2	قال لي: هل تحس حواليك رعبا وعجاجا كالنار طار وهبا؟ فكأن النجوم شهقات جرحى جمدت في محاجر الأفق تعبى فكأنني أشتم في كل شبر ميتة تستثير كلبا وكلبا	التوجيهيات	التهويل
3	أحين أنضج هذا العصر أعصارا قد تم إليه عن الثوار أثوارا كيف انتخبتم له، إن رام تنقية من كان يحتاج حراثا وجزارا أبغية الشعب في التغيير أن تضعوا مكان أعلى رؤوس العصر أحجارا أو أن تولوا عصافير النقار على هذا الذي قلب التسعيف أطوارا	التوجيهات	التعجب
4	يا شاعر الأزهار والأغصان هل أنت ملتهب الحشى أو هاني؟ ماذا تغني من تناجي في الغنا ولمن تبوح بكامن الوجدان؟	التوجيهات	الحسرة والتأسف
5	من أنادي؟ وأنت صما سميعه بين صوتي وبين أمي قطيعة من أنادي؟ من ذاهنا؟ لم يجبني آه إلا صمت القبور الصديعه	التوجيهات	التهكم

تحليل مقصدية الافعال الكلامية الواردة في شعر البردوني:

مقصدية الملفوظ 1:

يصور هذا الملفوظ الجموع الكثيرة والحشود التي تصرخ وتهتف، وذلك باستخدام **أداة الاستفهام (من)** التي تأتي للسؤال عن العاقل، ولكن خرج الاستفهام عن **القوة الإنجازية الحرفية** إلى **قوة إنجازية مستلزمة** هي **التعظيم**، فهذا التجمع الغفير الذي تجاوبت معه قرع الطبول، وصوت المدافع، وكل هذه الصيحات هو لاستقبال القائد العظيم، وقد أراد الشاعر بذلك مشاركة المتلقي ودعوته إلى خوض غمار الحالة الشعرية التي يرسمها الشاعر، وهو المقام المناسب لهذا الحدث.

مقصدية الملفوظ 2:

في الملفوظ الثاني، عدل الشاعر باستخدام الاستفهام بالأداة (هل) عن القوة **الإنجازية الحرفية** إلى **قوة إنجازية مضمرة**، فكان المقصد حالة **الهول** التي أصابت السائل، والرعب في غسق الظلام وتطاير التراب بعنف يوازي هبوب لهيب النار، وشرره المتطاير في ساحة القتال، فهو يصور هذه الحالة في منتهى **التهويل**، فالنجوم من هول هذا الحدث المرعب، جمدت في الأفق ارتعابا كما تتجمد شهقات الجرحى.

أما **الحالة المقصدية** فتتمثل في إشراك المتلقي في جو التفاعل بينه وبين النص المليء بالعنفوان الذي يوظفه الشاعر، وذلك للتأثير فيه.

مقصدية الملفوظ 03:

يؤدي الخطاب عوامل تداولية تناسب مقام الملفوظ، فبعد أن يستهل الشاعر القصيدة الاستفهام بقوله (أحين أنضج هذا العصر أعصارا ؟) يضع الجواب في عجز البيت، فيتحول فيه الاستفهام من **قوته الإنجازية الحرفية** إلى معنى آخر **مستلزم** يتضمنه ال سياق وهو **التعجب** في الحالة التي عدل عنها، فصدر التعجب من اجتماع الاستفهام المجازي في

صدر البيت مع تراكيب استعارية، وهذه الصورة منحرفة عن الصورة الحقيقية، التي تنقل عبر صيغ التعجب القياسية، وهذا يؤدي المعنى المشحون بدلالة التعجب والمشيعة بالدهشة التي جعلت الشاعر (المتكلم) يزيح الاستعمال المألوف، فكان القصد من ذلك التعجب من هؤلاء الساسة الظلام الذين صعدوا على أكتاف الشعب.

مقصدية الملفوظ 04:

ومن **المقاصد المستلزمة** التي يؤديها **الاستفهام** معنى **الحسرة والانكسار والتأسف،** ففي هذا الملفوظ الشاعر يطرح حالات الاضطراب الشعوري، ويزيد أزمات النفس، ودل على ذلك **القوة الإنجازية الحزينة** لأداة **النداء** (يا) والتي زادت من معاناة الشاعر والتي جعلت من هذا **الاستهلال (مطلع القصيدة)** مفتاحا للولوج إلى نص مشبع بالحسرة والحية.

مقصدية الملفوظ 05:

يعكس الاستفهام في هذا الملفوظ حالة من الانفعال في نفس المتكلم، توحي بعدم الرغبة في القول، ويكشف عن عدم التكافؤ في بنية الخطاب، فلما اراد البردوني البوح عن الانفعالات المتأزمة في نفسه، عدل الشاعر عن استخدام المألوف إلى استخدام الروافد **السياقية المجازية** ليناسب عملية الخطاب إذ جمع بين **السؤال والجواب** في آن واد، فكان **المقصد التهكم،** تمهيدا لاستقبال الخطاب من قبل المتلقي، عن طريق إثارة اهتمامه بخروج المألوف إلى اللامألوف.

وفي الملفوظ «**من أنت؟ ماذا تساوي؟...**»

جمع الشاعر بين صيغتين استفهاميتين مختلفتين الأولى قوله (من أنت؟) وهي صيغة مبهمة تستفهم عن شيء غير معلوم، والثانية صيغة معلومة وهي قوله (ماذا تساوي؟) بالقرينة التي تسبقها، ولفظة (تساوي) التالية له، فخرج الاستفهام بذلك من **القوة الإنجازية الحرفية إلى القوة الانجازية** المضمرة وهي **التهكم.**

الفصل الرابع

الاستلزام الحواري التخاطبي وأبعاده التداولية في شعر عبد الله البردوني

تمهيد:

نشأة الاستلزام الحواري (التخاطبي):

تعد ظاهرة الاستلزام التخاطبي ظاهرة لصيقة باللغات الطبيعية وهي تؤسس لنوع من التواصل، الذي يمكن وسمه بالتواصل **غير المعلن (الضمني)**، بحجة أن المتكلم –في كثير من الأحيان– يقول كلاما ويقصد كلاما آخر. كما أن المستمع يسمع كلاما ويفهم غير ما سمع، وهذا يعني أن تأويل المعنى لا يتم بشكل اعتباطي، وإنما توجهه مجموعة الظروف والملابسات المحيطة بالخطاب، من متكلمين وسياق **ومقاصد** إلى غير ذلك. ومن هنا بدأ البحث اللساني ينحو منحى متميزا، فلم يعد الاهتمام منصبا على وضع نظريات للخطاب، وإنما صار يعنى بعملية التخاطب في حد ذاتها[1].

هذا وتعد أبحاث الفيلسوف اللغوي «**بول غرايس paul Grice**» **(1913–1988)** بعنوان "المنطق والحوار" ومحاضرات سنة **(1971)** «**الافتراض المسبق والاقتضاء الحواري**» المنطلق الرئيس لنشأة مصطلح «**الاستلزام التخاطبي**»، فقدم فيها بإيجاز تصوّره لهذا الجانب من الدرس والأسس المنهجية التي يقوم عليها، ثم تتابعت أبحاثه النظرية والتطبيقية لتلك الظاهرة، حيث يذهب **غرايس** إلى أن العملية التواصلية قائمة أساسا على مبدأ عام أسماه «**مبدأ التعاون الحواري**»، إذ يعد توافر هذا القيد أساس نجاح العملية التواصلية، ويؤدي اختلاله إلى فشل الفعل اللغوي وعلى الرغم من أن أبحاثه قد تعتريها

[1]– العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2011، ص7–8.

بعض عوامل النقص من جهة وعدم الإحكام من جهة أخرى، إلا أنها تعد اللبنة الأولى التي بنى عليها المخالفون له النظرية كاملة فيما بعد[1].

وقد نتج عن اهتمام الدارسين فيما بعد، ربط مفهوم الاستلزام التخاطبي بمفهوم القدرة الإنجازية، إذ كان مدخلا اعتمدته الفرضية الإنجازية لاقتراح كيفية التمثيل **للقوة الإنجازية** بواسطة الإجراءات التوليدية.

1 - تعريف الاستلزام الحواري (التخاطبي):

ترجم المصطلح لكم هائل من المفردات التي لم يتفق بشأن تسميتها منها:

الاستلزام، الاقتضاء، الإضمار، التضمين...الخ، ونجد فئة من الدارسين ممن ترجموا المصطلح بـ **الاستلزام والاقتضاء** وقد وضعوا حدودا فاصلة بينهما «الاقتضاء مفهوم منطقي، بينما الاستلزام مفهوم لساني تداولي» ينماز الاقتضاء بتغيره وفقا لظروف الاستعمال للعبارة، كونه ملازما لها في جميع الحالات، ويتغير الاستلزام بتغير الظروف، عكس الاقتضاء الذي هو مسلمات ملازمة للقول ولا تتغير بتغير بنيته التركيبية[2].

ويقصد به أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، فالمراد به إيضاح الاختلاف بين ما يقال **what is said** وما يقصد **what is meant**، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات لقيمها **اللفظية face values**، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه للسامع على نحو غير مباشر، اعتمادا على أن السامع

[1]- عبد المجيد حجفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2000م، ص30-31.

[2]- محمد السيدي، إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري، دط، دت، ص105-106.

قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، وهو ما يعرف بـ الاستلزام التخاطبي[1].

ويتبين ذلك من خلال المحادثة التالية:

(أ): لم يبق لدي أي بنزين.

(ب): توجد محطة على بعد أمتار.

نلاحظ من حوار (أ) أن المراد ليس اخبار السامع عن نفاذ ما لديه من بنزين، وإنما يقصد طلب المساعدة، وهي المعنى (الضمني)، ومن ثمة جاء حوار (ب) ملتزما بالتعاون، فأخبره بأن هناك محطة لبيع البنزين توجد على مسافة قريبة، كما في المعنى، ولها خاصيات واضحة الملامح، وهي مستقاة من المعنى المباشر حسب استعماله في سياق محدد مشترك بين المتكلم والمستمع[2].

ونخلص إلى القول أن «**الاستلزام التخاطبي**» هو ما يقتضيه الحوار من عوامل تجعله مؤثرا لكي يضبط علاقة **المعنى الصريح** بـ المعنى **المستلزم** مقاميا، وهو المعنى الذي يفرضه المقام بما فيه من ظروف ومؤثرات.

2 – خصائص الاستلزام الحواري:

إن عملية تأويل الكلام نشاط تدور في فلكه عدة عناصر تواصلية فإنشاء «الكلام من لدن المتكلم وفهمه من لدن المخاطب، عمليتان لا انفصال لإحداهما عن الأخرى، وانفراد المتكلم بالسبق الزمني ما كان ليلزم عنه انفراد بتكوين مضمون الكلام، بل ما إن يشرع

---

(1)– محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، ص33.

(2)– ج ب، براون،ج بول، تحليل الخطاب، ص41.

المتكلم في النطق حتى يقاسمه المخاطب دلالاته»[1]، لأن هذه الدلالات الخطابية لا تنزل على ألفاظها نزول المعاني على المفردات في المعجم، بل تنشأ وتتكاثر وتتقلب وتتعرف من خلال العلاقة التخاطبية[2]، لهذا يقف المخاطب أمام التمييز بين المعاني الصريحة والمعاني الضمنية غير متردد في سلوك سبيل الاستلزام عند الحاجة، هذا الأخير الذي يتميز عن غيره بـ:

1- **قابلية الإلغاء Defeasible**: فالاستلزام الحواري يمكن إلغاؤه، ويتم ذلك عادة بإضافة قول سيد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه، فإذا قالت قارئة لكاتب مثلا: "لم أقرأ كل كتبك"، فقد يستلزم ذلك عنده أنها قرأت بعضها، فإذا أعقبت كلامها بقولها "الحق أنني لم أقرأ أي كتاب منها" فتكون بردّها هذا قد ألغت الاستلزام.

2- الاستلزام لا يقبل **الانفصال non-detachable** عن المحتوى الدلالي، فهو مرتبط بالمعنى الدلالي لما يقال وليس بالصيغة اللغوية التي قيل بها وذلك لا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها، وهو ما يوضحه المثال الآتي:

أ- لا أريد أن تتسللي إلى غرفتي على هذا النحو.

ب- أنا لا أتسلل، ولكن أمشي على أطراف أصابعي خشية إحداث ضوضاء.

فرغم تغير الصيغة في (ب) إلا أن ما يستلزمه القول من عدم الرضا عن هذا السلوك لا يزال قائما.

---

[1]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص50.

[2]- المرجع نفسه، ص50.

3- الاستلزام **متغير**، لأن التغير الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزامات عديدة، فإذا سألت طفلا يحتفل بيوم ميلاده، مثلا (كم عمرك؟) فهو طلب للعلم، وإذا سئلت السؤال نفسه لصبي عمره خمسة عشر عاما فقد يستلزم السؤال مؤاخذته على سلوك مالا ترضاه له، وإذا سألت السؤال نفسه لشاب يمنع من اتخاذ قرار لا يخرج عن إطار تعاليم الدين والأعراف، فقد يعني ذلك أنه من النضج بحيث يستطيع أن يتخذ قرارا.

4- الاستلزام يمكن **تقديره calculabity** فالمخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام، فإذا قيل مثلا: "الملكة فكتوريا صنعت من حديد" فإذا السامع سيرفض قبول المعنى اللفظي، ويبحث عما وراء الكلام من معنى، معتبرا أن المتكلم يريد أن يلقي إليه خبرا لأن الجملة خبرية، فلابد أنه يريد أن يهب الملكة فكتوريا بعضا من صفات الحديد كالصلابة وقوة التحمل، وهو متأكد أن سامعه قادر على إدراك المعنى الخفي[1].

ونخلص إلى القول أن الاستلزام الحواري درس لساني تداولي، استطاع بفضل خصائصه المتنوعة أن يكون آلية استدلالية، تمكن القارئ من امتلاك القواعد الحوارية المساعدة على ضبط الحوار.

3 - القواعد الحوارية لغرايس Grice:

أ- مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه: ظهر هذا المبدأ مع مقال **غرايس** الذي ألقاه سنة 1967 بعنوان «المنطق والتخاطب»[2] و«يقصد به ذلك المبدأ الذي يرتكز عليه المرسل

[1]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص50.

[2]- صلاح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، دط، القاهرة، مصر، 2005م، ص13.

للتعبير عن قصده، مع ضمانه قدرة المرسل إليه على تأويله وفهمه»[1] وقد جاء مصوغا على الشكل الآتي: «ليكن إسهامك في الحواري بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه، أولا الاتجاه الذي يجري فيه الحوار»[2].

يقر «غرايس» بوجود قواعد تفرض على المتحاورين «التعاون من أجل تخفيف الهدف المرجو من الحديث الذي دخلا فيه، وقد يكون هذا الهدف محددا قبل دخولهما في الكلام، أو يحصل تحديده أثناء الكلام»[3].

ويؤسس مبدأ التعاون داخل التبادل التعاوني حول مقاصد، المشاركين، وهذه المقاصد ليست صريحة في الواقع بين أطراف التبادل، والحال أنها عبارة عن عناصر خفية تعتمد في شكل اتفاق ضمني من قبل المتخاطبين الذين يسهرون على مجرى التواصل الحسن بموجب لعبة ذكية من الاستنتاجات[4].

وقد قسم «غرايس» هذا المبدأ الحواري العام إلى أربع قواعد حوارية conversational maximus

1- الكمّ quantity: تتعلق بكمية المعلومات الواجب توفيرها وتؤدى بقاعدتين أساسيتين هما:

- لتكن مشاركتك محتوية الحد المطلوب من المعلومات.

- لتكن مشاركتك غير محتوية حدا يفوق المطلوب من المعلومات.

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، ص96.

[2]- المرجع نفسه، ص96.

[3]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ص238.

[4]- الجيلاني دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص33.

2- الكيف quality: وتتعلق بالقاعدة العامة حاول أن تكون مشاركتك صادقة، وتحتوي على قاعدتين:

- لا تقل ما تعتقد أنه كاذب.

- لا تقل ما تفتقر إلى دليل واضح عليه.

3- الإضافة أو الملائمة relation:

اجعل مشاركتك ملائمة.

4- الجهة manner: ولا تهتم كسائر القواعد بما هو مقول أو منطوق بل بكيفية قوله ونطقه، قاعدتها العامة "كن واضحها" ، وعنها تتفرع القواعد الآتية:

- تجنب الإبهام في التعبير، تجنب اللبس، تجنب كل إطناب غير مفيد.

- كن منظما[1].

ولتوضيح ذلك نسوق هذا الحوار بين الزوج (أ) والزوجة (ب):

أ- أين مفاتيح السيارة؟

ب: على المائدة:

فمبدأ التعاون والقواعد الحوارية المتفرعة عنه كلها متحققة في هذا الحوار:

الكم: استخدمت الزوجة القدر المطلوب من الكلمات دون تزويد.

الكيف: كانت صادقة.

الإضافة: أجابت إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال زوجها.

[1]- آن روبول وجاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ص215.

الجهة: إجابتها كانت واضحة[1].

وعليه لم يتولد عن قولها أي استلزام لأنها ما تقصده، فهذه القواعد تنشد غاية نبيلة تتمثل في ضبط مسار الحوار باعتبارها السبيل الذي يجعلنا نبلغ مقاصدنا.

لقد أريد بهذه القواعد الحوارية أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن الإفادة وتبلغ الغاية في الوضوح، حيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب صريحة وحقيقة، وهذا لا يعني أن على المتخاطبين أن يتبعوا القواعد المذكورة حرفيا في كل الأحوال، إذ قلمّا يستمر التخاطب العادي غلى هذا المنوال، أي أنهم قد يخالفون هذه القواعد وإن التزموا بالمبدأ العام للتعاون، وإذا وقعت هذه المخالفة فإن الإفادة تنتقل من ظاهرها الصريح الحقيقي إلى وجه غير صريح، لتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين ضمنية ومجازية خاضعة لاستدلالات معينة[2].

صفوة القول أن **انتهاك** مبادئ الحوار هو الذي يولد **الاستزام.**

4 - نماذج توضيحية لعملية الاستلزام:

يقر «غرايس» بالدور الأساسي للمتخاطبين في الالتزام بالقواعد أو خرقها والتركيز على المعنى كما يقصده المتكلم، بيد أنه لم يتطرق بالتفصيل إلى القواعد التي تبلور كيفية التعامل بين طرفي الخطاب، لأن اهتمامه كان منصبا على صياغة إطار لتفسير وتبرير عدم مطابقة معنى المتكلم لدلالة الخطاب المنطقية أو الحرفية فيما عرف في عمومه بالاستلزام الحواري الذي يتطلب الاحتكام إلى هذه القواعد لمعرفته[3]، فإذا «انتهك المتكلم

[1]– محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص35.
[2]– محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص35.
[3]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، مقاربة تداولية، ص96.

مبدأ من مبادئ الحوار، أدرك المخاطب اليقظ ذلك وسعى إلى الوصول إلى هدف المتكلم من هذا الانتهاك»[1]، مثال ذلك:

1- خرق قاعدة الكم: مثلا حوار يجري بين الأم (أ) وولدها (ب):

أ- هل اغتسلت ووضعت ثيابك في الغسالة؟ ب: اغتسلت.

في هذا الحوار **خرق وانتهاك** لقاعدة **الكم**، لأن الأم سألت عن أمرين فأجاب الابن عن واحد (الاغتسال) وسكت عن الثاني وضع الثياب في الغسالة، فإجابته جاءت أقل من المطلوب.

2- خرق قاعدة الكيف: في حوار بين التلميذ (أ) والأستاذ (ب) وكلاهما إنجليزي:

أ- طهران في تركيا، أليس هذا صحيحا يا أستاذ؟

ب- طبعا، ولندن في أمريكا! [2].

لقد تم خرق قاعدة الكيف التي تقتضي ألا يقول المتكلم إلا ما يعتقد صوابه وألا يقول ما لا دليل له عليه، حيث انتهك الأستاذ عمدا قاعدة الكيف ليظهر للتلميذ أن إجابته خاطئة ويؤنبه على جهله شيئا كهذا، والتلميذ قادر على الوصول إلى مراد الأستاذ، لأنه يعلم أن (لندن) ليست في (أمريكا)، وذلك يستلزم أن الأستاذ **يقصد** أكثر مما تقوله كلماته، أي أن قول التلميذ غير صحيح.

3- خرق قاعدة الإضافة أو الملائمة: مثاله الحوار الآتي:

أ- ألا تعتقد أن فلانة عجوز شريرة؟

ب- الطقس جميل اليوم أليس كذلك؟

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص36.

[2]-محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص36.

نلاحظ أن جواب (ب) غير مناسب، وغير ملائم لسؤال (أ)، وهذا ما نتج عنه خرق لقاعدة الإضافة أو الملائمة[1].

4- خرق قاعدة الجهة: لتفترض ورود المقطع الآتي في مقال ناقد موسيقي:

«أصدرت الأسيدة (س) سلسلة من الأصوات تشبه أغنية (أنت عمري)» بدلا من قوله «غنت السيدة (س) أغنية (أنت عمري)»، فكلام النقاد يمتاز بالإطناب في الوقت الذي كان بإمكانه أن يوجز كلامه، وهو ما نتج عنه خرق قاعدة الجهة[2].

مجمل القول أن «غرايس» رسم ما يجب للمشاركين القيام به ليتم الحوار بالطريقة المثلى من التعاون والعقلانية والفعالية، إلا أنهم في كثير من الأحيان يضطرون إلى خرق هذه القواعد، منتقلين بذلك من المعنى الحرفي إلى المستلزم، ومن ثمة فإن ظاهرة استلزام جملة ما معنى مقامي مغاير لمعناها الحرفي، لا يتم إلا بإرضاء الشروط التالية:

1-احترام مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه.

2-مراعاة السياق اللغوي وغير اللغوي.

3-مراعاة الخلفية المعرفية السابقة.

4-أن المعطيات مشتركة بين المتخاطبين.

5-معرفة المدلول الحقيقي للألفاظ المستعملة.

5- مبادئ مكملة لمبدأ التعاون:

إن مبدأ التعاون مبدأ تبليغي بالدرجة الأولى، لهذا كان في حاجة إلى مبادئ أخرى تساعده على الاستجابة إلى المستجدات الطارئة ليكون قادرا على التكيف، «وهذا ما حدا

(1)- المرجع نفسه ، ص36.

(2)- عادل فاخوري، الاقتضاء في التداول اللساني، عالم الفكر، 1989م، ع3، مج:20، ص.؟؟؟

ببعض الباحثين إلى صياغة المبادئ التي تكفل ذلك، مع الالتفات إلى مبدأ التعاون واتباعه نقطة الانطلاق والتأسيس، وقد تعددت توظيفاتهم له بين من حاول استلهام عمل «غرايس»، والبناء عليه وبين من توخى تصنيف قواعد أخرى تسبقه أو تواكبه لتؤطر هذه الأعمال عملية التلفظ بالخطاب، وتوطيد العلاقة السابقة بين طرفي الخطاب أو توليدها من خلال الخطاب، فتتمكن اللغة من تأدية وظيفتها الاجتماعية التفاعلية»[1].

ومن هذه المبادئ:

1- مبدأ التأدب:

هو المبدأ التداولي الثاني الذي يبنى عليه الحوار لصاحبته **(روبين لاكوف) Robin lakloff** صيغته (لتكن مؤدبا)[2] «ويقتضي هذا المبدأ بأن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام من ضوابط التهذيب مالا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ»[3].

وقد فرعت **«لاكوف»** ثلاث قواعد أساسية عن مبدأ التأدب سمتها **«قواعد تهذيب الخطاب»**

أ- قاعدة التعفّف: «لا تفرض نفسك على المخاطب» أي تجنب الإلحاح، أو إكراه المخاطب على فعل ما.

ب- قاعدة التشكيك: «لتجعل المخاطب يختار بنفسه»، أي تفرض هذه القاعدة على المتكلم اللجوء إلى اساليب التقرير والاستفهام كما لو كان متشككا في مقاصده.

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، ص97.

[2]- Robin lakloff, the logique og politeness or miding your p's and O's, in papers from the minth regional, 1973, p292.

[3]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ص240.

جـ- قاعدة التودد: «لتظهر الود للمخاطب» حيث يستعين المتكلم بأدوات واساليب وصيغ تقوي علاقة التضامن والصداقة بينهما نحو ضمير المخاطب والاسم، والكنية... [1].

2- مبدأ التواجه:

نستعمل لفظ (التواجه) بمعناه اللغوي وهو مقابلة الوجه للوجه[2] لصاحبيه **بنلوب براون Penelope Brown** وستيفن **لفنسون Stephen levinson** صيغته «لتَصُن وجه غيرك»[3]، وينبني هذا المبدأ على مفهومين هما **الوجه*** **والتهديد**.

مما سبق نصل إلى:

- يردّ **«براون»** و**«لفنسون»** مبدأ التعاون إلى الخطة الحوارية الثانية التي تقتضي التصريح بالقول المهدد من غير تعديل كما ردتها **«لاكوف»** إلى قاعدة التعفف.

- «مبدأ التوجه» بفضل مبدأ التأدب لأخذه بالدلالة العملية لعنصر التهذيب ومراعاته لعنصر التبليغ[4].

- إن التأدب الظاهر في لغة الخطاب «قد لا يكون مؤشرا على النوايا التي يبطنها المتكلم تجاه المخاطب وهذا إما يتولد عن تأويل خاطئ للخطاب، وهو حكم شامل للاستراتيجيات التي تتجسد بالكلام أو بالصمت»[5].

---

(1)- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، ص100، 101.

(2)- رضوان الرقي، النظرية التداولية المفهوم والتصور، http:///almothaqaf.com/inder

(3)- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ص243.

* هو عبارة عن الذات التي يدعيها المرء لنفسه، والتي يريد أن تتحدد بها قيمته الاجتماعية.

(4)- المرجع نفسه ، ص244.

(5)- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، ص108.

3- مبدأ التأدب الأقصى:

هو المبدأ التداولي الذي جاء به **«ليتش G.Leath»**، منطلقا من مبدأ التعاون ناقدا ومستدركا ومقرا بأهميته، وإن عاب عليه تركيزه أو اختصاره على تنظيم التواصل والوقوف على المستوى التبليغي مغفلا مبادئ التداول الاجتماعية والنفسية، فاقترح مبدأ التأدب مكملا لمبدأ التعاون، موظفا بذلك بعض الأدوات والآليات اللغوية لأن دور التأدب لا يقف عند حدود تنظيم العلاقات بل يتجاوزها إلى تأسيس الصداقات[1].

يصوغ **«ليتش»** هذا المبدأ في صورتين:

1-**سلبية:** قلّل من الكلام غير المؤدب.

2-**إيجابية:** أكثر من الكلام المؤدب.

ويتفرع مبدأ التأدب الأقصى إلى مجموعة من القواعد أهميتها:

قاعدة اللباقة، قاعدة الاستحسان، والتواضع...

4- مبدأ التصديق:

صيغته «لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك»، وينبني هذا المبدأ على عنصرين: أولهما هو نقل القول ويتعلق بالجانب التبليغي، وثانيهما هو تطبيق القول يتعلق بالجانب التهذيبي[2].

ويتفرع مبدأ التصديق في جانبه التبليغي إلى:

1- ينبغي أن يكون للكلام داع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر (وتقابل مبدأ التعاون).

---

[1]- المرجع نفسه، ص109.

[2]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، والتكوثر العقلي، ص249.

2- ينبغي أن يأتي المتكلم به في موضعه ويتوخى به إصابة فرصته (تقابل قاعدة العلاقة).

3- ينبغي أن يقتصر الكلام على قدر حاجته (تقابل قاعدة الكم).

4- يجب أن يتخير اللفظ الذي به يتكلم (تقابل قاعدة الجهة).

إن هذه القواعد جامعة لمبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه باستثناء قاعدة الكيف، أما القواعد المتفرعة عن مبدأ التصديق في جانبه التهذيبي فهي:

أ- قاعدة القصد: لتتفقد قصدك في كل قول تلقي به إلى الغير.

ب- قاعدة الصدق: لتكن صادقا فيما تنقله إلى غيرك.

جـ- قاعدة الاخلاص: لتكن في تودد للغير متجرد من أغراضك[1].

إن هذه القواعد تتضمن ما تقرر في قواعد التأدب وقواعد التواجه مع الاحتراز من الوقوع فيما وقعت فيه من قصور، فقاعدة **القصد** يترتب عليها أمران أحدهما: إمكان الخروج عن الدلالة الظاهرة والآخر: وصل المستوى **التهذيبي** بالمستوى **التبليغي**، فمن حقق المتكلم **قصده** صان قوله من اللغو بتحقيق القاعدة للمخاطب **(مستوى تبليغي)**، وحقق وظيفة عملية أو مسؤولية أخلاقية، **(مستوى تبليغي)**، ولهذا تميزت قاعدة القصد عن مبدأ التأدب **«لاكوف»** الذي أسقط عنصر العمل، أما قاعدة الصدق فتقتضي الصدق نفتح باب **التواصل الصادق** بين المتكلم والمخاطب، وتزايدت أسباب التقارب المرهون بالصدق لا التهرب المرهون بالوعيد والتهديد، كما هو الحال في مبدأ التواجه[2].

(1)- المرجع نفسه، ص250.

(2)- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، والتكوثر العقلي، ص252.

أما قاعدة **الاخلاص** فتتبني على التنافس والتخلق وهو ما يورث تقربا هادفا خالصا بخلاف التأدب الأقصى الذي يورث تقربا مستويا، لأنه ينبني على التنازع على الحقوق والتأدب[1].

فيما سبق نستخلص أن الخطاب "نظام أو بنية تفاعلية تتبني على نوعين من المبادئ: «نوع تبليغي وآخر تهذيبي»[2].

وأن هذه المبادئ تتفاضل فيما بينها، فمبدأ التأدب يفضل مبدأ التعاون بتقعيده للجانب التهذيبي، ومبدأ التواجه يفضل مبدأ التأدب بتعرضه لعنصر العمل من الجانب التهذيبي، ومبدأ التأدب الأقصى يفضل مبدأ التواجه لوقوفه على وظيفة التقرب من الغير وهما الصدق والإخلاص، فيكون هو أفضل المبادئ وأكملها لأنه يتجاوز مرتبة **«التأدب الاجتماعي»** إلى مرتبة **«التخلق»** الذي ينشد الكمال في السلوك.

7 – المقاصد المستلزمة للاستفهام في شعر البردوني:

أورد **«العلوي»** في **«طرازه»** أسلوب الاستفهام، وعرفه بأنه «طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام»[3]، فالاستفهام يتعلق بحاجة المتكلم إلى معرفة ما يجهله في الواقع الخارجي، والمقصود من ذلك أن المتكلم يجب أن يكون جاهلا عن الشيء الذي هو بصدد الاستفهام عنه لكي تتم عملية حصول الشيء[4].

---

[1]– المرجع نفسه، ص253.

[2]– العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، ص123.

[3]– العلوي اليمني، الطراز المتضمن الأسرار البلاغية وعلوم حقائق الاعجاز، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، ج3، 2002، ص158.

[4]– المرجع نفسه، ص158.

وجعل «العلوي» الأدوات الموضوعة للاستفهام كثيرة: فمنها ما تكون على جهة **الأسماء، والحروف، والظروف**، ومن ثم قسم «العلوي» أدوات الاستفهام باعتبار ما تؤديه من معنى إلى:

أ- **القسم الأول منها موضوع للتصور**: وهو «من، وما، وكم، وكيف (أسماء)، وأين، وأنى (ظروف مكانية)، ومتى وأيان (ظروف زمانية)».

ب- **القسم الثاني منها موضوع للتصور والتصديق**: وهو الهمزة.

جـ- **القسم الثالث منها موضوع للتصديق لا غير**: وهو: هل، ويستخرج من الاستفهام معاني كثيرة ودلالات مستلزمة[1].

وعند علماء اللسانيات **التداولية** يعد الاستفهام فعلا كلاميا استعلاميا فإن جاء حسب شروط إجرائية على أصله، فيحافظ حينها على هويته **الإنجازية**، كما قد يخرج على أصله في حال خرق شروط إجراءه على الأصل[2] ليدل على شيء آخر غير ذاته، وهو ما يمكن أن يتجسد في المعاني المستلزمة.

إن الاستفهام نوعان: الأول قائم على الأصل اللغوي، وهو **الاستفهام الحقيقي**، والذي يكون ظاهره موافقا لباطنه، كسؤالنا عمّا لا نعلمه، فنقول: ما عندك؟ ومن رأيت؟ ويكون الاستفهام حقيقيا مباشرا بشروط معدّة للاستفهام، تتمثل هذه الشروط في أن يكون المستفهم غير عالم بها، يسأل عنه طالبا العلم به، وهذا هو المقصود بإجراء الاستفهام على أصله الذي هو الاستخبار وطلب العلم، فيكون «فعلا كلاميا مباشرا»، أما إذا وجدنا الاستفهام في غير مقام الاستخبار وطلب العلم خرج عن غرضه الأصلي إلى **أغراض تواصلية** فرضتها

---

[1]- العلوي، الطراز، ص159.

[2]- باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014، ص22.

المقامات التي ورد فيها الاستفهام، وامتنع فيها إجراء المعنى الأصلي المباشر إلى معنى فرعي غير مباشر **(مستلزم)** ومن أبرز هذه المعاني: **التقرير، النفي، والإنكار، والتعجب... وغيرها.** والثاني **الاستفهام المجازي** اشار إلى خروجه عن الأصل اللغوي إلى معان مجازية، وهذه المعاني كثيرة، أطال في استقصائها حتى أوصلها إلى خمسة عشر معنى[1].

1- المقاصد الاستلزامية للاستفهام في الاستهلالات (مطلع القصائد):

أ- التعظيم والتفخيم:

يقول عبد الله البردوني:

كيـــف كنـــتم أيـــام كنـــت مثيـــرة؟ حشـــرات حـــولي وكنـــت أميـــرة
كنـــت أمشـــي فتنتشـــرون طريقـــي نظـــرات مســـتجديات كســـيرة[2]

الفعل الكلامي: يتجسد في فعل السؤال الذي نستدل عليه بحرف الاستفهام «كيف».

الفعل الدلالي: المتكون من القضية التي من أجلها يستفهم الشاعر ويستنكر الأيام الخوالي.

الفعل الإنجازي: يتمثل في جملة الاستفهام كيف كنتم أيام كنت مثيرة؟ والتي تتكون حمولتها الدلالية من:

قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الاستفهام (السؤال) بوجود الأداة كيف+ التنغيم+؟

قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في صور **العظمة** التي منحها الشاعر (للضحية) والتي كانت مبّجلة أميرة بين الجميع، فاستفهم بالأداة (كيف).

[1]- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة، بيروت، 1964.

[2]- عبد الله البردوني، من ديوان من أرض بلقيس، مصدر سابق، ص211.

الدلالة على الحال، وألحقها بالفعل الماضي الذي نقل زمن الاستفهام إلى الماضي، أيام كانت هذه الضحية عظيمة مستبدة، وقوية عنيفة لا يقوى على مناوئتها أحد، فالكل حولها حشرات عندما تسير بينهم، تسير كالأميرة: تنحني لها الرؤوس وتتكسر العيون خوفا وطمعا في إرضائها ويتهامسون فيما بينهم عنها (أهي بنت كسرى أم شهرزاد الصغيرة):

تتنـــــاجون بيـــــنكم: أتراهـــــا بنـت كسـرى*أم (شـهرزاد الصـغيرة؟

وهكذا تنساب الأحداث فيشعر المتلقي أنه في البنية العميقة للخطاب، دونما يدري، وذلك إنما كله من قوة الانسجام الذي يوقعه الشاعر في ثنايا السؤال والإجابات المتكونة حوله والمنسوجة بطبيعة «الاستهلال» الذي يعدّ مدخلا ومفتاحا للولوج إلى بنية الخطاب.

ومثل هذه الإشكالات الفلسفية التي يحملها الاستفهام موجودة في عدة **استهلالات** في شعر البردوني، من ذلك قوله في قصيدة "**صحفي ووجه من التأريخ**":

كيـف انبثقـت؟ أذاهـب أم جـاني؟ هـذي الفجـاءة فـوق وهـم الرائـي
مـن جـذر أيـة كرمـة أورقـت لـي أشـرقت لـي مـن أي نجـم نـاء؟[(1)]

فاستعمال الأداة (كيف) والأداة (أي) المضافة إلى النكرة، توحي بالإشكالات المبهمة والغامضة، إذ يبدي الاستفهام بالأداة (كيف) عن ماهية المجيء وحالة قدومه، ويتبعه الاستفهام بالهمزة، التي جعلها للتصور ليزيد من حالة الغموض في الانبثاق المفاجئ، ويزيل هذا الإبهام باستعمال الأداة (أي) المضافة إلى النكرة، وهذا التكثيف للتساؤلات التي أوقعها

* كِسرى: يطلق على ملوك الفرس.

(1)– عبد الله البردوني، ديوان في طريق الفجر، ص61.

الشاعر في مصطلح القصيدة المصطبغة بصيغة فلسفية، تنساب انسيابا متتابعا، حتى يشعر المخاطب أنه داخل في عمق النص دون دراية سابقة.

ومن **المطالع الاستفهامية** التي تحمل مقصد **التعظيم والتهويل** وتكثيف الاضطرابات قوله:

مــــن أيــــن أبتـــدئ الحكايـــة وأضـــيع فـــي مـــدِّ النهايـــة؟[1]

يستفهم الشاعر في هذا المطلع عن المكان بالأدلة **(من)** التي جاءت لابتداء **الغاية المكانية**، ولو لم يكن يستفهم في البدء عن البدء نفسه لما خرج الاستفهام إلى معنى **مستلزم** هو **التعظيم والتهويل**، والذي أضفى عليه دلالة التهويل هو جهله وصعوبة الشروع بالابتداء وفوضوية التفكير، وعدم استقرار الذهن، وهذا ما جعل الاستفهام يدل على غير ما وضع لأجله، لتتحول هذه الاضطرابات المكثفة وعدم الاستقرار إلى **قوة إنجازية مستلزمة مقاميا** هي **التعظيم**.

ب- التعجب:

من **الملفوظات** التي يستهل بها الشاعر قصائده **الاستفهام المجازي** يقول في قصيدة **«مراسيم الليلة الخامسة»:**

هـــل هـــذا طفلـــك؟ واقتربـــت كالطفـــل تنـــاغي وتنـــادي[2]

فالفعل الكلامي: يتجسد في فعل السؤال الذي نستدل عليه بحرف الاستفهام «هل».

[1]– عبد الله البردوني: ديوان من أرض بلقيس، ص220.

[2]– عبد الله البردوني، ديوان وجوه دخانية في مرايا الليل. ص 34

الفعل الإنجازي: يتمثل في جملة الاستفهام هل هذا طفلك؟ والتي تتكون حمولتها الدلالية من:

قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الاستفهام (السؤال) بوجود الأداة «هل + التنغيم + ؟».

قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في قول الشاعر (هل هذا طفلك؟) استفهام حقيقي لكن بمجيئه بعمله (واقتربت كالطفل تنادي وتناغي) مباشرة بعد السؤال أضفى على الاستفهام صيغة **الاندهاش والتعجب**، فعدل الاستفهام الحقيقي إلى **المجاز** المتضمن مقصد **التعجب**، وكأن السائل مندهش بجمال الطفل بمجرد رؤيته له، وهذا الاستفهام الذي جاء في مطلع القصيدة قبل البدء بالحوار جاء كوسيلة لبدء التخاطب من السائل والمخاطب بدلا من أن يسأل المتكلم ويحصل على إجابة، وينقطع بعدها الحوار يجعلها مقدمة غير رسمية لبدأ التخاطب المتواصل والمناسب غير المنقطع، وبذلك يسهم في الانسجام التداولي للخطاب، وشد المتلقي إلى النص من أول وهلة وهو بذلك يجسد **مبدأ التأدب التداولي** الذي يضفي «بأن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام، من ضوابط التهذيب مالا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ»[1].

ويقول البردوني في مطلع القصيدة نفسها:

مـــاذا اعتراهـــا فـــانبرت صـــاخبة   وهـي الصـموت الصـلبة الصـالبة[2]

[1]– طه عبد الرحمن، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ص241.

[2]– عبد الله البردوني، ديوان وجوه دخانية في مرايا الليل.ص56

في هذا الملفوظ تعكس أداة الاستفهام حالة من الانفعال في مطلع القصيدة، فتعدل عن الاستفهام بالشيء إلى الإعجاب به، إذ يتعجب الشاعر من حالة الصخب المفاجئة التي تسود تلك الليلة.

وما جعل هذا الاستفهام يعود إلى نمط التعجب ما جاء به في عجز البيت فالليلة كانت صامتة ساكنة، وفجأة اعتلاها الصخب، وبذلك تحوّل الخطاب من المجهول إلى المعلوم، **وعدل الاستفهام** إلى **مقصد التعجب** ليناسب مقام **الاستهلال**، وليناسب الخطاب بتتابع دون توقف، أي أن الانسجام يتحقق عبر التناسب بين المكونات اللفظية مع **السياق** وارتباطها ارتباطا دلاليا وتداوليا.

جـ- الحسرة والألم والحزن:

يقول البردوني في مطلع قصيدة "الحب القتيل":

يـا حيرتـي أي حبـي أيـن ماضـيه؟ وأيــن أيــن صــباه أو تصــابيه؟
قتلــت حبــي ولكنــي قتلــت بــه قلبـي ومزقـت فـي صـدري أمانيـه[1]

فالاستفهام عن ضياع الحب والحبيبة المسبوق بالنداء (يا حيرتي) ما هو إلا انعكاس عن **مقصد الحزن والأسى والألم والتأسف** المجتمعة في نفس الشاعر، ونقل مثل هذه الصورة الحزينة لا يستوعب الاستفهام الحقيقي، بل يجب العدول عنه إلى مقاصد أخرى تناسب هذا المقام عبر **الانزياح Deviation**، عما وضع لأجله الاستفهام إلى ما يعكس وضع الشاعر ليناسب بعد ذلك الخطاب متواصلا إلى نهاية القصيدة يحكي صورة الوجع

[1]- عبد الله البردوني، ديوان من أرض بلقيس، ص164.

دون انقطاع، يشد المخاطب إلى العودة إلى بداية القصيدة بعد الانتهاء من قوله في آخر الأبيات:

ويلي وويلي على الحب القتيل ويا لهفي على عهده الماضي وآتيه
ما ضرّني لو حملت الحب ملتهبا يميت قلبي كما يهوى ويحييه[1]

ومنه أيضا قول البردوني في قصيدته **«بعد الضياع»:**

إلى من أسير أماض المسير قواي وأدمى جناحي الكسير
وكيف المسير ودربي طويل طويل وجهدي قصير قصير[2]

عكس **الاستهلال** في هذا **الملفوظ** صورة المتحسر وخيبة الأمل التي تجسدت في أسلوب الاستفهام على سبيل **المجاز**، فالشاعر في غاية **الحيرة والتأزم النفسي**، فقد هدم المسير قواه، وكسر جناحه، وبعد ذلك يحاول المسير إلى اللاشيء، وإلى اللاأحد، ويزيد من اضطرابه أن يجعل الطريق طويلا جدا، ويقابله بالعزم الخافت، فلا يعرف أين المضي ولا كيف، فالاستفهام نقل هذه الصورة عبر **الانزياح** الذي خلقه في المطلع من الاستعمال **المألوف** إلى **اللامألوف**، ليناسب نقل الصورة المتواصلة المفعمة بالحيرة والانكسار، كما يدعو **المتلقي** إلى المشاركة والتفاعل مع الحدث.

د- التّهكم:

من الدلالات التي يخرج عنها الاستفهام من نمطه الحقيقي إلى **المجازي (المستلزم)** هو **التهكم**، الذي يمثل صورة دلالية **مضمرة** في عملية **الخطاب التواصلي**، إذ يقوم بملء

[1]- عبد الله البردوني، ديوان من أرض بلقيس، ص165.
[2]- عبد الله البردوني، ديوان في طريق الفجر، ص110.

الفراغات الدلالية التي لا يمكن أن تحقق تماما عبر الحقيقة الدلالية التي يحملها أسلوب الاستفهام، والتي تؤدي دلالتها بصورة مطلقة لقيام العملية التواصلية في الخطاب، وتحقيق الدلالات التي تمنح النص استمراريته، وتبرز السياقات **الإيحائية** لتكمل ما عجزت عنه الحقيقة في عملية التواصل.

و**التهكم** يأتي في سياقات مختلفة يمكن فهمها في عدة أساليب عن طريق **العدول** عن **السياقات** الحقيقية للأساليب البلاغية إلى سياقات أخرى مجازية، والاستفهام أحد أنماط عملية التخاطب بين طرفي التكلم.

وفي قصيدة **«شباك على كاهنة الريح»** يستهل البردوني قصيدته بجمل استفهامية تخرج عن الاستعمال المألوف إلى غير المألوف على سبيل **المجاز**، يفهم من سياقه معنى **التهكم** إذ يقول:

أكنت الدجى والآن يدعونك الضحى؟ ... ترى أين أودعت العكاكيز واللّحى؟ أشبت
كأشياخ يأجوج سريت وبعدما ... غرابيب الرؤى جئت مصبحا
وكانت لك الأوجاع مسرى ومهجعا ... فهل ترتديها الآن ريشا ممدرحا؟
تأهبت، تبدو غير من كنته فهل ... تبديت، مما كنت أصبى وأملحا؟
أيبديك تبديل الجلابيب ثانيا ... وما أثبت الثاني ولا الأول انمحى؟
أليس الضحى غيري؟ وهل أنت غيره ... وأيكما الثاني من الأول انتحى؟
أما كل إصباح إلى الليل ينتمي ... أمن ارّخوا (قيسا) أضاعوا (الملوّحا)
إذا قلت وافى منك ما باله انثنى ... إليك... أدورات المواقيت كالرحى

يخالكمـا الراعـي (جحـا) رابعـا، أتـى فمـن منكمـا المسـمار؟ مـن منكمـا جحـا[1]

إن تتابع الصيغ الاستفهامية يوحي انعكاس الطاقة الانفعالية الكامنة في ذات الشاعر، ولمجيء الإجابات السياقية تالية الاستفهام عمد الشاعر إلى **الانزياح أو العدول** عن الاستعمال الحقيقي المألوف لنمط الاستفهام إلى معنى آخر غير حقيقي (مستلزم) هو "التهكم" الذي يترجمه سياق الخطاب، كون تكرار الجمل الاستفهامية وإجاباتها يُسفر إلى عدم التقبل، وهذا ما أدى إلى الانزياح إلى الصيغ التهكمية التي تنساب في القصيدة عبر الروافد السياقية المرافقة للخطاب التواصلي.

ومن ذلك قوله يتهكم بصيغة الاستفهام:

مـــــاذا تــــرى؟ وهنــــا يريـــــد وطاقـــــة تمـــــتص طاقـــــة

وأفاقـــــــــة كالســـــــــكر أو ســـــكر أمـــرّ مـــن الإفاقـــة[2]

في هذا الملفوظ عكس أسلوب الاستفهام الحالة المريرة التي يعيشها الشاعر، ووضعه الجواب تاليا للسؤال مباشرة ينبئ بخروج الاستفهام عن الاستعمال الحقيقي إلى استعمال آخر يناسب المقام، ويوازي الخطاب، لذا عدل عن الاستفهام الحقيقي إلى المجازي (المستلزم)، متقمصا معنى التهكم المفهوم في السياق، والموحي باستمرار عملية تواصل الخطاب عبر الدلالات التهكمية التي يخلقها أسلوب الاستفهام، والمتصلة بالدلالات اللاحقة في موضوع الخطاب.

[1]– عبد الله البردوني، ديوان مدينة الغد، ص360.

[2]– عبد الله البردوني، ديوان لعيني أمّ بلقيس، ص66.

هـ- الإنكار والتكذيب:

من الدلالات **المستلزمة** التي يعدل عنها أسلوب الاستفهام هي **الإنكار والتكذيب،** وهي أقل ورودا في شعر البردوني من التهكم أو التهويل... من ذلك قوله:

يا أخي يا ابن الغدى فيم التهادي وفلســـطين تنـــادي وتنـــادي

ضـــجت المعركـــة الحمـــرا فقـــم نلتهب.. فالنور من نار الجهاد[1]

فالفعل الكلامي: يتجسد في فعل السؤال الذي نستدل عليه بحرف الاستفهام فيم؟

الفعل المجازي: يتمثل في جملة الاستفهام، «يا أخي يا ابن الغدى فيم التمادي...؟» والتي تتكون حمولتها الدلالية من:

قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الاستفهام (السؤال) بوجود الأداة فيم + التنغيم + ؟

قوة إنجازية مستلزمة: حيث عدل الشاعر عن الاستعمال الحقيقي للاستفهام إلى **الإنكار** على المخاطب في معرض اللوم والتكبيت، فدعى الشاعر المخاطب إلى التنفير ولام المتقاعسين منكرا ركونهم إلى القعود ومن ذلك أيضا قوله:

أمِـنْ بعـد عشـرين ولَّـت خمـس تشـــم لبشـــراك خطـــوا وهمـــس

وعـــن كفهـــا تنقـــر البـــاب أنـــت وفـي هجـس أذنيـك تـزداد غمـس[2]

فالشاعر **ينكر** على نفسه انتظار البشرى لمدة طويلة دون الحصول عليها والإجهاد في التذلل إلى الغير، والتوسل به لتحقيق مطالبه وكل هذه الدلالات، إنما جاءت في صلب

---

[1]- عبد الله البردوني، ديوان السفر إلى الأيام الخضر، ص26.

[2]- عبد الله البردوني، ديوان مدينة الغد، ص113.

الاستفهام المجازي، الذي أضفى على المطلع صيغة الإنكار، يرادفه **الجناس** الموزع على طرفي المطلع وهو قوله **(خمس)**، و**(همس)**، وما لحرف السين من امتداد ونقل حديث الذات.

7 – المقاصد الاستلزامية الحجاجية للاستفهام (السؤال) في شعر عبد الله البردوني:

يرتبط (السؤال) الاستفهام بشعر البردوني ارتباطا وثيقا، إذ أنه يشكل ملمحا أسلوبيا يتميز به، **وفعلا لغويا مؤثرا** في شعره، فالبردوني شاعر لا يكف عن الأسئلة، لذلك سمي **«شاعر الأسئلة»**، ويتجلى السؤال في شعره في حوار مع النفس، أو مع الآخر، وينتج حركة وثنائية في القصيدة الشعرية، فيكسب القصيدة تعبيرا خلاقا وتأثيرا دراميا، ينتج من إحساس أن السؤال يتطلب إجابة، ولا تأتي الإجابة.

إن عدم تطلب السؤال الإجابة هو ما يجعله **حجاجيا**، وطرح الأسئلة الحجاجية في الخطاب الشعري تؤكد على قدرة الشعر على القيام **بوظيفة الحجاج**، وقدرته على تغير الواقع وتوجيه المتلقي نحو الغاية التي يرمي إليها الشاعر، فالشعر يمتلك سلطة على النفوس، وقدرة على تغير الواقع والأحداث.

وقد أدرك «البردوني» هذه القدرة، فجعل **السؤال** أداة حجاجية تهدف إلى **الحث والتحريض** وإلى **تغير** أفكار المتلقي، ودفعه إلى تغير واقعه وسلوكه ومواقفه.

وتتجلى **حجاجية السؤال** في شعر البردوني في مواضع عدة، ولم تقتصر على **غرض** بعينه، إذ إننا نجد **الاستفهام الحجاجي** في شعره **السياسي والاجتماعي والرومانسي والفلسفي**، كما نجده يشكل أبرز الآليات الحجاجية التي اعتمد عليها بحثا عن حقيقة الحياة وسر الوجود، وتفسيرا لتأملاته في الواقع وفي دخائل النفس الإنسانية.

ويبرز **الاستفهام** (السؤال) بوصفه مهيمنا أسلوبيا في مستهل قصائده وفي ختامها، ويعد وروده في مستهل قصائده جرس إنذار ينبّه من خلاله المتلقي إلى واقعه المزري، ويحذره من الرضا به والخنوع له، كما أنه قد يطغى على مفاصل قصائد بعينها، فيعكس الحالة الانفعالية المسيطرة عليه.

لقد شكلت قضايا **الوطن** والشعب محورا مهما في شعر البردوني، فها هو يدعو الشعب إلى أن يتخذ موقفا مما يكابده على أرض وطنه وألا يغفل عما يجري فيه من أحداث، وألا ينتظر أي نصر، وايدي حكامه ملوثة بالخيانة، كما يدعوه إلى الوقوف مع من يطلب العدالة والإنصاف لأنه مادام واضحا سيواجه قتله باسم العدالة.

يقول في قصيدة "ليليات قيس اليماني":

تسال بكل ناحية دماء ولا أحد يشاهدها مسالة
أكُلّ عيون هذا الوقت أضحت فصوصا تحت أرمدة مُهالة؟
أينبغي الشعب نصرا مستحيلا ولا تلقى الخيانات استحالة؟
لماذا من يناشد أي عدل يكابد قتله باسم العدالة؟[1]

إن هذه الاستفهامات الحجاجية التي حملت مقصدا استنكاريا واضحا، صنعت أيضا موقفا تبكيتيا، الغرض منه التنبيه على فداحة مسار الشعب، وإنكار صمته وغفلته عما يحدث في وطنه، والتحذير من مستوى الخطر الناجم عن هذه الغفلة.

[1]- عبد الله البردوني، ديوان من أرض بلقيس، ص76.

لقد حمل «البردوني» في شعره هموم وطنه، وقضاياه التي أشعلت كثيرا من الأسئلة في فكره، وانطلقت لتجلّد متلقيه بسياطها لعله يجد منهم الأمل الذي ينشده، فيستثير هممهم بأسئلته الشائكة التي يحاول من خلالها إعادة مجد وطنه، ولذلك نجد "صنعاء" تشكل ملمحا بارزا في أسئلته فقد تكرر توجيهه الأسئلة إليها في مواضع كثيرة من قصائده، مما يعكس عمق التفاعل بينه وبين قضايا وطنه، وهو بذلك يعبر عن حبه لوطنه، وعن رغبته العميقة في الوصول به إلى بر الأمان، فـ **«صنعاء» تجاوزت دلالتها المكانية** للدلالة على الوطن بأسره، والحديث عن معاناتها يعكس معاناة وطنه وشعبه عامة.

يقول في قصيدة "سفّاح العمران":

يا ناهب الغفوات من — أجفان (صنعاء) السجينة
من ذا يكف يديك عن عصـ — ـر الجراحات الثخينة؟
من ذا يلبي لو دعت — هذي المناحات الدفينة
من ذا يلقي ظفرة الـ — إعصار، أخلاقا، رزينة؟
نأت الشواطئ ياريا — ح فأين من ينجي السفينة؟[1]

شكل هذا الملفوظ بنية من الاستفهامات الباحثة عن منقذ «لصنعاء» من هذا الظالم الذي يرتكب أبشع الجرائم في شعبه، وتكرار الاستفهام بالأداة (من) له غاية لدى البردوني، إذ المقصد هو الحث والتحريض واستنفار همم شعبه لمواجهة الظلم وإقناعه بضرورة تغير واقعه المزري.

[1]– عبد الله البردوني، ديوان مدينة الغد، ص312.

ويتخذ «البردوني» من أسئلته الموجهة إلى «صنعاء» وسيلة لإثبات انحراف سياسات حكامها، وانصياعهم لسياستهم الاستعمارية التي أغرقت الوطن في حالة من التخبط والضياع، فيوجه إليها استفهاماته، لتكون حججا إدانة لسياستها مع العالم، غايته التأثير وتحريض الشعب ضد هذه السياسة وتدفعه إلى السير به إلى بر الأمان.

يقول في قصيدته «مدينة بلا وجه»:

أتدرين يا (صنعاء) ماذا الذي   تموتين في شعب يموت ولا يدري

يجري؟   تموتين، تستحين من موتك المزري

تموتين لكن كل يوم، وبعدما   فتنسين أو ينساك ميعاده المغري

تموتين: لكن في ترقب مولد   فقدتيه، أو عن وجهك الآخر

فهل تبحثين اليوم عن وجهك الذي   العصري؟

إلى أين؟ هل تدرين من أين؟ ربما   طلعت بلا وجه وغبت بلا ظهر

أتستنشقين الفجر في ظلمة بلا   هدوء بلا نجم بدل على الفجر

خبا كل شيء فيك لا تسألينه   لماذا؟ ألا يعنيك شيء من الأمر؟[1]

الأمر؟[1]

يخاطب «البردوني» صنعاء بأبيات تحمل **تأثيرات حجاجية** قوية منبثقة من الأسئلة المتكررة، ومن تكرار كلمة **(تموتين)**، فأسئلته تحمل **حججا**، تتمثل في غياب الحقيقة عن صنعاء، فهي لا تدرك ماذا يحدث لها، فيواجهها بإجابة صادمة بقوله: (تموتين)، ويكررها ليحرضها على رفض هذا المصير، وعدم الرضوخ له، وتنثال أسئلة متتابعة (فهل

[1]– عبد الله البردوني، ديوان لعيني أمّ بلقيس، ص416.

تبحثين...؟) و (إلى اين...؟) (أتستنشقين...؟) (ألا يغني)؟) وهذه الاستفهامات خرجت إلى **مقصد استلزامي هو التهكم والسخرية**، الهد ف منه رفض الواقع الذي آلت إليه.

إن «صنعاء» التي يخاطبها البردوني في شعره ليست صنعاء التي ألفها، وليست صنعاء التي كان يطمح إليها، لقد كان يرى في صنعاء **مدينة الغد*** التي طالما حلم بها، وانتظر بزوغ فجرها، لكنه اصبح يشعر بالغربة فيها، لأنها اتجهت اتجاها آخر بدّد أحلامه، وجعله يشعر بمرارة الضياع.

وإذا كان «البردوني» في كثير من قصائده يدعو إلى الثورة وعدم الاستسلام للظلم، فإننا نجده في قصائد أخرى، وقد اكتسته غربة فصار يائسا مستسلما، مما يوحي بأن اليأس قد بلغ ذروته لديه، وأن عجزه عن تغيير واقعه المأساوي، قد شكل غربة نفسية عنده، ففي قصيدته **(عيّنة جديدة من الحزن)**، يصور الحزن صورا جديدة مبتكرة، تكشف عن سلطته المطلقة عليه، وتبرز حجاجية الاستفهام في المقطع الأخير للقصيدة، ليستنفر المتلقين، ويشد انتباههم.

يقول في قصيدة «صنعاني يبحث عن صنعاء»:

من ينسينا مرارات العدا؟ من يقوينا على حمل الصبابة؟
من يعيد الشجو للأحزان؟ من يمنح التسهيد أوجاع الصبابة؟
من يرد اللون للألوان؟ من يهب الأكفان شيئا من خلابة؟
كان للمألوف لون وشذا كان للمجهول شوق ومهابة
من هنا؟ أسئلة من قبل أن تتبدّى تدري فيها غرابات

* عنوان الديوان من دواوين البردوني وعنوان لقصيدته.

الإجابـــــــــــــــــــــــة[1]

فالبردوني هنا يختتم قصيدته باستفهامات ذات طاقة حجاجية فعّالة، بما تتضمنه من دعوة المتلقي ومشاركته في البحث عمن يسانده في تغير الواقع، فهو بأسئلته يهدف إلى نشر رسالة معينة، وتبليغ الناس فحوى خطابه وتحريضهم على تغيير الواقع، وتوالي الاسئلة يؤكد على وضع متأزم واعتراف **ضمني مسبق** بالعجز، وبأن محاولاته باءت بالفشل، لذلك يبحث من خلالها عن مساندته وتضامن ورغبة في بناء واقع جديد.

ويوظف البردوني **الاستفهام** لتجسيد غربته ومعاناته، ويوجهه للمتلقي، ليشاركه أحاسيسه وانفعالاته، إنه حين يفترض مخاطبا متخيلا في قصيدة **(في الجراح)** لا يبحث عمن يجيبه عن اسئلته، بل يطرحها لتعكس معاناته وشعوره بالغربة، ويقدمها بوصفها حججا تثبت هول المعاناة، فحين يغمره الحزن واليأس يزداد شعوره بغربته عن وطنه، يقول:

أحيـا كعصـفور الخريـف بـلا ... ريـش، بـلا عـش، بـلا فـنن
وأتيـه كـالطيف الشـريد بـلا ... مـاض، بـلا آن، بـلا زمـن
وبـلا بـلاد مـن يصـدقني؟ ... أنـي هنـا روح بـلا بـدن
مـن ذا يصـدق أن لـي بلـدا ... عينـاه مـن حرقـي ولـم يرنـي؟
وأنـا هنـا أرضـعت أنجمـه ... سـهدي ووسـد ليلـه شـجني
أأعـيش فيـه وفـوق تربتـه ... كالميـت الملقـى بـلا كفـن
وولائـي بسـفوحه نهـر ... ومشـاعل خضـر علـى القـنن

[1]– عبد الله البردوني، ديوان لعيني أمّ بلقيس، ص76.

مـــــاذا أيـــدري إخـــوتي وأبـــي أنـــــي يمـــــاني بــــلا يمــــن؟

هــل لـــي هنـــا أو هاهنـــا وطــن؟ لالا... جراحـــي وحـــدها وطنـــي[1]

إذا تأملنـا هـذا الملفـوظ الشـعري نجـده يتسـم بـ **الحجـاج** الـذي يسـتهدف العواطـف والانفعـالات، وتتضـافر أسـاليب حجاجيـة كثيـرة إلـى جانـب الاسـتفهامات فـي سـبيل إقنـاع المتلقي لمشاركته أحاسيسه، والتعاطف معه، فاستعمال أداتي النفي **(لا) و (لم) وأداة التوكيد (إن) والصور الاستعارية والتشبيهية، والتكرار**، كل تلك الأساليب وجهت نحو مقصد واحد، يتمثـل فـي إقنـاع المتلقـي بحقيقـة فقـدان الانتمـاء للـوطن وبشـعوره بالغربـة، وتوجـه الحجـج **المتضمنة** نتائج غير منطقية نحو إدانة الحكام، لأنهم السبب فيما وصل إليه الشعب اليمني من حالة الضياع والتخبط، لضعف وطنيتهم وسعيهم وراء المكاسب والمصالح الشخصية.

صفوة القول أن استفهامات البردوني تعكس العلاقة الجدلية بين الإنسان والمكان فقد صـور البردونـي تلك العلاقة بأن الإنسان يبذل كل ما يستطيعه من أجل وطنـه، لكن هذا الوطن لم يقابله بالمثل، إنها علاقة الغريب الذي له أثر وبصمات في موطنه، وليس لموطنه أي أثر فيه، و**الافتراضات الضمنية المسبقة** التـي حملتها تلك الاستفهامات تتضمن نتيجة مفادها أن علاقة اليمني بموطنه علاقة **اغتراب**، وذلك حيث يقدم البردوني الحجة ويعضدها بنتائج غير منطقية، لا تتلاءم وقوانين المنطق الإنسانية والعقلية.

[1]– عبد الله البردوني، ديوان من ارض بلقيس، ص116.

8 – نظرية الاستلزام الحواري في التراث العربي:

لقد انطلق البلاغيون شأنهم في ذلك شأن الدارسين المعاصرين في دراستهم للغة من ربط العناصر الصورية لها **بـ الأغراض المقاصد**، مؤكدين أن **المعاني المستلزمة** لا يمكن فهمها بمعزل عن **السياق** أو **المقام** الذي تنجز فيه الجملة، ومن هنا ولدت عبارتهم الشهيرة "لكل مقام مقال" باعتبار المقام مجموعة من العناصر السياقية كالزمان والمكان، وعلاقة المتكلم بالمخاطب، والمقال هو الجانب المكتوب أو المنطوق من الخطاب.

وانطلاقا من مفهوم «المقام» ميز البلاغيون بين مصطلحين: **مقتضى الظاهر، ومقتضى الحال**، فالأول هو المضمون الذي يفهم من منطوق العبارة اللغوية المستعملة، وذلك استنادا إلى مجموع معاني المفردات التي تتألف منها العبارة أما الثاني فهو ما **يستلزمه لمقام الكلام**[1]، وهما ما أطلق عليهما **غرايس Grice المعنى الصريح والمعنى المستلزم أو الضمني.**

ويتجلى للدارس أكثر حضور النظرية الغرايسية في التراث العربي إذا ما تحدث عن ثنائية **الحقيقة والمجاز**، **فالحقيقة** عند **ابن جني (ت392هـ)** هي «ما أثر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة»[2]، وعنها تتولد المعاني الصريحة أما المجاز فهو «ما كان بضد ذلك»[3]، وعنه تتولد المعاني **المستلزمة**، فالحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما يدل عليه

---

(1)– حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط2، الأردن، 2014، ص74.

(2)– ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دط، دت، 442/2.

(3)– المصدر نفسه، 442/2.

بنفسها دلالة ظاهرة، في حين المجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما تدل عليه دلالة ظاهرة استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة من إرادة ما تدل عليه[1].

يضطلع المكون التداولي في الدراسات العربية القديمة بسلطة الكشف عن المعاني **الضمنية** التي يسميها السكاكي **(626هـ) المعاني الثواني أو العقلية** والتي بالعقل تدرك علاقتها بالدلالات الوضعية (الصريحة) المرتبطة بالجانب النحوي أو القواعد النحوية[2]، وفي إطار حديثه –مثلا– عن المجاز اللغوي يوضح طريقة الانتقال من المعنى **الحرفي إلى المعنى المستلزم،** وكيف يمكن للمتلقي أن يبسط المقصود من تفاعل الدلالتين الوضعية والعقلية في ظل العلاقات التي نشأت بينهما بما يناسب المقام نحو قوله تعالى« **هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ »غافر –13–**

إن لفظة "رزقا" لو استخدمت في معناها الحقيقي لكانت غير ملائمة للسياق، فمن غير الجائز أن يكون نزول الرزق في صورته المعروفة من السماء، لأن السماء لا تمطر رزقا، بل تمطر مطرا يكون سببا في الرزق، فتمّ اطلاق المسبب (الرزق) على السبب (الماء) لتأكيد أهمية الماء النازل من السماء... ويمكن توضيح ذلك في الشكل الآتي:[3]

بنية سطحية: ينزّل لكم من السماء رزقا ←——— ملزوم——← مجاز

↓

(قوة إنجازية حرفية)

بنية عميقة: ينزل لكم............ ماء——← لازم——← حقيقة

(قوة إنجازية مستلزمة)

---

[1]– السكاكي، مفتاح العلوم، مطبعة دار الرسالة، ط1، العراق، 1982، ص590.

[2]– باديس لهويمل، الملازمات بين المعاني في مفتاح العلوم للسكاكي، مقاربة تداولية في ضوء نظرية الاستلزام الحواري، مجلة الدراسات اللغوية، 2013، ج2، ص30.

[3]– باديس لهويمل، الملازمات بين المعاني، ص38.

يرى **عبد القاهر الجرجاني (ت417هـ)** أن الكلام يقسم إلى ضربين: «ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج عن الحقيقة فقلت: خرج زيد... وضَرْب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض»[1]، مثال ذلك **الكناية** باعتبارها «ترك التصريح بذكر الشيء إذا ذكر ما يلزمه، فينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول فلان طويل النجاد لينتقل منه إلى ما هو ملزوم وهو طويل القامة»[2]، ذلك أن العبارة دالة على معنيين، معنى أصلي مفاده أن شخصا ماله حمّالة سيف طويلة، يبْد أنه معنى لا يحقق ما يتطلبه سياق المدح ومقامه، مما يجعل المتلقي يصرف ذهنه إلى معنى آخر يتجاوز الأول، فتكون الدلالة **المستلزمة** هي **طويل القامة**، كما يوضحه الشكل الآتي:[3]

معنى أصلي: فلان طويل النجاد ⟵ لازم ⟵ معنى مُكَنًّى به.

(قوة إنجازية حرفية)

معنى مستلزم: فلان طويل القامة ⟵ ملزوم ⟵ معنى مكنّى عليه

(قوة إنجازية مستلزمة)

فالكناية وسيلة وأداة للتعبير غير المباشر والانتقال من الظاهر إلى الباطن أو المستلزم بمساعدة القرائن السياقية، وهي الرؤية ذاتها التي تَبنَّتها النظرية الغرايسيّة.

بالإضافة إلى البلاغيين والنحاة اعتنى **الأصوليون** بدراسة **الاستلزامات الحوارية**، ويتجلى ذلك من خلال مجموعة من التقسيمات التي اشتهر منها تقسيمان هما: **التقسيم**

---

[1]– الجرجاني، دلائل الإعجاز، حققه ابو فهد محمود محمد شاكر، دط، القاهرة، مصر، دت، ص262.

[2]– السكاكي، مفتاح العلوم، ص637.

[3]– باديس لهويمل، الملازمات بين المعاني في مفتاح السكاكي، ص46.

الحنفي والشافعي، ويبدو أن الأول أوفى بغرضنا في بيان **الاستلزامات السياقية والمقامية** عند المسلمين، إذ ينضبط هذا التقسيم بما يمكن أن نسميه **«مبدأ القصدية»**... ومعلوم أن القصد من القول هو الذي يورث استلزامات الصيغة السياقية أو المقامية[1] .

ولهذا يحرص **غرايس** في دراسته على **القصد** ويشدّد في **التواصل اللغوي** على نوايا القائل، وعلى فهم المخاطب لهذه النوايا.

والجدير بالذكر أن **«غرايس»** اقترح تنميطا للعبارات اللغوية يقوم على المقابلات الآتية التي تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة على أساسها إلى:

1- المعنى الصريح: Explicit meaning ويشمل:

أ- المحتوى القضوي.

ب- القوة الإنجازية الحرفية.

2- المعنى الضمني: Inexplicit meaning ويضم:

أ- المعنى العرفي (الاستلزام العرفي).

ب- المعنى الحواري[2].

9- الاستعارة ومقاصدها الاستلزامية في شعر عبد الله البردوني:

تمهيد:

لقد أبانت مباحث القدامى على اختلاف مرجعياتهم الفكرية، سواء أكانوا نحاة أم بلاغيين أم أصوليين، على اهتمام كبير بالمكون التداولي، فقد تتبعوا حركية المعنى وتقلباته

---

[1]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص103.

[2]- عادل فاخوري، الاقتضاء في التداول اللساني، ص144.

المستمرة، فحفلت دراساتهم بمباحث لا تكاد تختلف كثيرا عما يتناوله أعلام التداولية اليوم، فكانت عنايتهم بـ **المخاطب، والمخاطَب، والمقام** الذي يجري فيه الحدث الكلامي، **ومقاصد المتكلمين**، والعملية التواصلية عموما، كما استنفر في تقاليدهم البلاغية التمييز بين **المعنى الحرفي الأول، والمعنى المستلزم الثاني**، وتحديدهم الدقيق لآليات الانتقال من **اللازم** إلى **الملزوم**، أو العكس **الملازمات بين المعاني** واجتماع هذه القضايا في المنظومة اللسانية التراثية يزيد القارئ إيمانا بوجوب ربط الإرث اللغوي والبلاغي والأصولي بالإنجازات التداولية الحديثة.

حظي مبحث «الاستعارة» باهتمام الدارسين على اختلاف أطيافهم وتعدد مرجعياتهم الفكرية إن قديما أو حديثا، فقد «شاعت استعارة الأسد أو بعض صفاته للإنسان، وفي هذه الاستعارة تعمل اللغة على نحو استعاري ينفي عن الكلمات معانيها الحرفية، ويكسبها معان سياقية فالأسد هنا يصير هو الإنسان الذي بلغ مبلغا كبيرا من الشجاعة والبأس»[(1)].

إن الرؤية **التداولية للاستعارة** قوامها ربط تأويل الاستعارة بمبادئ المحادثة، وتحديدا مبادئ **جرايس الأربعة**، فيمكن النظر إليها على أنها نوع من استغلال مبدأ أو أكثر من المبادئ الأربعة، ويفيد ربط مبادئ «جرايسGrice» بالاستعارة في جانبين:

أ- تساعد على تحديد الاستعارة في السياق الاتصالي، إذ تساهم في إقصاء أي تفسير حرفي، والإبقاء على التفسير الاستعاري.

---

(1)– عبد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة، مجلة علامات، العدد23، دت، ص102.

ب- تساعد على تحديد التفسير الأنسب للاستعارة من بين التفسيرات الممكنة، إذ يقوم القارئ أو المستمع في عملية الاتصال باختيار التفسير الأنسب للاستعارة استنادا للمبادئ[1].

عرّف أرباب البلاغة **«الاستعارة»** بقولهم: «أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى الاسم المشبه به فتعيره المشبه به، وتجربه عليه»[2].

الملاحظ على هذا التعريف ارتكازه على آلية التشبيه الذي يرجع إلى المقارنة بين شيئين لجامع بينهما، وهي ذات الآلية التي نجد لها حضورا في تعريف **السكاكي** للاستعارة إذ يقول: «الاستعارة هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدّعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا ذلك بإثباتك للمشبه، ما يخص المشبه به»[3].

وحقيقي بنا أن نشير إلى أن **عبد القاهر الجرجاني** إضافة إلى ارتكازه على آلية «التشبيه» في تعريفه للاستعارة، يستند إلى آلية أخرى هي **«التنقل»** فقد عرّف الاستعارة في «أسرار البلاغة" بأنها أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الاصل، وينقله إليه نقلا غير لازم»[4].

وقد جعل بعض الدارسين المحدثين الغاية من مصطلح النقل الذي اعتمده **الجرجاني** في تعريفه للاستعارة، تأديته وظيفة فنية على طريق ما يسمى **الانحراف الدلالي**، الذي يعدُّ الخصيصة المميزة للصور المجازية عامة، فالنقل يعني أننا مع كل استعارة إزاء معنيين:

---

(1)- عبد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة، ص108.

(2)- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص60.

(3)- السكاكي، مفتاح العلوم، ص202.

(4)- محمد مصطفى أبو شوارب، وأحمد محمود المصري، قطوف، بلاغية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، 2006، ص69.

أحدهما: أصلي وضعت له وعُرّفت به.

وثانيهما: مجازي انتقلت إليه الكلمة[1].

وحَرِيٌّ بنا أن نوضح أن النقل ههنا ليس نقلا نهائيا على غرار ما نجده في كلمة «سيارة» أو «قاطرة» التي فرغتا عن معنييهما الأصليين فمن الضروري بالنسبة للاستعارة أن يتعايش فيها المعنيان الأول والثاني.

لقد كان لمبحث «الاستعارة» مكانته في دراسات البلاغيين فقد تفنن «الجرجاني» في وصفها وبيان محاسنها بوصفها: «رائدة الفعل البياني، وآصرة الإعجاز، وفضاء الشعراء، والكتاب في الإبداع، معها تنطق الجمادات، وتتنفس الصخور، وتتحرك الطبيعة الصامتة»[2]، ويصفها أيضا بالحسن والسعة والسحر يقول: «هي أمد ميدانا، واشد افتتانا، وأكثر جريانا، وأعجب حسنا وإحسانا، وأوسع سعة، وأبعد غورا، وأذهب نجدا في الصناعة وغورا، من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها، نعم وأسحر سحرا، وأملأ بكل ما يملأ صدرا، ويمتع عقلا، ويؤنس نفسا، ويوفر أنسا»[3].

وتجد في أكثر من موضع افتنان عبد القاهر في وصف الاستعارة وبيان محاسنها، يقول "ومن الفضيلة الجامعة فيها: «أنها تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستجدة... وتوجب له بعد الفضل فضلا، ولذلك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع، وبها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد وفضيلة مرموقة»[4].

---

[1]– حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998، ص124.

[2]– عبد القادر عبد الجليل، الاسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002، ص455.

[3]– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص32.

[4]– المرجع نفسه، ص33.

أ – ماهية الاستعارة في الدراسات التداولية:

يعرف الباحث "**بيردسليBeardsley**" الاستعارة بأنها: مصطلح يأخذ معنى مركزيا (التحديد العادي)، ومعنى **هامشيا (التحديد المجازي)**[1] أما **تيربايين terbayne** يقول أن الاستعارة هي شكل من الانحراف، وهو التعريف نفسه الذي يقره توماس **هوبرز Thomas hobbas**، الاستعارة هي انحراف في استخدام الكلمات، وهي تخدع، وتحير بشكل دقيق[2].

وفيما يلي نقف إزاء بعض التطبيقات في شعر **البردوني** لهذا **الانحراف الدلالي التداولي** أو **الخرق** المؤدي للدلالات **الاستلزامية** في **الاستعارة**، حيث تتضح وشائح القربى مع ما جاء به علماء اللسانيات التداولية.

ب – أنواع الاستعارة :

1- الاستعارة التصريحية:

وهي التي يصرح فيها بذات اللفظ المستعار بعدما كان في الأصل تشبيها حذفت عناصره جميعا عدا **المشبه به** أو بعض لوازمه أو صفاته، مع شروط أن يشتمل طرفا الاستعارة على وصف مشترك بين طرفين مختلفين في حقيقتهما ويكون في أحدهما أقوى من الآخر[3]، مما يجعل تفاعل الطرفين بينهما في درجة أقوى، ويتولد عنها اكتساب كل طرف بعض السمات الدلالية من الآخر، وفقدانه بعضها، فيتم نفاذ كل طرف لدلالة الآخر في النهاية، ويكتسب جرّاء ذلك معنى جديدا **مستلزما** في ظل **السياق**.

---

[1]- يوسف أبو العدوس، التشبيه والاستعارة من منظور مستأنف، دار الميسرة، ط1، الأردن، 2007، ص193.

[2]- المرجع نفسه، ص194.

[3]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص127.

وحتى تتحقق **الاستعارة التصريحية** يجب أن يكون هناك **تفاعل** بين ثلاثة مستويات: جانب **تركيبي**، يراعي بنية الاستعارة، وجانب **دلالي** يهتم بالسمات الدلالية **للمستعار والمستعار له** في تفاعلهما ودرجة ذلك التفاعل، وجانب تداولي يتمثل في **الدلالة الاستلزامية** الناتجة عن ذلك التفاعل وكيفية الوصول لهذا المعنى المستلزم عبر **سياق** الاستعمال الجديد و**القرائن** الصارفة عن إرادة المعنى الحرفي.

يقول البردوني:

كان رأسي في يدي مثل اللفافة ... وأنا أمشي كباعات الصحافة

وأنادي: يا ممرات إلى أيـ ... ـن تنجّر طوابير السخافة

وبراميل القمامات إلى ... أين تمضين؟ إلى دور الثقافة

كل برميل إلى الدور؟ نعم ... وإلى المقهى؟ جواسيس الخلافة

ثم ماذا؟ ورصيف مثقل ... برصيف يحسب الصمت حصافة[1]

حصـــــــــــــــافة[1]

نقف عند هذه الاستعارة إزاء معنيين: معنى أصلي وضعت له الملفوظات، وهي دلالة: **الممرات، والطوابير، وبراميل القمامات، وجواسيس، ورصيف مثقل**، التي نجدها متراصة عند الأرصفة، لكن المقصود يستحيل أن يكون هذا المعنى لوجود قرينة تصرف الذهن عن هذا المعنى الأول الاصلي **(دلالة وضعية)**، ومعنى ثان **مجازي (مستلزم)** انتقلت إليه الكلمة، عبر تفاعل المعنى الأول **للمستعار** مع **معنى المستعار له، وسياق** الاستعمال بما فيه **القرائن:** صحافة، ثقافة، خلافة، فكان الحاصل انحراف الكلمة عند دلالتها الوضعية

(1)– عبد الله البردوني، ديوان مدينة الغد، ص10.

التي تلازمها في عرف الاستعمال إلى دلالة استلزامية جديدة، تولدّت في السياق الاستعمالي الجديد فكان المعنى: تشبيه الرأس باللفافة بمعنى الضياع وذلك باحتراق والمشي بباعة الصحافة، والممرات وطوابير السخافة وبراميل القمامات، وجواسيس الخلافة،... استعارات في مخاطبة جمهور المثقفين غير الفاعلين، عند البردوني ، فقد وضعت قرائن تصرف الذهن نحو المعنى الجديد على سبيل الاستعارة **التصريحية.**

ب- الاستعارة المكنية:

يعرفها **السكاكي** بقوله: "أن تذكر التشبيه وتريد به المشبه به دالا على ذلك بنصب قرينة"[1].

قرينة"[1].

فالاستعارة المكنية لا يصرح فيها باللفظ **المستعار**، وإنما يذكر فيها شيء من لوازمه قريبا كان أو بعيدا.

يقول البردوني في قصيدة **«صديق الرياح»:**

علـى وجهـه ترسـب الحشـرجات وتطفـو قبـورا بـلا أضـرحَهْ
ويجتـر مـن وراء السـراب أسـى يرتـدي صـبغة فرحَـهْ
فيجتـاح تـلًّا شـواه الحريـق وكـلًّا دخـان اللظـى لوَّحَـهْ
ويغتـال رابيـة ممسـيا وتأكلـه رُبْـوَةَ مُصـبِحًةْ[2]

ففي هذا الخطاب نقف على معنيين للعبارة، معنى حرفي ناتج عبر المكوّنين المعجمي والتركيبي، وهو أن القبور تطفو، ويجتر السراب الأسى، يرتدي، يغتال رابية، تأكله ربوة.... إلا أن هذه المعاني يستحيل عقلا أن تستقيم، لأن القبور لا تطفو، ولا تغتال، .....

---

[1]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص129.

[2]- عبد الله البردوني، ديوان وجوه دخانية في مرايا الليل، ص342.

وهي من **مستلزمات** الإنسان مثلا ومن ثم فللجملة معنى ثان يتجاوز معناها الحرفي **(قوة إنجازية)**، فينصرف الذهن إزّاء هذا **الخرق الدلالي**، للبحث عن المعنى الثاني الذي يتناسب وسياق ورود العبارة، ويرتبط **بالمقام التخاطبي**، ليصل إلى المعنى **المستلزم** من **تفاعل** هاته الكلمات مع **القرينة** الدالة على **المشبه (المستعار منه)**، وهو معنى يحقق **انسجاما دلاليا** كليا للعبارة، إنه تشبيه للقبور بما يقبل أن يلفظه الماء مما ليس فيه حياة.

وفي هذه الاستعارة تشبيه على وجهين: فمرة يشبه الإنسان باللقمة تجترّ ومرة يشبه الاسى بالكائن يجترّ، في تداخل متعالق للصورة، يحذف فيه المشبه به على الوجهين، كما يشبه الرابية بالإنسان وحذف المشبه به، وذلك دلالة على انقضاء الزمان وفواته مساء وصباحا، على سبيل الاستعارة **المكنية**.

«فالاستعارة إذن تجسد مثالا جوهريا لاستعمال اللغة، إذ يدرك بها عادة معنى مقصودا يقع وراء البنية المنجزة الحرفية للملفوظ»[1] وهو بعينه المعنى الأساس غير المباشر المباشر الذي قصد المتكلم إيصاله، فتسهم بذلك الاستعارة في إنجاز **أفعال كلامية غير مباشرة**، تحمل معان **مستلزمة** من تفاعل أطرافها في سياقات ورودها، ويصل إليها متلقي الخطاب عبر القرائن المساعدة، وقدرته الاستدلالية التي تمكنه من الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم.

يقول البردوني في موضع آخر:

وكـــان هنـــاك ســـراج حـــزين ... يـــــئنّ، ونافـــــذة تســـــعل
فأصـــغى الطريـــق إلـــى مســـمر ... كـــنعش ينـــوء بمـــا يحمـــل

---

[1]– علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص150.

وقـال عجـوز سـها المـوت عنـه علـى مـن ننـوح، ومـن تثكـل؟[1]

لقد حفِلَ السياق بمجموعة من البُنى الاستعارية المكنية، في تأليفها تتقابل فيها أسماء تعود في أغلبها إلى الطبيعة.

فالمعنى الحرفي هو: سراج، نافذة، الطريق، نعش، الموت، وهي من مستلزمات الإنسان، فالمعاني المستلزمة عن هذا الخرق الدلالي بمعونة القرينة الدالة على المشبه به هي: حزين، يئنّ، يسعل، أصغى، ينوء، سَهَا، على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي شعر البردوني تتلاقى التشبيهات في المشهد الواحد، تنسج بنياتها استعارات، يقول في قصيدة (عند مجهولة) من ديوانه مدينة الغد، حينما ترسم الوضع النفسي للشاعر منطبعا على المكان، فإذا به يكتسي مسحة الحزن، ويتلون به في كل المواقع التي يصورها الشاعر في تتابع شديد للمشاهد الحسية المشخصة لحالة الخوف:

هـذه الأمسـية الكسـلى الغريبـهْ مـرح خـابٍ، ولـذّات كئيبـة
السـقوف الخُـرْس أيْـدٍ لا تُـرى ووراء البـاب أنفـاس مريبَـهْ
والزوايـا أذرع مجهولـة والكـرى عينـا رقيـب أو رقيبـهْ[2]

فالمعاني الحرفية لهاته الأبيات: أمسية كسلى، مرح خابٍ، السقوف الخرس، أيد لا تُرى... أنفاس مريبة،... هي معان لا يتقبلها العقل، فينصرف الذهن إزاء هذا الخرق الدلالي للبحث عن معنى ثان يتناسب وسياق العبارات، ويرتبط بالمقام التخاطبي، ليصل إلى المعنى

(1)– عبد الله البردوني، ديوان لعيني أم بلقيس، ص446.
(2)– البردوني، مدينة الغد، ص111.

المستلزم، مع القرينة الدالة على المشبه به (المستعار منه)، إنه كناية وتشبيه عن ثقل الزمن، والإحساس باليأس والكآبة، والوحش والتوجس.

استنادا إلى ما سبق، يمكننا توضيح الطريق التي ينتقل من خلالها التركيب من معناه **الحرفي** إلى معناه **المستلزم** وفقا لآلية **الاستعارة** وربط ذلك بقواعد المحادثة عند **«جرايس»** ونوجز هذا الانتقال فيما يلي:

- القائل بالاستعارة **ينتهك قاعدة النوع:** ليكن إسهامك في الحديث صادقا.
- القائل بالاستعارة **ينتهك قاعدة الكم:** لتكن مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الإخبار.
- القائل بالاستعارة **ينتهك قاعدة المناسبة:** لتكن إسهامك في المحادثة مناسبا.
- القائل بالاستعارة **ينتهك قاعدة الجهة:** لتكن إسهامك في المحادثة واضحا[1].

إن الشخص الذي يتكلم **منتهكا** جميع هذه القواعد، يجعلنا نتأول قوله، فمن الواضح أنه يبتغي معنى آخر غير الذي صرح به، فنحن إزاء ما يسميه **غرايس Grice بـ الاستلزام التخاطبي.**

خلاصة القول: أن لمبحث الإستعارة مكانة في دراسات القدامى، فقد وقف هؤلاء على دقائق هذا المبحث وأسراره، مما يعكس بحق الدقة المتوخاة في أبحاثهم، واعتمادهم على آلية **النقل** الذي يبحث للتركيب بواسطة الاستعارة، لعله الخرق الذي تحدث عنه **«غرايس»** في الاستلزام التخاطبي، بيد أن النقل لا يعني عند القدامى الموت النهائي للمعاني الأصلية، فالمتكلم يجد في المعنى المستعار ملاذا له، يلجأ إليه عندما تأبى التعابير المباشرة أن تنقل **مقاصده** ومراميه، فيصبح لا مفر من امتطاء صهوة التعابير المجازية التي تعد الاستعارة إحدى روافدها.

---

[1]– أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص112.

10 – الكناية ومقاصدها الاستلزامية في شعر البردوني:

تعد **الكنايـة** لونـا مـن ألـوان التعبيـر غيـر المباشـر، ذلك أنهـا تقوم علـى الانتقـال مـن الدلالـة الحرفيـة للعبـارة إلـى الدلالـة المسـتلزمة عنهـا فـي المسـتوى البـاطني، مـع جـواز إرادة المعنـى الحرفـي والحقيقـي، وهـو مـا يميزهـا عـن المجـاز والتشـبيه، اللـذين لا يصـح فيهمـا إرادة المعنى الحرفي[1].

ويتضـح مـن هـذا التعريـف أن الكنايـة تعبيـر عـن **قصـد** مـا بصـورة غيـر مباشـرة، ممـا يجعلهـا أداة لإنجـاز أفعـال غيـر مباشـرة بتعبيـر **جـون سـيرل** أو **معـاني مسـتلزمة** بتعبيـر **«غرايس»**، إذ يـتم تـرك التصـريح بـذكر الشـيء إلـى ذكـر مـا يلزمـه ممـا يجعلنـا أمـام بنيتـين للكنايـة: **بنيـة سـطحية** تتمثـل الدلالـة **الوضـعية** للصـياغة اللغويـة **(معنـى ظـاهر مكنّـى بـه)**، **وبنية عميقة** تتمثل في الدلالة المستلزمة عن المعنى الأول حين انزياحه عن دلالـة صيغته المباشرة، بمساعدة **قرينـة الحـال والسياق:** «بمعنـى آخـر مجازيـة تترتـب عليهـا لوجـود علاقـة تلازم عرفي أو عقلي بينهما»[2].

يظهـر إذن **البعد التـداولي** للكنايـة فـي كونهـا لا تـدل علـى المعنـى مباشـرة، وإنمـا تنتقـل بمتلقـي الخطـاب إلـى دلالات أخـرى مسـتلزمة، متجـاورة بـذلك المعنـى الحرفـي للعبـارة (دلالـة وضـعية) لتصـل إلـى المعنـى المقصـود (المُكنّـى عنـه)، ويكـون ذلـك عبـر السـياق الاسـتعمالي للتراكيب، إنهـا عـدول فـي التصـريح بـذكر الشـيء مباشـرة (التعبيـر بـالمكنّى عنـه) إلـى الإيمـاء

[1]– السكاكي، مفتاح العلوم، ص146.

[2]– أبو حميدة ، محمد صلاح زكي، البلاغة والاسلوبية عند السكاكي، جامعة الأزهر، 2007، ص236.

إليه (التعبير بالمكنى به)، إلا أن هذا لا يعني الاستغناء التام عن المعنى المباشر، بل يظل ماثلا في التركيب اللغوي، فقد يقصد مباشرة، كما أنه يشكل دليلا وقرينة، تسهم في الوصول إلى المعنى المراد عبر عمليات استدلالية، يجريها المتلقي في ذهنه يعمل فيها على الربط بين طرفي الكناية اللازم والملزوم.

يقول البردوني في قصيدة "صنعاء في طائرة":

ومثلــي أنــا صــرت عبــد العبيــد وأنــت لكــلّ الجــواري وصــيفة[1]

ففي **الملفوظ** "**صرت عبد العبيد**" معنى مستلزم (دلالة كنائية) عبر علاقة **السببية** تتمثل في المهانة والذل والخضوع، ويسهم السياق الذي يتموضع فيه الخطاب الكنائي، بتكيف الدلالة الإيحائية، فنجد الدلالة المعجمية للفظة (**عبد**) المتلازمة ومعنى الخضوع والاستسلام والذل، بالإضافة إلى الاسم المعرف (العبيد)، ويوحي فعل الصيرورة بالانقسام الزمني بين زمنين: ماض يغيّبه النص، ويستوحي منه اشراقه، وحاضر متبدل متغير تفقد فيه الذات حريتها وتصادر كرامتها، مما يولد لديها الأسى ويعمق الشعور بالذل والهوان، بل وعبودية العبيد، أضف لذلك الشاكل الصوتي بين المضاف عبدو والمضاف إليه (العبيد)، لتتوسع بذلك دائرة العبودية.

يقول البردوني في قصيدة أخرى:

التـــــــابعون بـــــــلا رؤوس والملــــــوك بـــــــلا رعيّــــــــة[2]

---

[1]- عبد الله البردوني، ديوان وجوه دخانية في مرايا الليل، ص336.

[2]- البردوني، ديوان من أرض بلقيس، ص656.

ففي هذا البيت كنايتين مركبتين، لا يحيل فيه المكنى على المكنى به مباشرة بل تتعدد الوسائط (لوازم)، تستهدف توسيع المسافة بين المعنى الأول والمعنى الثاني المقصود، مما يدفع المتلقي إلى إمعان الفكر والتأمل في العبارة بحثا عن المعنى المقصود، عبر آليات استدلالية يقوم بها في ذهنه تعمل على ربط المعنى الأول بما يستلزمه من معان ثوان، ويتوافق وسياق الاستعمال فيكون المتلقي فاعلا في إنتاج الدلالة الجديدة بصورة مباشرة وينتفي التساوي بين المكنّى المرجعي في البنية السطحية، والمدلول الإيحائي في البنية العميقة، في السطر الأول **«التابعون بلا رؤوس»**، حيث تنطلق الدلالة من أداة النفي التحويلية **(بلا)** على الاسم الجمعي **(رؤوس)** الذي يحمل معنى حرفي هو الأدمغة (العقول)، التي هي علامة على التفكير، ولكن دخول (لا) يهدم كل تلك المعاني، مما يمنح معان مغايرة من مثل: الحيوانية، سهولة الانقياد مجازي، وهي علامة على التبعية والعبودية والخضوع وانعدام الأمل في التغيير.

التابعون بلا رؤوس ⟸ معنى حرفي

⇓

دلالات حرفية = آليات استدلالية

تعطلت عقولهم

لا يفكرون ⟸ **معنى مستلزم (مجازي)** ⟸ **مكنّى عنه**

الحيوانية ⟸ انعدام الأمل في التغير وبقاء الحال على ما هو عليه.

الغباء

التبعية- العبودية

والتحليل نفسه نجده في السطر الثاني من البيت: **«الملوك بلا رعية»** فالمعنى المستلزم المجازي هو التمزق والشتات والضعف من ناحية، والظلم المؤدي إلى تثبيت الوضع على طبيعته من ناحية ثانية.

ويقول البردوني:

غـــــــــزاة لا أشـــــــــاهدهم وســـيف الغــزو فـــي صـــدري[1]

فالمعنى المستلزم في هذا السياق الكنائي هو الإحساس بالألم، ليصبح آلية تشير إلى معان حرفية هي: خفاؤهم وعدم ظهورهم، وهو ما يحيل إلى صعوبة التعرف عليهم، والإمساك بهم، وبالتالي صعوبة القضاء عليهم، فالكناية تتجاوز حدود المدلول المرجعي، لتوغل في مزيج من العلامات المؤشرة إلى آليات الاستدعاء والتجاوز، وهذا ما يشكل مزيجا من المعاني الرمزية.

من ذلك ما يوحي به قول البردوني:

ونقـــــــل بـــــــراميلا تســـــطو تحـــت الأضـــواء ولا تُســـجن[2]

إن المعنى المستلزم لهذا الملفوظ يشير إلى كل ذات فارغة من المبادئ والقيم الإنسانية، ما يجعلها خواء قابلا للإمتداد بأي شيء، وعبر السياق الاستعاري يرتبط المعنى الحرفي بالمعنى المجازي هو كناية عن الشهرة والظهور.

ومنها ما يسهم في إنتاجه السياق التركيبي اللغوي، وإيحاء اتها سياقيا ما يمكن ملاحظته في قوله:

فهـــــذا إقطـــــاعي دســـــم وهنـــــا إقطـــــاعي أســـــمن[3]

---

[1]- عبد الله البردوني، ديوان مدينة الغد، ص110.

[2]- البردوني، ديوان السفر إلى الايام الخضر، ص414.

[3]- البردوني، ديوان السفر إلى الايام الخضر، ص414.

فالتشاكل والتخالف على المستوى المورفولوجي والتركيبي في البيتين لوازم تؤدي إلى الوصول إلى المعنى المجازي، والمعاني الاستلزامية متجاوزة حدود المعاني الحرفية فالتشاكل في صفة (إقطاعي)، والاختلاف مورفولوجيا في الصفتين (دسم) و (أسمن) إذ جاءت الأولى على صيغة فَعِل الإفراد، والثانية على صيغة التفضيل وكلاهما يحيلان إلى الغنى والثراء، وعبر مبدأ النقيض، ويوحي السياق بتمايز آخر هو (فقير≠أفقر)، ما يحيل إلى أن الملفوظ كناية عن الطبقية، وقس عليه الكناية في قوله في قصيدة «ابن فلانة»:

وإذا لاحظـــوا قميصـــي جديـــدا ردّدوا: فـــوق ركبتيهـــا خزانـــة[1]

فالآلية الاستدلالية «فوق ركبتيها خزانة» تمّكن من الوصول إلى المعنى المجازي في الكناية عبر جملة من الوسائط (لوازم) تتشكل من ترابط المعاني الرمزية، إذ تقوم كلمة «خزانة» كعلامة كنائية تشير عبر علاقة الاحتواء إلى الأموال، لكنها لا تقف عنده، إذ يصبح هو الآخر مؤشرا رامزا للثراء عبر علاقة التجاور، والتآزر، هذه الآليات الاستدلالية تنتج معنى مستلزم هو كناية عن الاحتقار والازدراء.

ومن الكنايات التي اشتهر بها العرب "عض يديه"

كناية عن صفة الندم والحسرة، نجد البردوني قد استعملها في قصيدته «من بلادي عليها» يقول:

قـــل لهـــا قبـــل أن تعـــض يـــديها هـــل غـــرام الـــذئاب يحلـــو لـــديها[2]

---

[1]– البردوني ، السفر إلى الأيام الخضر ، ص414.

[2]–المصدر نفسه، ص 415

وخلاصة القول أن الكناية تحمل مظاهر تداولية قيّمة تمثل في الانتقال بالعبارة من الدلالة الحرفية (أصل المعنى) إلى الدلالة المستلزمة، وإقناع المتلقي للخطاب بالمعنى الجديد المستلزم، بجملة من الاستدلالات، وهذه وظيفة حجاجية تؤديها الكناية، مما يكسبها سمات أسلوبية وتداولية مهمة تضاف لقيمتها الفنية والبيانية.

11 – الانزياح ومقاصده التداولية في شعر البردوني:

يقع مصطلح الانزياح ضمن المصطلحات النقدية التي تتعدد تسمياتها بدرجة كبيرة، إذ قد تتجاوز الأربعين مصطلحا، من بينها: الانحراف، العدول والغرابة والتجاوز، والاختراق و.....

ومع تعدد المسميات وكثرتها، فإن المعنى المقصود يكاد يكون واحدا فيها إلى درجة كبيرة، إذ تدور في عمومها في معنى «الخروج على المألوف»، فقد كان قدماء اللغويين والبلاغيين العرب –على سبيل المثال– يعدّون كل تغير يطرأ على قواعد اللغة "انتهاكا" لقوانينها وأعرافها.

أ – تعريف الانزياح:

لغة:

أشار اللغويون العرب إلى مصطلح «الانزياح» تحت اسم **الاتساع** والتوسع، فعرّف **القاضي الجرجاني** الاستعارة بأنها: «أحد أعمدة الكلام وعليها المعوّل في التصرف والتوسع، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين اللفظ في النثر»[1]، وقد أكد **عبد القاهر الجرجاني** الدور الذي يلعبه الاتساع والتخيل في ابتداع الصور والمعاني قائلا: «وهناك يجد الشاعر

[1]–القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، وعلي محمد لبجاوي، دار القلم، بيروت، دت، ص428.

سبيلا إلى أن يبدع ويبدي في اختراع الصور ويصادف مضطربا كيف شاء واسعا ومددا من المعاني متتابعا»[1].

اصطلاحا:

الانزياح في اصطلاح اللغويين المحدثين يشمل كل تغير في ترتيب الحروف داخل الكلمة، والكلمات داخل الجملة، واستعمال الألفاظ استعمالا مجازيا لغرض بلاغي[2] .

ويعرّف الأديب الفرنسي **بول فاليري Paul Vallery** الأسلوب على أنه «انحراف عن قاعدة ما»[3]، بينما يرى **مايكل ريفاتير Rivataire**، أنه «انزياح عن النمط التعبيري المألوف أو المتواضع عليه»[4].

ويرى **جون كوهن John cohen** أن «الانزياح في الشعر خطأ متعمّد يستهدف من ورائه الوقوف على تصحيحه الخاص»[5]، فهو خرق منظم لقواعد كتابة القصيدة، يخضع لرقابة تمنعه من الخروج على الكلام الشعري، والسقوط في الكلام غير المعقول المعتمد على زحزحة القانون العام للغة[6].

ولخص أحدهم كلاما لـ **جون كوهن** قائلا: «إن الشعرية تتحدد بالمجاز، والمجاز انحراف (خرق)، ويرادف عنده اللحن بمفهوم النحو التوليدي، ومن ثمة فهو يعتري التركيب. ولكن لماذا العدول عن الحقيقة إلى المجاز؟ تحطيم اللغة العادية، وخلق لغة سامية شعرية»[7].

---

(1)- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص250.

(2)- مجدي، وهبة، معجم المصطلحات العربية، مصدر سابق، ص209.

(3)- صلاح فضل، علم الأسلوب، الهيئة المصرية للكتاب، 1985، ص154.

(4)- عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1977، ص99.

(5)- جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي، ومحمد العمري، ط1، دار توبقال المغرب، 1986، ص194.

(6)- المرجع نفسه، ص193.

(7)- محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة الجديدة، الدار البيضاء، 1982، ص50.

يعمد «البردوني» كثيرا إلى الخروج على المألوف، في عدد كبير من خطاباته الشعرية، رغم كل ما تفرضه عليه اللغة من قيود، وكثيرا ما يعبر الانزياح لديه عن الحالة النفسية التي قد يصل إليها في جراء الإحساس بالاغتراب الروحي الذي يعيشه في عصره، وما يلاقيه من انحراف عن القيم والأخلاق التي تربّى عليها، إذ يشعر أن الزمان غير الزمان والمكان غير المكان.

يقول في قصيدة **«أقاليم ذلك الجبين»**:

هـــــذا الزمـــــان الأخطبـــــوط	**كوجـــــوم أقبيـــــة القنـــــوط**
كمحــــــنَّط لام الحطـــــــام	**وقـــــام ينتظـــــر الحنـــــوط**
كســــــفينة تعبّـــــر بحـــــرًا	**أبحـــــرت فيـــــه الشـــــطوط**
لغموضـــــه وكـــــران فـــــي	**إبطيـــــــه آلاف الأبـــــــوط**
فمـــــه كبـــــاب جهـــــنم	**ويـــداه مـــن شـــتى الخيـــوط**[1]

فأي زمان هذا الذي يحياه الشاعر؟ ذاك الذي يتغلغل في الأعماق، ذلك الذي تقلب فيه الحقائق، فالذي يموت يؤنب الموت ويستعد للتخطيط مرة أخرى!! والذي يحيا سيركب سفينة ليست كباقي السفن، وهذا البحر ليس كباقي البحار، فهو الذي تبحر فيه الشطوط، فلا مرسى له ولا حدود!!، كلها **معان استلزامية (مجازية)** دلّ عليها السياق التخاطبي، مما أدى إلى الانزياح، وقد عمد الشاعر إلى الخروج على المألوف، وتخطي قواعده المفروضة عليه بالصور الفنية السابقة التي يمكن أن توضّح عن طريق المقاربة بين «المألوف» و **«الخروج عنه»** مع إمكانية الاختلاف في درجة هذا المألوف بين رأي وآخر.

---

[1]- عبد الله البردوني، ديوان في طريق الفجر، ص117.

– وقد جاء تأكيد **الانزياح** بتشبيه الزمن **«الأخطبوط»** بعدد من المشبهات الخارجة عن المألوف أيضا كما يلي:

الوصف/ التشبيه	المألوف	الخروج على المألوف (الانزياح التداولي)
القنوط	إحساس مجرّد	له اقبية تتصف بالوجوم زيادة في الانزياح
المحنّط	ميّت لا حراك فيه	متحرِّك، يلوم حطامه، وينتظر تحنيطا جديدا
السفينة	تطفو على سطح البحر	تجترُّ بحرها
البحر	تمتدُّ أمواجه نحو الشاطئ	تبحر في الشطوط
الغموض	معنًى ذهنّي مجرّد	حسيّ ملموس له وكران لا وكر واحد، وله آلاف الأبوط لا إبطين؛ زيادة في الانزياح
الفم	محدود الاتساع، وهو خاص بالكائن الحي	يشبه باب جهنّم الذي لا إدراك لكنهه، وهو خاص بالجسدي الزمني
اليد	خاصة بالكائن الحي، ومن لحمِ ودم	خاصة بالجسد الزمني، وهو من شتّى الخيوط

يقول البردوني في قصيدة: «مراسيم الليلة الخامسة»:

قـــررت أن أرفـــع ســـعر الكـــرى وأن أنـــــيم الأنجـــــم الثاقبـــــة

أن تـــدفع الـــريح رســـوما علـــى مرورهــــــا راحلـــــــة آيبـــــــة

وأن تــــــؤدي كـــــل إيماضــــــة ضـــــريبة للطلقــــة الضــــاربة

أن تخـــرج الأحـــداث تمشـــي غـــدا ونتثنــــي بعـــد غـــد راكبـــة[1]

وفـي هـذا إشـارة إلـى عظـيم المفارقـة مـن أفعـال هـذه الليلـة ذات الانزياحـات الغريبـة المتتالية التي ضامت بها ذوي الأعمال الملتوية، القائمة على تحميل الأشياء مالا طاقة لها به، كما في "الكرى" الذي لا سعر له حتى يرفع، والأنجم الثاقبة التي تتجلى في الليل أنشط، حيث لا نوم ولا نعاس فيها! وكما في الأجداث الخامدة الساكنة التي لا حياة فيها للمشي أو الركوب.

وكمـا عمّـت الفوضـى ذلـك «الـزمن الأخطبـوط» ولياليـه الشـبحيّة، فقـد انتقلـت غلـى المكان المترامي الأطراف، وأحالته شظايا متطايرة، وتوالت **الانزياحات والاختراقات** الدلالية في صور غريبة لا يتقبلها العقل، فالأشلاء متناثرة، والكائنات ممسوخة، وأدوات مبعثرة، فهنا أرؤس تتدحرج، وهناك أرجل تركض بلا أجسام، وأجسام تهرول بلا أرجل، وتلك سيقان ترحل إلـى البطـون، وأيد تلـوح بـلا كـف...إلى غيرهـا مـن مظـاهر التخبّـط والفوضـوية التـي تعكـس الظلم والفوضى والانحراف عن القيم التي تساوت فيها الأحياء وغير الأحياء، والمتحركات والجوامد.

يقول البردوني في قصيدة **«أغنية من خشب»:**

[1]– عبد الله البردوني، ديوان جواب العصور، ص112.

فقـــام الـــدخان مكـــان الضـــياء لـــه ألـــف رأس وألفـــا ذنـــب[1]

إذ **ينزاح** الدخان عن **المألوف** بجسده الحامل للرؤوس الألف، وللأذناب الألفين! رغم أنه في المألوف مجرد ظاهرة ناتجة عن احتراف الأشياء، وهذا الانزياح يشير إلى طغيان الباطل **«الدخان»** على الحق **«الضياء»** وانتشاره بشكل وحشي مخيف.

وهنا ربيع حزين يمرّ على الأمكنة ويتصور، يقول البردوني في قصيدة **«هدايا تشرين»:**

مثـل ملهـى مـن الثعـابين يحيـي مـن عـروق الغبـار للـدود سـهرة
ويقولـــون: كـــان يـــأتي قـــديما فـــي يديـــه ثلـــج، ومشـــروع زهـــرة
تحـــت إبطيـــه ســـلة وســـرير وعلـــى وجهـــه دليـــل وعبـــرة[2]

فقد تحول الربيع هنا من فصل المرح والبهجة، كما هو مألوف عنه إلى «اللا مألوف» ملهى مريب يقبض الأنفاس، تقطنه ثعابين الخبث والغواية التي تسحب إليها ضحاياه، «الدود» بكل مكر وخديعة، بأن تقيم لها «سهرة» من «عروق الغبار» والزيف ! وكل هذا انزياح يشير إلى أوضاع الزمن الذي تغلق تعاملاته المكائد والشراك المنصوبة للضعفاء، وكأن الزمن قد أصبح مرتعا لثعابين الإنس وأفعالها المريبة.

ويقول البردوني في قصيدة **مسافرة بلا مهمّة:**

---

[1]– المصدر نفسه ، ص 115

[2]– عبد الله البردوني، ديوان، زمان بلا نوعية. ص 111.

غبـــار يـــوَلّي، غبـــار يلـــي دخـــان جـــرى، ودخـــان رســـا

وأرغفـــــة تأكـــــل الآكلـــــين وأشـــربة تحتســـي مـــن حســـا[1]

وتستمر عملية الطهو الغريبة فـ:

كمـا يطـبخ البحـر المُـدَمَّى شـطوطه تشوّي حراشيف الوجوه التمرغا[2]

ويحصل الرعب من هذه الأشياء حتى إن الرعب نفسه قد خاف من ذلك، وقام بأفعال غريبة «انزياحات دلالية»، شاركه فيها ما حوله[3] من أشياء ضائعة مرعوبة منها:

بمليون رجل يركض الرعب، ينحني يـرى، ينتقـي مـن ريشـه مـا تبـدّدا

يُنحّـــي رداء، يرتـــدي أعينـــا بـــلا جفـون، بـراوغن النعـاس المسـهدا

تجـــيء ســـراويل المدينـــة وحـــدها مـن الـريح تستجدي عشـاء ومرقـدا

ويدخل بعض السوق أصلاب بعضه وتنثـال أسـراب مـن البـوم والحـدا[4]

وتستمر حركة الهرولة والرعب من هذا الزمن المخيف الذي تتطاير أشياؤه في كل حدب وصرب، على اختلاف أحجامها.

يقول في قصيدة «استقالة الموت»:

مـــا هـــذه؟ رِجْـــل أتـــت وحـــدها جمجمـــة طـــارت هَـــوَتْ مفـــردة

---

[1]– عبد الله البردوني، ديوان السفر إلى الأيام الخضر، ص353.

[2]–عبد الله البردوني، ديوان كائنات الشوق الآخر، ص65.

[3]–عبد الله البردوني، ديوان جوّاب العصور، ص34.

[4]–عبد الله البردوني، ديوان ترجمة رملية لأعراس الغبار، ص82.

ســــيارة، فيـــل علـــى نملـــة عصــفورة عــن ســربها مبَعــدة

يـــا دود غـــرّد، حســـنا، يـــا ردى أضـــف حلوقًـــا، فكـــرة جيـــدة[1]

وتضطرب الأحوال وتختلط الأمور، وتتوالى الخروقات الدلالية والخروج عن المألوف إلى اللا مألوف، حيث تستعير الجمادات أعضاء الأحياء لتساعدها على الفرار من زمنها الموحش هذا... لتشكل في الختام كائنات ممسوخة يُحار العقل في تصور ماهيتها الحقيقية التي كانت عليها.

يقول البردوني في قصيدة «**الجدران... الهارية**»:

أقبلـــت كـــل الـــدكاكين وَلهَـــى كبغايــا هَــرَبْنَ مــن نســف ملهــى

لم يعد من يجيء، جاءت سقوف فـوق أخـرى، واه أتـى فـوق أوهـى

ينثنـــي، يُقبـــل الزحـــام، أيـــدري أي وجهيــه، أي ظهــر بــه أبهــى

مـــن يديـــه يعـــدو إلـــى منكَبَيْـــه ســاهيا عنــه، عن تردِّيـه أسـهى[2]

إذن، فعصر هذه أحواله وأهواله، لابد أن يرسم بظلاله الكئيبة على نفسية الشاعر المحبطة المنطوية على نفسها، مرددة عبارات اليأس والسأم والأسى، باحثة عن أسئلة لا جواب لها.

يقول البردوني في قصيدة «**هذا اليأس**» من ديوان **ترجمة رملية لأعراس الغبار**:

تُـــرى: مـــا نـــوع هـــذا اليـــأس وهــــل لقياســــه مقيــــاس؟

---

(1)– البردوني، ديوان زمان بلا نوعية، ص122.

(2)– المصدر نفسه، ص29.

كســـــقف الســـــجن يمنـــــاه بنـــــان شـــــماله أمـــــراس

لــــــه رأســـــان فـــــي رأس وظهـــــر مثـــــل ألفـــــي راس

وأذقـــــان بـــــلا شـــــعر وأيـــــد شـــــعرها ميّـــــاس

وجـــــذع لا أســـــاس لــــــه وجـــــذع ثابـــــت الأســـــاس

*** ***

يُـــدوّي تحـــت جلـــد الصـــمت يعـــوي فـــي فـــم الأجـــراس

يشـــــكل طعمــــــه خمـــــرا مياهـــــا، مســـــرحا، كـــــرّاس

عشـــاء مـــن حليـــب الـــريح أوهامـــا مـــن الالمـــاس

مرايـــــا لا تـــــرى شـــــيئا وجوهـــا تمضـــغ الأنفـــاس[1]

فهذا اليأس يأس غريب، ليس كباقي أنواع اليأس المعتادة التي تراود الأفراد في فترات مختلفة من حياتهم، ولا تعد وأن تكون في معظمها إحساسا بالأسى، ما يلبث أن يتلاشى تدريجيا مع مرور الوقت، وتحدد الأحداث. لكن هذا اليأس الذي يكابده الشاعر هنا هو يأس يُحار في نوعه وقياسه، فتتوالى **التشبيهات والانزياحات** فهو كمخلوق مخيف له أيدٍ حربية تقبض الأنفاس كـ «أسقف السجون» الكئيبة وكـ «الأمراس» الموحية بشتى أنواع العذاب، ولهذا اليأس «رأسان» ملتصقان في رأس واحد، وظهر مدبَّب عملاق، مثل «ألفي رأس»، وأخيرا فإن لكائن اليأس هذا جذعان متضاربان، يطير الأول بلا قيد، ويتجذر الثاني بأساس كالطود!

[1]– ديوان ترجمة رملية لأعراس الغبار، ص166.

خـاتـمة

تقوم **التداوليـة** علـى دراسـة العلاقـة بـين المـتكلم والمخاطـب، وتبحـث فـي معرفـة "**مقاصـد**" المتكلم وأغراض كلامه.

وقد توصلنا من خلال دراسة المقصدية في شعر البردوني إلى نتائج نوجز أهمها فيما يلي:

* تهتم **التداولية** بأقطاب العملية التواصلية من **المتكلم** و**مقاصده** بوصفه **باثا** للرسالة وطرفها الأول، ومن **الرسالة** وظروفها **السياقية** التي أسهمت في تشكلها، ومن **مستمع** يستغل هذه الظروف السياقية لتكوين معنى **لقصد** المتكلم وفهما للرسالة.

* **فالتداول** إذا: **تواصل وتفاعل وقول موصول بالفعل.**

* تصنف **الإشاريات** ضمن تداولية من **الدرجة الأولى**، وذلك لاهتمامها بالسياق (ظروف الاستعمال) الذي يعد أساسا في العملية التواصلية.

* بما أن **الإشاريات** تركز على السياق، يمكن أن نطلق عليها اسم **الإشاريات السياقية** حيث * تشكل هذه الإشاريات النسق التواصلي لعملية **التلفظ** القائمة بين المتكلم بوصفه مرسلا والمخاطب بوصفه مرسلا إليه، وتدل هذه الإشاريات بأنواعها على حضور المتكلم والمخاطب جنبا إلى جنب في السياق التواصلي.

* من خلال الخطاب الشعري لعبد الله البردوني نلاحظ التداخل بين الإشاريات **الزمانية والمكانية** في الاستعمال وهذا يدل على سعة اطلاع البردوني وثقافته التي شملت مجالات وأماكن متنوعة.

* يُعدّ "**السياق**" من أهم الأساسيات التي تقوم عليها التداولية، وسيميائيات التواصل، لأن أي فهم لخطاب لغوي معين، لا يمكن تحقيقه إلا إذا قمنا بتقصّي الأوضاع الاجتماعية، وكثيرا ما يؤدي السياق دورا مهما في تحديد طبيعة ونوع الاستراتيجية التي يعمد إليها المتكلم مع مخاطبه، وكذا في فهم الخطاب.

* تعدّ **المقصدية** دافع إنجاز الخطابات في الوقائع التواصلية، وركيزة تكوين اللغات، إذ تتحكم القصدية في ذلك **نسقا ومضمونا.**

* يرتبط نجاح الوقوف على الحالات القصدية المرتبطة بخطاب ما بالشخصين الفاعلين (المخاطِب والمخاطَب)، في الواقعة الخطابية المنجز فيها، فلمنجز الخطاب (المتكلم) دور في إيصال القصدية الخطابية لخطابه، وعلى عاتق المتلقي السعي إلى الوصول إلى المقصدية الخطابية للخطاب الذي يتلقاه.

* تعد المقصدية نقطة اشتراك بين جمع العلوم المعرفية والإنسانية والفلسفية.

* إن **المعيّنات (الإشاريات)** التي هي وحدات التلفظ ومؤشراته، أسهمت في تحيين فعل التلفظ في الخطاب الشعري للبردوني، قولا وفعلا وإنجازا، وذلك عن طريق: **الضمائر، أسماء، ظروف الزمان والمكان...**

وبالتالي فالمعينات عنت بتحديد **مرجع** الوحدات اللغوية حيث عملية التلفظ والتواصل في شعر البردوني.

* تحمل المعينات والتعبيرات الإشارية في طياتها وظائف عدة ،يمكن حصرها في **الوظيفة المرجعية**، حيث تحدد هذه العناصر الخطابية وهذه الوحدات اللسانية سياق التواصل والتلفظ سواء كان سياقا شخصيا، أو سياقا زمانيا أو مكانيا... فلا يمكن دراسة المعنى دون تحديد المرجع.

* اجتمعت ظروف كثيرة في حياة البردوني، من نفسية مرضية كآفة العمى، واجتماعية من فقر وحرمان، وموت أمه، وظروف سياسية مرّ بها الشعب اليمني، وما عاناه من اضطهاد، كل هذه الظروف أثّرت في شاعرنا، وكانت سببا في الحزن واليأس المتمثلين في شعره، لهذا يجد القارئ أن أغلب شعره قائم على **السخرية والتشاؤم وحوار الذات**، والثورة عليها.

* كانت الإشاريات **الشخصية** المهيمنة في شعر البردوني، ذلك أن شعره يركز على **الذات وحوار الأنا**، فكان القصد من شعره يدور كله تقريبا على محور **الذاتية والمناجاة**.

* تعدّ **الأفعال الكلامية** لبّ الدراسة **التداولية**، ويعد **الفعل الإنجازي** جوهر أفعال اللغة، وذلك من خلال الترابط القائم بين بنية اللغة، وبين وظيفتها التواصلية، لاستنتاج ذلك التفاعل الحاصل بين الشكل اللغوي والمقام.

* توصل "سيرل" إلى وضع تصنيف جديد خالف فيه تصنيفات أستاذه، ونادى بضرورة أنه لا يكون للفعل قوة إنجازية إلا إذا توفر فيه المحتوى القضوي واتجاه المطابقة، وشرط الإخلاص.

* اقترح "سيرل" بأن "**الفعل الكلامي المباشر**" هو الفعل الذي يطابق قوته الإنجازية مراد المتكلم، أي يكون القول مطابقا للقصد بصورة حرفية تامة، فالدلالة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة، فدلالتها الإنجازية تظهر في السياق، وعادة ما يتوصل إليها بما يحيط السياق من ظروف اجتماعية ونفسية وغيرها.

* في الحمولة الدلالية يكون الغرض من الفعل الإنجازي هو التزام المتكلم تجاه المستمع بأداء عمل ما، أما اتجاه المطابقة هو أن يطابق السلوك لاحقا ما تم التعبير عنه سابقا.

* درس العلماء العرب الأفعال الكلامية ضمن مباحث "الخبر والإنشاء" وكان البعض منهم تداولين في طروحاتهم، بحيث راعوا الاستعمال والسياق اللغوي والمقامي، و"مقاصد المتكلمين"، وأحوال المخاطبين، كما كان اهتمامهم منصبا على مبدأ "**مطابقة الكلام المقتضى الحال**"، فدرسوا الحمولة الدلالية للأساليب الخبرية والإنشائية.

* إن **الاستفهام** يعدّ من بين **التسع قوى الإنجازية للغة العربية** وهذا يدل على أهميته، مما جعل البردوني يعتمد عليه في جل دواوينه وقصائده، بل أصبح سمة بارزة في شعره.

* الفرق بين **الاقتضاء التخاطبي والاستلزام التخاطبي** أن الاقتضاء مفهوم منطقي، والاستلزام مفهوم لساني تداولي.

* النظرية **الغرايسية** تضعنا أمام أمرين: إما أن نتبع القواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون فتحصل الفائدة، وإما أن نخرج عنها أو نخرقها، ف"غرايس" لم يغب عنه أن هذه المبادئ التي يجري عليها الحوار كثيرا ما تنتهك، بل إن النظرية كلها قائمة على ذلك، فانتهاك مبادئ الحوار هو الذي يولّد الاستلزام.

* من كل النماذج السياقية نجد أن أسلوب الاستفهام بمكوناته يتهيأ بفضل السياق إلى مطابقة المقام عبر **الانزياح** عن الاستعمال الحقيقي الذي أوكل به إلى استعمال آخر يخدم دلالة المقام الوارد فيه على سبيل **المجاز**، فتارة يخرج إلى معنى **التهويل والتعظيم**، وتارة أخرى يخرج إلى معنى **التحسر والأسف** وتارة ثالثة إلى دلالة **التهكم**، وكذا في بقية الدلالات التي تناسب المقام، وما ذلك إلا لما يتمتع به الاستفهام من خاصية مرنة يمكن أن تناسب أغراضا تواصلية متنوعة وقابلية في التعبير عن مقامات الكلام.

* تميز أسلوب الاستفهام في شعر البردوني بطاقة حجاجية فعّالة، إذ اتسمت بفعالية حوارية ذات إيحاءات دلالية، وقدرة تأثيرية إقناعية، وحققت **مقاصد** الشاعر وغاياته، فالبردوني حين يلقي أسئلته لا ينتظر جوابا، بل يهدف إلى إشراك **المتلقي** في تجربته الخاصة للاتعاظ بها ولمشاركته أحاسيسه وانفعالاته، ولاتخاذ موقف من القضايا السياسية والاجتماعية، ومناشدته للالتفاف حول قيم أخلاقية معينة.

* تمثلت أبرز **المقاصد الحجاجية** لاستفهامات البردوني في نقد الواقع، والتحريض على تغييره، وفي التشهير والتشكيك في قرارات الحكام، والطعن في مصداقيتهم، وإدانتهم بطريقة غير مباشرة، وتكذيب ادعاءاتهم، كما تمثلت تلك المقاصد أيضا في استدراج خصومه نحو الاعتراف بأخطائهم، وإحراجهم، وإقامة الحجة عليهم، وكثيرا ما تتسم استفهاماته **بالتهكم والسخرية** لإرباك خصومه، وكشف زيف ادعاءات أصحاب السلطة، ودفعهم إلى تفسير سياساتهم، وهذه السخرية التي لمحناها في جلّ خطابه الشعري ليست للإضحاك بل للنقد البنّاء والرغبة في الإصلاح.

* كما نجد أن استفهامات البردوني أبرزت خلاصة تجاربه في الحياة، وتناولت الجوانب الإنسانية والاجتماعية والسياسية، فكثيرا ما تأتي أبياته مغلفة **بالحكمة** على هيئة سؤال وجواب، أو اسئلة تنتظر الإجابة، وقد تكون تلك الأسئلة ضربا من النقد الاجتماعي والسياسي، فتتجه أسئلته إلى المخاطب لتنبيهه إلى السلوكيات غير المرغوبة في المجتمع، والسياسات الخاطئة التي تفضي إلى الخصام والعداء.

* تعد **الاستعارة خرقا** لقاعدة **الكم والكيف والملاءمة والجهة**، هذا الانتهاك يقود السامع إلى تمثل استلزامات حوارية صادقة.

* تسهم **الاستعارة** في **إنجاز** أفعلا كلامية غير مباشرة، تحمل معان مستلزمة تتجسد من خلال **تفاعل** أطرافها في **السياق** الذي ترد فيه، يتوصل إليها **السامع** عن طريق **القرائن** المساعدة، بالإضافة إلى قدرته الاستدلالية التي تساعده في الكشف عن **المعنى المستلزم**.

* لقد استطاع **البردوني** الوصول إلى آفاق في تصوره لطبيعة الانتقال من الدلالة الوضعية للعبارة "**أصل المعنى**" إلى **الدلالة العقلية الاستلزامية** لها، وكذا تصوره لقوانين هذا الانتقال، وآلياته في الكشف عن **الأغراض التواصلية** للخطاب في علم البيان، بصوره المختلفة المعبرة عن المقاصد المختلفة للمتكلم، في صورة فنية، وبطريقة تأثيرية، تسمو بالخطاب إلى مصاف الكلام البليغ، حيث تثير تلك الصورة ذهن متلقي الخطاب (السامع)، وتحرك خياله للبحث عن المعنى المقصود **(المعنى غير الحرفي الضمني)** عبر القيام بعمليات استدلالية بيانية.

* يعتمد **البردوني** على عدة أجناس أدبية **كالمسرح والسرد والقصص**، مما يجعل شعره مسرحا للصراعات الداخلية والخارجية.

* طغيان فكرة **المخلّص** في كل قصاد ودواوين البردوني، وهي فكرة نجدها عند كثير من الشعراء الجزائريين، وحتى شعراء العرب، وهي عودة القائد الذي يخلص الأمة من سباتها وتبعيتها للآخر، ويعيد لها حريتها واستقلالها.

وفي الأخير نؤكد على أهمية خوض غمار مقاربات في **فلسفة اللغة**، بالنظر إلى افتقار المكتبات العربية إليها، خاصة إذ رمنا منها ما يرتبط بدراسة مقاربات لسانية تطبيقية خاصة بالخطابات العربية في اللغة الطبيعية.

كما لا يسعني إلا أن اقف وقفة إجلال واحترام لأستاذي الدكتور الفاضل "جودي مرداسي" لتحمله مشاق الإشراف على هذا العمل المتواضع، وفائق الشكر والامتنان للسادة الدكاترة أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقراءة البحث والعمل على تصويب ما فيه من أخطاء، سعيا إلى تقييمه وتقويمه.

واللهَ أسأل التوفيق والسداد، وله الحمد من قبل ومن بعد.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

القران الكريم ، رواية ورش عن نافع

1. ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دط، دت، 442/2.
2. ابن رشيق القيرواني، العمدة، تحقيق محمد محي الدين، دار الجبل للنشر، بيروت، ط3، 1981م، 46/2.
3. ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة، بيروت، 1964.
4. ابن القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عبد الرزاق المهري، دار الكتاب العربي، ط2، 1423 هـ - 2002 م.
5. ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: حسن حمد، مراجعة: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2.
6. أبو حميدة، محمد صلاح زكي، البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، جامعة الأزهر، 2007.
7. أبو عثمان عمرو بن بكر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، مصر، 2003م.
8. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
9. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: محمد علي محمد اليحياوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة المصرية، بيروت، لبنان، ط 1، 2006.

10. أبي العباس أحمد بن ادريس القرافي، الأمينة في إدراك النية، تحقيق مساعد بن قاسم الفالح، مكتبة الحرمين، الرياض، ط1، 1988.

11. أبي محمد سعيد المبارك بن الدهان النحوي، كتاب شرح الدروس في النحو، تح إبراهيم محمد، القاهرة، مصر، ط1، 1991م.

12. أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، دار المعرفة، مصر، 1994م.

13. أحمد كروم، مقاصد اللغة وأثرها في الخطاب الشرعي، كنوز المعرفة للنشر، ط1، 2015م.

14. أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية، قضايا ومقاربات، مكتبة الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2005م.

15. أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، منشورات عكاظ، الرباط، 1987.

16. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط1، عالم الكتب الحديث، القاهرة، 1998م.

17. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2000.

18. أحمد يوسف، الخطاب والملفوظ، مطارحة في المفاهيم، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع1، جامعة وهران.

19. إدريس مقبول، نظرية المعرفة والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011.

20. أرنست فيشر، ضرورة الوهم، ترجمة ميشال سليمان، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت.

21. الأزهر الزناد، نسيج النص –بحث ما يكون به الملفوظ نصا– المركز الثقافي العربي، ط1، 1993م.

22. أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي، في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2008م.

23. آمنة لعور، الأفعال الكلامية في سورة الكهف –دراسة تداولية– مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآداب، إشراف د. زهيرة قروي، جامعة قسنطينة، 2010 –2011 م.

24. إيليا الحاوي، في النقد والأدب، دار الكتاب اللبناني، ط4، 1979م، ص 34.

25. باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014.

26. بلخير عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، 2003م.

27. بوشعيب شداق، مقصدية العمل الأدبي بين التقييد والانفتاح، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، السعودية، ج 54، مج 14، 2004.

28. بوطارن محمد الغادي وآخرون، المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية.

29. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية للكتاب، ط2، 1979م.

30. تمام حسان، مكونات الضمائر في النص القرآني الكريم، ضمن اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007م.

31. ج. هيوسلفرمان، نصيات بين الهرمينوطيقا والتفكيكية، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002.

32. جبران مسعود، رائد الطلاب، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط4، 1998م.

33. الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تعليق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

34. الجرجاني، التعريفات، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص 40.

35. الجرجاني، دلائل الإعجاز، حققه ابو فهد محمود محمد شاكر، دط، القاهرة، مصر، دت.

36. جزاء المصاورة، أثر البنية في الدرس النحوي عند القدماء، مجلة أردنية في اللغة العربية، الأردن، ع2، مجلد2، 2006.

37. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية، القاهرة، 2006م.

38. جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي، ومحمد العمري، ط1، دار توبقال المغرب، 1986.

39. جيرار دولودال، التحليل السيميوطيقي للنص الشعري، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، مطبعة المعارف، ط1، 1994م.

40. الجيلالي الكدية، تأويل النص الأدبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، جامعة محمد السادس، 1995م.

41. حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط2، الأردن، 2014.

42. حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، الدار البيضاء، المغرب، ط8، 2008م.

43. حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998.

44. حسين خمري، سرديات النقد (في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر)، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011، ص 13.

45. حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الأناريطة، د ط، 2000.

46. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، دار الكتاب، بيروت، لبنان، ط3، 2010م.

47. حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط3، 2000م.

48. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ترجمة محمد محي الدين عبد الحميد، حط، د ت.

49. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط 1، 2009.

50. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مقاربة بين التداولية والشعر –دراسة تطبيقية– بيت الحكمة للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2012م.

51. رضوان الرقي، النظرية التداولية المفهوم والتصور، http:///almothaqaf.com/inder

52. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسن،عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م.

53. سامية شودار، الخطاب الشعري في أطلس المعجزات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب واللغات، 2014م.

54. سعيد الغانمي، أقنعة النص، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د ط، 1991م.

55. سعيد حسن بحيرى، علم لغة النص –المفاهيم والاتجاهات– الشركة المصرية، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1997م.

56. السكاكي، مفتاح العلوم، ترجمة عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2011م.

57. السكاكي، مفتاح العلوم، مطبعة دار الرسالة، ط1، العراق، 1982.

58. سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مصر، ط4، ج1، 1425هـ/2004م.

59. سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، 25/1.

60. السيوطي، همع الهوامع، تحقيق عبد العالي سالم مكرم، بيروت، ط2، 1987م، 34/1.

61. الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، شرحه: عبد الله دراز، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ج66/2.

62. صابر الحباشة، التداولية والحجاج مدخل نصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، د ط، 2008.

63. صفية مطهري، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2003م.

64. صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة، لبنان، ط1، 1993.

65. صلاح اسماعيل، فلسفة العقل، دراسة في فلسفة جون سيرل،دار قباء الحديثة للنشر، القاهرة، مصر، د ط، 2007.

66. صلاح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، دط، القاهرة، مصر، 2005م.

67. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم لغة النص، الشركة المصرية، القاهرة، ط1، 1996.

68. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءته، دار الشروق، مصر، ط1، 1998م.

69. الصورة الشعرية عند عبد الله البردوني، وليد المشوح، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، 2000م.

70. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2002.

71. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000.

72. عادل فاخوري، الاقتضاء في التداول اللساني، عالم الفكر، 1989م، ع3، مج:20،

73. عباس المناصرة، أطلس النحو العربي، دار المأمون، عمان، الأردن، ط4، 1431هـ- 2010م.

74. عباس باني المالكي، قراءات في مسارات الرؤيا، انطولوجيا، د ط، دار العنقاء، عمان، 2013م

75. عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3، د ت، ج1، ص 196.

76. عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب3، الجزائر.

77. عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1977.

78. عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986.

79. عبد القادر عبد الجليل، الاسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002.

80. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، 2000.

81. عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، الجزائر، د ط، 2007.

82. عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر (مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1996م.

83. عبد المجيد جحفة، دلالة الزمن في العربية، دراسة النسق الزمني للأفعال، دار توبقال، المغرب، ط1، 2006م.

84. عبد المجيد حجفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توجفال للنشر، المغرب، ط1، 2000م.

85. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد 240 ديسمبر، 1998م.

86. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004.

87. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

88. عبد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة، مجلة علامات، العدد23، دت.

89. العلوي اليمني، الطراز المتضمن الأسرار البلاغية وعلوم حقائق الاعجاز، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، ج3، 2002.

90. علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري (من البنية إلى القراءة) مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2000.

91. علي رضا العابدي سرآسيا، الهرمونيطيقا وأصول الفقه، دراسة مقارنة بين النظرية القصدية في الفهم ومنهج أصول الفقه، مجلة الحياة، جامعة المصطفى، لبنان، ع 29.

92. علي محمد الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2010.

93. عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.

94. العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها.

95. العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2011.

96. عيد بلبع، التداولية –البعد الثالث في سيميوطيقا موريس– فصول، ربيع، عدد 66، 2005.

97. غادامير، الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية التأويلية فلسفية، ترجمة: د.حسين ناظر وعلي حاكم، دار أويا للطباعة والنشر، ليبيا، ط1، 2007م.

98. فاتح عبد السلام، الحوار في القصة العراقية، رسالة دكتوراه، كلية الأداب، جامعة الموصل، 1995م.

99. فاضل ثامر، الصوت الآخر، الجوهر الحراري للخطاب الأدبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1992م.

100. فاطمة الطيال البركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون –دراسة ونصوص– المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

101. فرانسواز ديكانتي، فسلفة اللغة والذهن، ترجمة الحسين الزاوي، دار ابن النديم، الجزائر، ط1، 2016.

102. فرانسواز ريكانتا، فلسفة اللغة والذهن، ترجمة حسين الزاوي، دار ابن النديم، الجزائر، لبنان، ط1، 2016.

103. القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، وعلي محمد لبجاوي، دار القلم، بيروت، دت.

104. كراهام هاف، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: كاظم سعد الدين، بغداد، العراق،1985م.

105. كريستوفر كودويل، الوهم والواقع –دراسة في منابع الشعر–، ترجمة توفيق الأسدي، دار الفارابي، بيروت، 1982م.

106. كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006م.

107. مبارك حنون، دروس في السيميائيات، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1987م

108. محمد السيدي، إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري، دط، دت.

109. محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م.

110. محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (ك-ل-م)، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1922/4.

111. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، ط2، 2006.

112. محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، د ط، 1991.

113. محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان، ط5، 1994م.

114. محمد عبد الواحد حجازي، الأطلال في الشعر العربي -د. جمالية- دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2002م.

115. محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: لطفي عبد البديع، مراجعة أمين الخولي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1966/2.

116. محمد محمد يونس علي يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، د ط، 1998م.

117. محمد محمد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو بناء نظرية المسالك والغايات، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2016.

118. محمد مصطفى أبو شوارب، وأحمد محمود المصري، قطوف، بلاغية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، 2006.

119. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري –استراتيجية التناص– المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992م

120. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1986.

121. محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م.

122. محمد مفتاح، دينامية النص، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2006م.

123. محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة الجديدة، الدار البيضاء، 1982.

124. محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال، ط3، 1990.

125. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر.

126. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الإسكندرية، ط1، 2006م.

127. محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الإسكندرية، ط1، 2006.

128. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003.

129. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

130. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة للنشر، بيروت، 2005م.

131. مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1995م.

132. مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

133. مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد، بيروت، لبنان، ط2، 1986م.

134. ميجان الرويلي، د.سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، الدار البيضاء المغرب، ط3، 2002م.

135. نجم الدين الكاتبي، الرسالة الشمسية، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط1، 1957.

136. نعمان، بوقرة، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، قراءة نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012م.

137. نواري سعودي أبو زيد، جدلية الحركة والسكون، نحو مقاربة أسلوبية دلائلية البنى في الخطاب الشعري عند نزار قباني، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009م.

138. نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، الجزائر، ط 1، 2009.

139. هشام صويلح، القصدية مبحث فلسفي تداولي: من فلسفة العقل إلى فلسفة الكلام "جون سيرل نمودجا"، مقال مجلة تاريخ العلوم، ع: 8 ج 2، جوان 2017، جامعة سكيكدة.

140. هناء محمود إسماعيل، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م.

141. هنري يلبش، العربية الفصحى –نحو بناء بغوي جديد– تحقيق عبد الصبور شاهين، دار المشرق، ط2، بيروت، 1983م.

142. وهبة مجدي والمهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة لبنان، ط2، 1984.

143. اليامين بن تومي، مرجعيات القراءة والتأويل عند ناصر حامد أبو زيد، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، 2011.

144. ينظر: الجيلاني دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1992م.

145. يوسف أبو العدوس، التشبيه والاستعارة من منظور مستأنف، دار الميسرة، ط1، الأردن، 2007.

146. يوسف الحمادي وآخرون، القواعد الأساسية في النحو والصرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة، مصر، د ط، 1994م.

147. يوسف الصائغ، الشعر الحرفي العراق، مطبعة الأديب، بغداد، د ط، 1978م.

<u>المراجع المترجمة الى العربية :</u>

148. إيميل بنفنيست، عن الذاتية في اللغة ضمن تلوين الخطاب، فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والحجاج، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2007م.

149. بالمر، علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، المستنصرية، دط، 1985.

150. بول ريكور، صراع التأويلات ودراسات هرمينوطيقية، ترجمة: منذر عياشي، مراجعة: جورج زيداني، دار الكتاب الجديد، ط1، 2005م.

151. بول ريكور، من النص إلى الفعل –أبحاث التأويل– ترجمة: محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، مصر، ط1، 2001م.

152. بيار آشار، سوسيولوجيا اللغة، تعريب عبد الوهاب تزو، منشورات عويدات، لبنان، ط1، 1996م.

153. ج . براون و ج، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي جامعة الملك سعود، 1997.

154. جاك موشلار، وآن ريبول، التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين غفوس، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2003.

155. جاك موشلار، وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010.

156. جان سيرفوني، الملفوظية، ترجمة: قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1998م.

157. جون سيرل، العقل مدخل موجز، ميشال حنا، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر، 2007.

158. جون كوهن، بناء لغة الشعر –اللغة العليا– ترجمة أحمد درويش، مكتبة الزهراء بالقاهرة، ط1، 1985م.

159. جون ليونز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987.

160. دومينيك مانغونو، أهم المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

161. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م.

162. زتيسيسلاف وورزنياك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003.

163. فان دايك، النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

164. فان دايك، علم النص متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001.

165. فرانسواز أرمينغو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء، بيروت، 1986.

166. فرنان تهالين فرانك شوبر قيجن ميشيل أوتان، بحوث في القراءة والتلقي، ترجمة: محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1998م.

167. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007.

<u>المراجع باللغة الأجنبية :</u>

168.Ahmed Elmoutawakel, Reflexion sur théiorie dans la linguistique arab .

169.Ahmed Elmoutawakel, Reflexion sur théiorie de la signification dans la linguistique arab, p174

170.Ahmed Elmoutawakel, Réflexion sur théorie de la signification dans la pensé linguistique arab, faculté de lettre et sciences humaine de Ribat, these et mémoire, n : 08, 1982.

171. Catherine Kerbrat-orecchioni: Enonciation de la subjectivité dans le langage, ArMannd Collin, 4 Edition .

172.Dominique Mainguneau, introduction, à la linguistique Française, Armand colin, paris, 2005.

173.E.Benveniste, problème de l'linguistique générale, 2eme Edition.

174.jean, Dubois et autre, Dictionnaire de l'linguistique, deuxième Edition, France.

175.N.S. Doniach: Oxford English Arabic Dictionary, Oxford university, 1981.

176.Paul Grice, studies in the way of words, Haward university pres, 1989 .

177.Robin lakloff, the logique og politeness or miding your p's and O's, in papers from the minth regional, 1973.

178.spatial dexis in James yoyce's Araly, Apragmatics study, Naghen yafan Hussein shat Al Arab university college, مجلة الخليج العربي، مجلد (41)، ع 1، 2، 2013م.

المعاجم و الموسوعات :

179. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، (ف،ع،ل) بيروت، لبنان، 1979، 4/.511

180. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط1، 1990 م، مادة (دول)، 252/11.

181.جراون، معجم اللغات الوجيز، ثلاثي (إنجليزي، عربي، فرنسي)، منشورات دار السابق، بيروت، لبنان، ط1، 1974.

182. جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية، واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1، 1971م، ج.2

183. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، 1985م.

184. عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م.

185. لطفي الشربيني، موسوعة شرح المصطلحات النفسية، إنجليزي، عربي، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2001.

دواوين البردوني :

186. البردوني، ديوان من أرض بلقيس، دار العودة، بيروت، ط2، د ت.

187. عبد الله البردوني ، رحلة في الشعر اليمني ، الدار الحديثة للطباعة ، ط1، دت.

188. عبد الله البردوني، ديوان ترجمة رملية الأعراس الغبار، مطبعة الكتاب العربي.

189. عبد الله البردوني، ديوان زمان بلا نوعية، دار العودة، بيروت، ط2، 1980م.

190. عبد الله البردوني، السفر إلى الأيام الخضر، دار الفكر، دمشق، ط8، 1995م.

191. عبد الله البردوني، ديوان رجعة الحكيم بن زايد، دار العودة، بيروت، لبنان، د ط، دت.

192. عبد الله البردوني، ديوان في طريق الفجر، بيروت، ط4، 1982م.

193. عبد الله البردوني، ديوان كائنات الشوق الآخر، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1987م.

194. عبد الله البردوني، زمان بلا نوعية، دار العودة، بيروت، ط2، 1980م.

195. عبد الله البردوني، لعيني أم بلقيس، دار العودة، بيروت، ط2، د ت.

196. عبد الله البردوني، وجوه دخانية في مرايا الليل، دار الحداثة، بيروت، ط5، 1980م.

الرسائل و الأطروحات :

197. عبد الرحمن دحماني، أفعال الكلام في ديوان لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري- د. تداولية- مذكرة ماجستير، إشراف نعيمة السعدية، جامعة بسكرة، 2013 – 2014.

198. محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة باتنة -1- 2014/2013.

199. محمد نعار، المقصدية في الخطاب السردي المعاصر -الرواية المغاربية أنموذجا- رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات تلمسان، 2014م.

200. هواري بلقاسم، إشكالية القصدية في الممارسة النقدية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب و اللغات و الفنون، جامعة وهران، 2008 ،2009 م.

المجلات العلمية :

201. إدريس مقبول، البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، ع1، 2004.

202. إدريس مقبول، في تداوليات القصد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، مج 28، 2014.

203. باديس لهويمل، الملازمات بين المعاني في مفتاح العلوم للسكاكي، مقاربة تداولية في ضوء نظرية الاستلزام الحواري، مجلة الدراسات اللغوية، 2013، ج2.

204. بوشعيب شداق، مقصدية العمل الأدبي بين التقييد والانفتاح، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، السعودية، ج 54، مج 14، 2004.

205. بوقرومة حكيمة، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقاربة تداولية، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزر، ع3، 2003.

206. حميد رضا، الخطاب الشعري من اللغوي الى التشكل البصري، مجلة فصول تصدر عن الهيئة المصرية للكتاب، ع1996/2م.

207. صلاح الدين زرال، إرهاصات التداولية في التراث اللغوي العربي، مقال بمجلة الأثر، أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، د. ت.

208. عبد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة، مجلة علامات، العدد23، دت.

209. فوغال باديس، الزمن ودلالته في قصة من البطل، مجلة العلوم الإنسانية، دورية علمية محكمة، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، جوان، 2002م، ع2.

210. كاظم جاسم منصور العزاوي، التعبير الإشاري في الخصيبي، مقاربة تداولية، مجلة جامعة بابل– العلوم الإنسانية– العدد 2016/1.

211. نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع2006/17.

212. وسام مرزوقي، قوتال فضيلة، القصدية وأثرها في توجيه الخطاب الشعري، مقال بمجلة إشكالات في اللغة والأدب، كلية الآداب واللغات، تيارت، عدد1، 2019م.

213. وليام أوجرادي، علم الدلالة، ترجمة عبد الكريم جبل، مجلة علوم اللغة، دار غريب، القاهرة، مصر، العدد 3، 2006م.

الملحـــــــق

حياة البردوني

المولد والنشأة:

ولد البردوني في قرية صغيرة اسمها البردون، من أعمال مركز الحدا التابع لمحافظة صنعاء. وقد اختلف في تحديد ولادته، فقد ذهب الدكتور وليد المشوح إلى أنه ولد في عام 1929م [1].

نشأ البردوني في عائلة فقيرة، جل ما يشغلها هو تامين لقمة العيش الكريمة، ومصارعة الحياة القاسية، للوصول إلى تربية الأبناء وتأمين القدر الكافي مما يسد رمقهم، وحاجياتهم الأساسية،. وفي حديث والدته عندما سئلت عن مولد البردوني

فقالت: "أصبنا ثلاث مرات، لم ينزل المطر، مات الجمل، ولد عبد الله"[2]، من خلال هذه الألفاظ نقف على حجم المعاناة التي كانت تثقل كاهل هذه الأسرة.

إذا ولد عبد الله " لينضم إلى قافلة الأطفال البؤساء من أقرانه"[3]، لكن القدر لم يترك البردوني يعيش حتى حالة الفقر بسعادة، إن كان فيها شيء من السعادة، بل نجده ينغص حياته المنغصة ببلاء جديد، لقد فقد شاعرنا بصره في زيارة من زيارات مرض الجذري المتعددة لليمن، والتي كان يحصد خلالها العديد من أرواح أبناء اليمن ومن ينجو من الموت لابد أن يترك له الجذري أثرا يذكره به، وكان نصيب شاعرنا من هذه الزيارة، أن خلد الجذري ذكراه على عيني البردوني، ليسلبه حبيبته، ويجعلها ذكرى مريرة قاسية عاش معها البردوني تجربة حرمان جديدة، أضيفت إلى تجربته الأولى مع الفقر، فلم يعش شاعرنا جمال الطفولة، وأحلامها وإنما عاش هموم الفقر، والعمى كما يصف هو هذه المعاناة قائلا: "للطفولة في حياة كل إنسان ذكرى جميلة ولكنها بالنسبة لي كانت مرّة، وقاسية، لأنني حملت مصيبة العمى وأنا في ريعان الطفولة"[4]، ولا نستغرب من البردوني وصفه للعمى بالمصيبة،

---

[1] وليد المشوح ،الصورة الشعرية عند عبد الله البردوني، ، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، 2000م، ص20.

[2] المرجع نفسه ، ص20.

[3] المرجع نفسه، ص20.

[4] المرجع نفسه، ص21.

لأنه حقيقة مصيبة، فالمجتمع القبلي الذي يعيش فيه البردوني، وتقاليد هذا المجتمع وما فيه من صراعات، وثارات، يحتاج فيها الأب إلى ولد سليم يكون عونا لأبيه على نوائب الزمان، ولكن ماذا يصنع هذا الأب بهذا الابن؟ وماذا يستفيد منه، فهو في حاجة إلى من يعينه، ويأخذ بيده ليسير في مجتمع لا يرحم الأسوياء فكيف بمن هذا حاله، لذلك كان بحق "حادث العمى مأتما صاخبا في بيوت الأسرة"[1] لكن البردوني رفض هذا الواقع، بل وتحداه بكل إرادة وعزيمة، وقرر أن يعيش حياته كأي فرد سوي، أراد البردوني كسر قاعدة الإعاقة التي حاصره بها المجتمع، ليثبت للمجتمع أن قيمة المرء ليست في اكتمال خلقته الجسدية، وخلوه من كل الإعاقات، إنما بما يمتلكه من إرادة، وما يقدمه من خدمة لمجتمعه، وما يشع منه من فكر وعلم.

البردوني أراد أن ينظر إليه أفراد قبيلته، فرد فاعل في بناء مجتمعه، وليس إنسانا يرمق بعين الرأفة، والرحمة. قال لهم: إن الإرادة الحقة لا يقف أمامها أي عائق، وإن الإنسان يستطيع بإرادته كسر كل ما يواجهه في الحياة، فلا حياة مع اليأس، ولا يأس مع الحياة.

رحلته العلمية:

بدأ البردوني رحلته العلمية في قريته البردون، حيث استهلها بتعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن في المعلامة على يد الشيخ (يحيى حسين القاضي)، ثم انتقل بعد ذلك إلى قرية في ناحية عنس جنوبي شرقي ذمار، وأكمل فيها حفظ القرآن، وأكمل فيها دراسة العلوم الشرعية، من علوم فقه وأصول الدين، والتفسير، وعلوم اللغة العربية، من نحو، وصرف، وبلاغة، وقد كان لما تلقاه في هذه المدرسة أثر كبير على حياته العلمية بعد ذلك، حيث استفاد فائدة كبيرة من هذه العلوم في أيامه المستقبلية.

ويكشف البردوني ما وجده من تغير في حياة صنعاء لم يكن يجده في مسيرته الأولى لذلك كان بزوغ نجمه في هذه الأيام، وفي دار العلوم أكمل البردوني مسيرته العلمية ليتخرج من شعبة تسمى (ما هي الغاية؟) ويقصدون بالغاية هي إتمام اثني عشر عاما من الدراسة

[1] وليد المشوح ،الصورة الشعرية عند البردوني ، ص21.

المتواصلة كان يدرس فيها الطالب القرآن والتفسير وعلم البلاغة وعلم النحو وعلم الصرف[1] ليتخرج منها عام 1951م.

لقد استطاع البردوني أن يكمل دراسته وان ينال هذه الدرجة العلمية، ويتفوق على أقرانه، ويجتاز كما قلنا سابقا مرحلة العجز، ليثبت للجميع أنه قادر على صنع الذات، وأن الإرادة الصادقة طريق النجاح والتفوق، والإبداع، لقد ضرب البردوني مثالا حيا في التصميم، والعزيمة يحذى به فكان حقا رمزا في الصبر والمثابرة للوصول إلى الهدف والغاية، لقد وصل إلى غاية نفسه قبل أن يصل إلى ما هي الغاية؟ لقد أعاد إكمال بناء روحه قبل أن يكمل دراسته، لقد ولد البردوني ولادة حقيقية عام 1951م.

الأعمال التي شغلها البردوني:

تخرج البردوني ليبدأ مسيرة حياة علمية وعملية فهذا الأعمى لم يتخرج ليبقى قعيدا في بيته، بل ليشارك في مسيرة بناء بلده فكريا وعلميا، فقد عمل محاميا، وقاضيا، ثم استاذا للأدب العربي في دار العلوم ثم رئيسا لاتحاد الأدباء في اليمن، كما عمل موظفا في إذاعة صنعاء.

نتاج البردوني شعرا ونثرا:

لم يقتصر نتاج البردوني على الشعر فقط وغنما خاض غمار التجربتين الشعرية والنثرية، إلا أنه اشتهر في تجربته الشعرية أكثر من النثرية، لذلك سنقسم نتاج البردوني إلى قسمين:

أ/ النتاج الشعري:

فقد صدر لشاعرنا اثنا عشر ديوان شعر هي:

---

[1] الصورة الشعرية عند عبد الله البردوني، ص23.

من أرض بلقيس، في طريق الفجر، مدينة الغد، لعيني أم بلقيس، السفر إلى الأيام الخضر، وجوه دخانية في مرايا الليل، زمان بلا نوعية، ترجمة رملية لأعراس الغبار، كائنات الشوق الآخر، رواغ المصابيح ، جواب العصور، رجعة الحكيم زيد

وقد جمعت هذه الدواوين كاملة في عمل تكفلت به الهيئة العامة للكتاب بصنعاء تحت عنوان (ديوان عبد الله البردوني الأعمال الشعرية) وذلك في مجلدين.

ب/ النتاج النثري:

لقد تنوع نتاج عبد الله البردوني النثري، فمن دراسات تقوم حول الشعر، إلى دراسات تهتم بالسياسة، إلى دراسات متنوعة في علوم متفرقة، وأبرز هذه الأعمال هي: رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه، قضايا يمنية، فنون الأدب الشعبي في اليمن، اليمن الجمهوري، الثقافة الشعبية (تجارب وأقاويل يمنية)، الثقافة والثورة، من أول قصيدة إلى آخر طلقة (دراسة في شعر الزبيري وحياته)، أشتات.

وفاته:

توقف قلب البردوني النابض بالحياة في الساعة الحادية عشرة صباحا، من يوم الإثنين، الموافق للثلاثين من شهر أغسطس، سنة 1999م، الموافق 1420/5/18 هـ.

عاش البردوني فيها حياة فكر وأدب، وكان بحق شمعة أضاءت في دياجير اليمن في عصوره السوداوية، وكان رمزا للأديب المكافح، والشاعر المناضل، الذي قدم نفسه فداء لوطنه.

ديوان

عبد الله البردوني

الأعمال الشعرية

المجلد الأول

إصدارات الهيئة العامة للكتاب - صنعاء

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - 2002 م

تصميم الغلاف ولوحة الغلاف

للفنان حكيم العاقل

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء

(٢٦٥)

الناشر

الهيئة العامة للكتاب

ص.ب. : ١٩٧٧٤

ت : ٤٤٧٣٧٣ مباشر رئيس الهيئة

فاكس : ٤٤٥٣٦٨

صنعاء - نهاية شارع بغداد

الجمهورية اليمنية

فهرس الموضوعات

مقدمة .....أ-و

المدخل .....

التداولية: المفاهيم والمصطلحات 08-20

1-التعريف اللغوي والاصطلاحي للتداولية 10-12

2-التداولية في التراب اللغوي والعربي 10-12

3-نشأة التداولية وأهميتها للبحث اللغوي 13-14

4-أهم موضوعات 15-20

الفصل الأول: المقصدية في البحث اللساني 22-68

تمهيد: تداوليات القصد 22

1-المصطلحات المرادفة لمصطلح القصد 23-28

2-تعريف المقصدية لغة واصطلاحا 30-32

3-أنواع المقصدية 34-37

أ-مقصدية المؤلف 34-35

ب-مقصدية النص 36

جـ-المقصدية والقارئ 37

د-مقصدية الدلالة ومقصدية اللفظ.....38

4-المقصدية في الدراسات القديمة 38-42

5-المقصدية في الدراسات الحديثة 43-63

-المقصدية واللسانيات النصية 43-45

-المقصدية والتداولية 46-48

-المقصدية والقوة الإنجازية 48-50

-المقصدية والتواصل 51-52

-المقصدية والتأويلية 53-55

-المقصدية والملفوظية.....56

-المقصدية والحجاج.....57-58

-المقصدية والتلقي 59
6-أهمية المقاصد في الخطاب.....64-65
7-المقصدية وتحليل الخطاب الشعري 66
8-الخطاب الشعري والتداولية 67-69
الفصل الثاني: مقصدية الإشاريات في شعر عبد الله البردوني 72-137
تمهيد 71
1-تاريخ الإشاريات 72
2-تعريف الإشاريات في المعاجم اللغوية 73-74
3-تعريف الإحالة 75-76
4-أهمية الإشاريات في بناء الخطاب وفي عملية التواصل 77
5-مقصدية العناوين في شعر البردوني 78-82
6-تحليل مقصدية العناوين الواردة في شعر البردوني.....83-86
7-أنواع الإشاريات 87-137
أ-الإشاريات الشخصية 88-91
-المقاصد التداولية للإشاريات الشخصية في شعر البردوني 91-107
ب-الإشاريات الزمانية.....108-110
-أهمية الإشاريات الزمانية في فهم الخطاب 110-111
-الزمن الدرامي وأنواعه 113-119
جـ-الإشاريات المكانية 119-120
-الإشاريات المكانية الظرفية 121
1-المكان الخاص 122-123
2-المكان العام 124-129
د-الإشاريات الاجتماعية 130-133
هـ-الإشاريات الخطابية 134-137

الفصل الثالث: الأفعال الكلامية ومقاصدها التداولية في شعر عبد الله البردوني 138-189
تمهيد 138
1-مصطلح الأفعال الكلامية ومفهومه لغة واصطلاحا 138-141
2-الأفعال الكلامية في التراب اللساني العربي 142-
3-أقسام الكلام عند القدماء (التمييز بين الخبر والإنشاء) 143-146
4-الأفعال الكلامية في اللسانيات الغربية المعاصرة 147
أ-مرحلة التأسيس والنشأة 148-150
ب-مرحلة النضج والضبط المنهجي 151-152
5-الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال اللغوية غير المباشرة 152-154
-دراسة العرب للأفعال الكلامية المباشرة 154-158
-دراسة العرب للأفعال الكلامية غير المباشرة 158
6-الأفعال الكلامية ومقاصدها التداولية 159-161
7-الفعل الكلامي وقصدية التواصل 161-164
8-الملاءمة بين الحالات القصدية والأفعال الكلامية 164
أ-الأفعال الإخبارية 165-169
-تحليل مقصدية الأفعال الكلامية في شعر البردوني 169-172
ب-الأفعال الالتزامية 172
ج-الأفعال التعبيرية 172-176
-تحليل مقصدية الأفعال الكلامية في شعر البردوني 176-179
د-الأفعال الإيقاعية 179
الأفعال الطلبية 180-189
الفصل الرابع: الاستلزام الحواري التخاطبي وأبعاده التداولية في شعر البردوني.....190-249
تمهيد: نشأة الاستلزام الحواري 191
1-تعريف الاستلزام الحواري 192
2-خصائص الاستلزام الحواري 193-194
3-القواعد الحوارية لغرايس 195-198

4-نماذج توضيحية لعملية الاستلزام 198-200
5-مبادئ مكملة لمبدأ التعاون.....200-205
6-المقاصد المستلزمة للاستفهام في شعر البردوني 205-207
7-المقاصد المستلزمة للاستفهام في الاستهلالات 207-216
أ-التعظيم والتفخيم 207-209
ب-التعجب 209-211
ج-الحسرة والألم والحزن 211-212
د-التهكم 212-214
هـ- الإنكار والتكذيب 215-216
8-المقاصد الاستلزامية الحجاجية للاستفهام في شعر البردوني 216-222
9-نظرية الاستلزام الحواري في التراث العربي 223-226
10-الاستعارة ومقاصدها الاستلزامية في شعر البردوني 226-229
أ-ماهية الاستعارة في الدراسات التداولية 230
ب-أنواع الاستعارة 230-235
11-الكناية ومقاصدها الاستلزامية في شعر البردوني 236-240
12-الانزياح ومقاصده التداولية في شعر البردوني 241
أ-تعريفه لغة واصطلاحا 241-242
نماذج توضيحية عن الانزياح 243-249
الخاتمة 250-256
المصادر والمراجع 257-277
الملحق: حياة البردوني 278-285
فهرس الموضوعات 285-288